وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء

كلية العلوم الإسلاميّة

قسم الدَّراسات القرآنية والفقه

التفسير الموضوعي والتفسير البنائي – موازنة وتحليل

رسالة مقدَّمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلاميَّة/ جامعة كربلاء، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

كتبت من قبل

مصطفى غازي عباس حمود

بإشراف

أ.م. د اقبال وافي نجم

كانون الثاني/٢٠٢٣م **جمادى الآخر ١٤٤٤هـ**

الآية

(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ

غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيراً)

صدق الله العلي العظيم

سورة النساء: الآية ٨٢

ترشيح الرسالة للطبع

نظرًا لإنجاز فصول ومباحث الرسالة الموسومة بـ (**التفسير الموضوعي والتفسير البنائي – موازنة وتحليل**) لطالب الماجستير (**مصطفى غازي عباس حمود**) فأني أرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف : ا.م.د. اقبال وافي نجم

مكان العمل: جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٠٢٢/١٠/٢٠

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ (التفسير الموضوعي والتفسير البنائي – موازنة وتحليل) التي قدمها الطالب (مصطفى غازي عباس حمود) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية .

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ مساعد

الإسم: إقبال وافي نجم

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٧/١٠/٢٠٢٢

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

الإسم: أ.م. د محمد ناظم محمد الجنابي

التاريخ: ٢٢/١١/٢٠٢٢

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالب/ـــه ( ) الموسومة
بـ (التفسير الموضوعي والتفسير البنائي موازنة وتحليل) وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .

التوقيع:

المرتبة العلمية : مدرس دكتور

الاسم : وئام يونس ناصر

مكان العمل : كلية العلوم الاسلامية
قسم الدراسات القرآنية
جامعة كربلاء

التاريخ: ٢٣/ ١١/ ٢٠٢٢

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (**التفسير الموضوعي والتفسير البناني – موازنة وتحليل**) وناقشنا الطالب/ة (**مصطفى غازي عباس حمود**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (**امتياز**) لنيل شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية.

التوقيع:

الاسم : أ.د. حكمت عبيد الخفاجي

المنصب في اللجنة: رئيساً

التاريخ: ٢٠٢٣/١/١١

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. محمد علي هوبي

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ: ٢٠٢٣/١/١١

التوقيع:

الاسم: م.د. مسلم جواد خضير

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.م.د.اقبال وافي نجم

المنصب في اللجنة: عضواً ومشرفاً

التاريخ:

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

التوقيع:

الاسم: أ.د. ضرغام كريم كاظم الموسوي

العميد وكالة

التاريخ: 2023/1/22

أُهدي هذا العمل البسيط إلى سادتي

خير الورى محمد المصطفى وآله

صلوات اللّه عليه وعليهم أجمعين

الشكر والعرفان

بعد حمد الله رب العالمين، على نعمه المتواترة، ثم الصلاة والسلام على معلم القرآن وآله ترجمان وحي الله.

فإني أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الكبير لكل من تفضّل عليَّ، واستنقذني من حيرة الجهل، وأرشدني إلى سبيل العلم، وغرس في قلبي شوق السعي في هذا الدرب المبارك، كما أتقدم بالشكر لكل من ساعدني في إنجاز هذه الرسالة وأخصّ بالذكر منهم أستاذتي الفاضلة المشرفة على رسالتي (أ.م.د. إقبال وافي نجم)؛ لما قدّمته من متابعة دائمة، ونصح وإرشاد مستمر، فلم تبخل بأي وقت أو جهد، كما أشكر أستاذي الفاضل (الأستاذ الدكتور حكمت الخفاجي) الذي تفضّل عليَّ بإرشادي للعنوان، وقدم لي المشورة، ودعمني كثيرًا، وأشكر أستاذي الفاضل (الأستاذ الدكتور فاضل مدبّ المسعودي) الذي وجدته سبّاقًا للنصح والإرشاد في كلّ مرة قصدته.

كما أتقدّم بالثناء الجزيل لأساتيذ الكرام في كلية العلوم الإسلامية بدءًا من عميدها (أ.د. ضرغام الموسوي) ورئيس قسم الدراسات القرآنية والفقه، وأساتيذي الأفاضل جميعًا وأخص منهم من تفضل بتدريسنا مادة علم التفسير وما تعلق به من علوم ومعارف وقد مثلت دروسهم الأساس في دخول هذا الميدان المبارك، وأشكر كل العاملين في هذه الكلية المعطاء، والشكر موصول لزملائي طلبة العلم لما قدموه من دعم معنوي كبير شجعني على مواصلة هذا الدرب المبارك.

وأتقدم بالشكر لكل من الأساتيذ الأفاضل المقوم اللغوي والمقومين العلميين ولجنة المناقشة على ما سيقوموه من زلة المتعلم الذي ما يزال يحبو في أول طريق العلم وأمله أن يرقى عمله لدرجة القبول عند الله بتوفيقه عز وجل ثم إفاضاتهم الكريمة.

ومسك ختام الشكر لوالديَّ على دعائهما الدائم ولجميع عائلتي إخوتي وزوجتي وأولادي كذلك أصدقائي على تحفيزهم المستمر ودعمهم الدائم، وغفران تقصيري بحقهم فجزى الله الجميع عمّا قدموه خيرًا كثيرًا.

الخلاصة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين أما بعد

فقد تناول البحث نوعين من التفسير هما التفسير الموضوعي والتفسير البنائي اللذان ظهرا في القرن الماضي قائمين على جذور مهمة تعود إلى صدر الإسلام وقد استفاد كل منهما من الثروة التفسيرية الكبيرة التي تتمثل في ما بين أيدينا من تفاسير اتخذت الشكل التجزيئي الترتيبي.

وبعد دراسة وتحليل لهما في الجانبين النظري والعملي خلص البحث إلى استخراج مجموعة من الأصول والقواعد والمصادر التي قام عليها ووظفها كل من التفسيرين ثم أتت مرحلة الموازنة بينهما وفق ما أبرزته الأصول والقواعد والمصادر من معطيات استدل بها البحث على ما خلص له من نتائج وقد اشتملت فصول البحث الثلاثة على شواهد وأمثلة تعزز ما يذهب إليه وما يخلص له من نتائج.

وقد اسفر الفصل الأول الذي خصص للبحث في أصول التفسير، وقد ظهر من خلال الموازنة أن التفسيرين يشتركان في أغلب أصول التفسير فهما يتعاملان مع النص القرآني المبارك على أنه وحي إلهي لم ينله التحريف وأن ظاهره حجة كما أنهما اتفقا على توظيف علوم القرآن ومعارفه في التفسير ووظفا التفسير التجزيئي واعتمدا التوفيق بين الأقوال التفسيرية والترجيح بين المتضاد منها، وافترقا في الغاية من الاعتقاد بتلك الأصول وتبنيها، فالتفسير الموضوعي كان يتبنى تلك الأصول وينطلق منها ليجعل القرآن الكريم مهيمن على التجربة البشرية، والأمر الآخر الذي كان يسعى له هو استخراج الرؤية القرآنية لموضوعات الحياة المختلفة، في حين كان التفسير البنائي يتبنى تلك الأصول ليثبت ترابط السورة القرآنية واتحاد بنائها وأن أجزاءها منتظمة وفق هندسة إلهية معجزة.

أما الفصل الثاني الذي خصص لقواعد التفسير الموضوعي والبنائي فنجد الاشتراك والافتراق يحضر أيضًا وأن قواعد التفسير البنائي يمكن أن تكون قواعد للتفسير الموضوعي (الكشفي) الباحث عن وحدة السورة المباركة، كما أن بعض قواعد التفسير الموضوعي بعنوانه العام يمكن أن تطبق في التفسير البنائي ويستفاد منها في عملية الكشف عن مراد الله غير أن هنالك ما اختص به التفسير

الخلاصة

الموضوعي وهو القاعدة الخاصة بالجمع الكامل لآيات الموضوع من كل القرآن الكريم مضافًا إلى القاعدة الخاصة بالجمع بين الآراء التفسيرية وما يفضي له من توسعة المعنى فهما من خصائص التفسير الموضوعي بالنحو الذي بينه البحث مفصلًا.

أما الفصل الثالث فكان عن مصادر التفسير الموضوعي والبنائي وقد اشتركا في جميع المصادر التفسيرية وقد قدما القرآن الكريم على أنه المصدر الأساس الذي يقومان عليه ولكنهما افترقا في مقدار الأخذ من تلك المصادر طبقًا للغاية التي يقصدها كل منهما ومساحة البحث، فالموضوعي يبحث في القرآن الكريم كله عن الموضوع في حين أن البنائي يدور في حدود السورة القرآنية الواحة ولا يتعداها إلا نادرًا، وإن الموضوعي يقصد الدلالة والمعنى، في حين إن البنائي درس السورة دلاليًا وجماليًا بما يثبت اتحاد أجزائها وتماسك بنائها، وهذا الأمر بالتأكيد انعكس على حجم وكيفية الأخذ من بعض مصادر التفسير.

وقد خلص البحث لجملة من النتائج منها اصالة هذين النوعين من التفسير وأنهما نتاج أصول وقواعد ومصادر التفسير وبالتالي فنتاجهما حجة يهتدى به لمراد الله تعالى وأن تفسير القرن بالقرآن هو عمادهما كما أن فك التداخل بين التفسير الموضوعي والبنائي يكون باخراج التفسير الموضوعي (الكشفي) من عنوان التفسير الموضوعي وإدراجه مع البنائي أو إيجاد عنوان جامع لهما لأن بقاءه مع الموضوعي غير مناسب فهو اقرب للبنائي بكثير من صلته بالتفسير الموضوعي بمعناه العام المعروف.

المحتويات

الاية .....أ

الإهداء ..... ب

الشكر والعرفان ..... **ت**

الخلاصة ..... **ث-ج**

المحتويات ..... **ح-خ**

المقدمة ١-٥

التمهيد: البيان الدلالي لمفردات البحث ٦-٢١

المطلب الأول: مفهوم التفسير ٧

المطلب الثاني: مصطلح المنهج والاتجاه واللون والأسلوب ٩

المطلب الثالث: مفهوم التفسير الموضوعي وأشكاله ١٣

المطلب الربع: التفسير البنائي: ١٨

المطلب الخامس: الموازنة والتحليل ٢٠

الفصل الأول:(الاتفاق والافتراق بين أصول التفسير الموضوعي والبنائي) ٢٢-٨٦

المبحث الأول: أصول التفسير وأقسامها ٢٣-٢٦

المطلب الأول: أصول التفسير ٢٣

المطلب الثاني: أقسام أصول التفسير: ٢٥

المبحث الثاني: أصول التفسير المعرفية..... ٢٧-٤٦

المطلب الأول: وحيانية القرآن الكريم..... ٢٧

المطلب الثاني : سلامة القرآن الكريم من التحريف..... ٣٠

المطلب الثالث: إمكانية فهم القرآن الكريم وتفسيره..... ٣٣

المطلب الرابع: حُجِّية الظواهر القرآنية..... ٣٧

المطلب الخامس: شمولية القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان..... ٤١

المبحث الثالث: الأصول الإجرائية..... ٤٧-٨٦

المطلب الأول : إمكانية استخراج رؤية اسلامية محورها القرآن..... ٤٧

المطلب الأول: أثره في التفسير الموضوعي: ٤٧

المطلب الثاني: الانسجام الموضوعي والترابط البنائي في السورة الواحدة ٥٠

المطلب الثالث: حاكمية ومحورية الركائز القرآنية في التفسير ٥٧
المطلب الرابع : الارتكاز على التفسير التجزيئي والأخذ بأكمل وجوهه..... ٦٣
المطلب الخامس : التوظيف المعرفي لعلوم القرآن ٧٢
الاتفاق والافتراق بين أصول التفسير الموضوعي والبنائي..... ٨٤

الفصل الثاني: (الاتفاق والافتراق بين قواعد التفسير الموضوعي والبنائي) ٨٧-١٣٩

المبحث الأول : قواعد التفسير واختلافها عن أصوله..... ٨٨-٩١

المطلب الأول: قواعد التفسير ٨٨
المطلب الثاني: الفرق بين قواعد التفسير وأصوله ٩٠

المبحث الثاني: من قواعد التفسير الموضوعي..... ٩١-١١٠

المطلب الأول: الجمع الناقص لا يفضي إلى نتائج سليمة..... ٩٢
المطلب الثاني: الجمع أولى بين الآراء التفسيرية ٩٤
المطلب الثالث: جريان الآية وانطباقها على مصاديق عدة..... ٩٨
المطلب الرابع: نتاج تفسير القرآن بالقرآن مقدم على غيره..... ١٠٠
المطلب الخامس: السورة القرآنية وحدة واحدة مترابطة الموضوعات والأجزاء
..... ١٠٣

المبحث الثالث: قواعد التفسير البنائي ١١٠-١٣٧

المطلب الأول: عدم الحاجة إلى التكلف في ايجاد المناسبة..... ١١١
المطلب الثاني: السورة وحدة بنائية مترابط الأجزاء: ١١٦
المطلب الثالث: انسجام بنائية القصص القرآني مع الهدف العام للسورة..... ١١٨
المطلب الرابع: هيكل بناء السورة لا يخرج عن صور ثلاث:..... ١٢٢
المطلب الخامس: لعمارة السورة دور أساس في صناعة الأثر الكلي لمتلقيها :
..... ١٢٤
نقاط الاتفاق والافتراق بين قواعد التفسير الموضوعي والبنائي ١٢٦

الفصل الثالث: (الاتفاق والافتراق بين مصادر التفسير الموضوعي والبنائي) ١٣٨-١٧٠

المبحث الأول: القرآن الكريم:..... ١٣٢-١٤٠

المطلب الأول : حجية القرآن في التفسير: ١٣٣
المطلب الثاني: توظيف القرآن في التفسير الموضوعي والبنائي..... ١٣٦

المبحث الثاني: السنة الشريفة:..... ١٤٠-١٤٨

المطلب الأول: حجية السنة في التفسير ١٤١
المطلب الثاني: توظيف السنة في التفسير الموضوعي والبنائي: ١٤٤
المبحث الثالث: العقل: ١٤٨-١٥٧
المطلب الأول: العقل وأهميته في التفسير: ١٤٩
المطلب الثاني : حجية العقل في التفسير: ١٤٩
المطلب الثالث: توظيف العقل في التفسير الموضوعي والبنائي ١٥٤
المبحث الرابع: اللغة ١٥٧-١٧٠
المطلب الأول: حجية اللغة في التفسير: ١٥٩
المطلب الثاني: توظيف اللغة في التفسير الموضوعي والبنائي: ١٦٣
نقاط الاتفاق والافتراق في مصادر التفسير ١٦٨
الخاتمة ١٧١-١٧٥
المصادر والمراجع ١٧٦-١٩٠
Abstract ..... A

المقدمة

المقدمة

بسم الله والحمد لله الذي أخرج عباده من ظلمات الجهل إلى نور الإســـلام برحمته، والصـــلاة والســـلام على من بعث بالذكر هاديًا للأنام ســـيد الخلائق أجمعين محمد وعلى آله عدل القرآن وترجمان وحيه.

إن القرآن الكريم بحر بعيد غوره لا نفاد لكنوزه وعجائبه قد تواترت على الإغتراف من معينه أكفُّ القاصدين منذ عهد الإسلام الأول وإلى يومنا هذا، من دون أن ينقص منه ذلك الأخذ شيئًا، بل يزداد اتساعًا وفضلًا، وقد دأب المسلمون على مر العصور على بيان معانيه واستخراج هداياته مقتفين بذلك أثر معلمه الأول صلوات الله عليه وآله ومن خلفه من الراسخين بالعلم الذين كان همهم الدائم بيان معاني القرآن وتفسيره للناس.

إن علم التفسير تنامى وتطور مع الزمن، فكل جيل كان يأخذ ما قدمه السابق ويكمل المشوار، حتى أصبحنا نملك ثروة تفسيرية ضخمة اتخذت شكل التفسير التجزيئي بمناهج عدة، ذلك الأمر مهَّد لولادة أنواع جديدة من التفسير في القرن الأخير، قائمة على جذور معرفية تمتد عبر الزمن حتى تصل عصر الإسلام الأول، ومن تلك الأنواع التفسيرين مدار البحث.

أولًا: أهمية البحث: إن أهمية البحث تتضح من كونه يعقد موازنة بين نوعين من التفسير، لهما أهمية في بيان بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم، وقدرته على الخلود، وتقديم العلاج الناجع لآلام البشرية، كما تتضح أهميته من حيث إنه يبحث في الأصول التي يرتكز عليها كل من التفسير الموضوعي والبنائي، والقواعد التي اعتمدا عليها في عملية الكشف عن مراد الله، والمصادر التي نهلا منها، فضلًا عن أنه يكشف أن عطاء القرآن الكريم له صور عدة فمرة يعطي هداياته من خلال تتبع الموضوع في القرآن كله، وأخرى يعطي بمجرد الوقوف على سورة واحدة من سوره فتخرج منها بأثر كُلِّيٍّ يهديك لوجه من وجوه الخير.

ثانيًا: أسباب إختيار الموضوع: أما أسباب أختيار الموضوع فلعل الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى تأتي في مقدمة الأسباب الداعية لاختيار العنوان، كما إن الخلاف الحاصل في مسألة دخول التفسير الموضوعي للسورة القرآنية ضمن التفسير الموضوعي وعدمه وما الذي يميزه عن التفسير البنائي على الرغم من أن هدفهما إثبات تماسك بناء السورة القرآنية، وكذلك الرغبة في كشف أصول

التفسير البنائي وقواعده ومصادره، مضافًا إلى السعي لإثبات أن القرآن الكريم يعطي حلوله بأكثر من أسلوب، وهي تُكتشف بأكثر من كيفية (منضبطة)، فهذه كلها أسباب دفعت الباحث لاختيار العنوان و الرغبة في دراسته.

والبحث يسعى للفهم العميق والواضح للتفسير الموضوعي والبنائي، واكتشافِ أهم أصولهما وقواعدهما والمصادر التي يرجعان إليها وبيان وجوه الإلتقاء والإفتراق بينهما في كل ذلك.

ثالثًا: مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في ما يعرض من إشكال أن السورة القرآنية شتات لا ترابط بين أجزائها ويعالج ذلك من خلال دراسة التفسير البنائي الذي يمثل إنموذجًا مميزًا برهن فيه الدكتور البستاني على بطلان هذا الإشكال، كما أن مقارنته مع الموضوعي جاءت لأمرين، الأول: أن هنالك قسمًا من التفسير الموضوعي يبحث عن وحدة السورة فحينئذ تبرز مشكلة التمييز بينه وبين البنائي، والأمر الثاني: إن عقد الموازنة بين التفسير البنائي والقسم الباحث عن الموضوع في التفسير الموضوعي تجعل البحث يثبت تعدد كيفيات استلهام العطاء القرآني وأن القرآن الكريم غير منحصر في نوع واحد من العطاء، وهذا الأمر من أسرار إعجازه.

رابعًا: الدراسات السابقة: أما فيما يخص الدراسات السابقة فعلى حد علمي وبعد بحثٍ وسعيٍ لم أجد دراسة موازنة بين التفسير الموضوعي والبنائي، وإنما وجدت دراسات تناولت التفسير الموضوعي وهي عدة، لعل أقدمها في العراق كتاب المدرسة القرآنية للسيد الشيهد محمد باقر الصدر، وعلى مستوى الدراسات الأكادمية ما كتبه الاستاذ الدكتور حكمت الخفاجي، وهو (بعنوان التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته)، كما أن من الكتب القيمة في التنظير لقسمي التفسير الموضوعي ما كتبه الاستاذ الدكتور مصطفى، مسلم تحت عنوان (مباحث في التفسير الموضوعي)، ، ومن الدراسات السابقة ما ألفه الدكتور مرتضى جمال الدين، تحت عنوان (الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي في القرآن الكريم)، وكتاب (أصول و قواعد التفسير الموضوعي للقرآن) للشيخ مازن التميمي، وكتاب (التدبر الموضوعي في القرآن الكريم): للشيخ علي آل موسى، وقد نظَّرت تلك الدراسات للتفسير الموضوعي وبيَّنت بعض قواعده وأصوله غير أن الباحث حاول الإنطلاق من كل تلك الجهود الجليلة والإعتماد عليها مع تحليل النتاجات العملية في ميدان التفسير الموضوعي؛

للرسول على معنىً واضح بيّن يُبرز بوضوح أثر الأصول والقواعد وكيفية توظيف الموارد في التفسير الموضوعي، ثم مقارنتها مع البنائي، أما على مستوى التفسير البنائي فلعله الأقل نصيبًا في البحث والدراسة فلم أجد على حد ما اطلعت إلا دراستين الأولى بعنوان (منهج التفسير البنائي)، وهي لمؤلف هذا التفسير الاستاذ الدكتور محمود البستاني، والثانية رسالة ماجستير بعنوان (المنهج البنائي في التفسير عند الدكتور محمود البستاني) تقدم بها الطالب أحمد حنون ميس لمجلس كلية الفقه في جامعة الكوفة مثلت دراسة وصفية للتفسير البنائي، وبينت ان جذور التفسير البنائي تعود لعلم المناسبة والنظم، إلا أنها لم تبين بوضوح الأصول والقواعد والمصادر التي اعتمدها البستاني في تفسيره، وتكفلت هذه الدراسة ببيانه.

لذا تناول البحث الكشف عن أصول التفسير البنائي وقواعده ومصادره مستعينًا بإشارات الدراستين ومركزًا على تحليل ما تضمنته دفتا التفسير البنائي بوصفه تطبيقًا عمليًا لهذا النوع.

خامسًا: فرضية البحث: أما فرضية البحث فكانت تدور حول السؤال عن أهم أصول وقواعد ومصادر التفسير الموضوعي والبنائي وبماذا يشتركان؟ وبأي جانب يفترقان ؟ ومالذي ينتج عنهما من هدايات؟.

سادسًا: منهج البحث: والمنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التحليلي تحليل ما وصلت له القدرة من مصادر ومراجع في الجانبين النظري والعملي من التفسيرين؛ بهدف الوصول إلى أهم الأصول والقواعد والمصادر التي قاما، عليها مع رعاية أن يكون الأصل والقاعدة والمصدر ذا وجود حقيقي، وأثر مهم في كلٍّ من التفسير الموضوعي والبنائي وربطه غالبًا بشواهد من التفسيرين تبين أثره أو تكشف عن صدق توظيفه وبما يسهل على المطالع وضوح الإرتباط وقد تبع ذلك موازنة في كل جانب من تلك الجوانب ببيان معالم الاتفاق والإفتراق التي شكلت فيما بعد عماد نتائج الرسالة ومرتكزاتها.

سابعًا: الصعوبات: وتكمن صعوبة البحث في سعة التفسير الموضوعي وصعوبة الإلمام به مضافًا إلى دقة التفسير البنائي، ثم إن الموازنة في أمور ثلاثة، هي: الأصول؛ والقواعد؛ والمصادر، أمر شاق فهو يستلزم فهم كل منها بمراجعة الكثير من المصادر والتدقيق والتركيز للوصول إلى حقيقة المراد، ثم بعد ذلك إثباتها لكل من التفسير الموضوعي والبنائي، ويتبع ذلك التنقيب عن مواضع

الاتفاق والإفتراق، وهو أمر يحتاج إلى متمرس ذي معرفة وأنا ما زلت أتعثر في أول مشوار الدراسة ولا أملك من التجربة إلا الشيء اليسير غير أن ما شجعني على ذلك ثقة أساتيذي وتشجيعهم وقد أعانني على تجاوز هذه العقبة الكبيرة، مداد السابقين وسماحة أهل العلم الذين قصدتهم فكانوا يقدمون المشورة والتسديد بكل حب ومودة فجزاهم الله خيرًا.

ثامنًا: خطة البحث: أما خطة البحث فتكونت من مبحث تمهيدي اشتمل على بيان الدلالي لمفردات البحث، ومنها: مفهوم التفسير وبعض مصطلحاته من قبيل المنهج والاتجاه واللون والأسلوب؛ لكونها استعملت توصيفًا للتفسير الموضوعي والبنائي، ثم بيَّن المبحث مفهوم التفسير الموضوعي وأشكاله، والتفسير البنائي، وخُتِمَ ببيانٍ لكلٍّ من معنى التحليل والموازنة.

أما الفصل الأول فكان عن نقاط الاتفاق والافتراق بين أصول التفسير الموضوعي والبنائي، وتضمن ثلاثة مباحث، الأول: عن مفهوم أصول التفسير وأقسامها، والثاني عن أصول التفسير المعرفية، واشتمل على خمسة أصول معرفية، في حين خُصِّصّ المبحث الثالث لأصول التفسير الإجرائية، واشتمل هو الآخر على خمسة أصول أيضًا، وخُتِم الفصل ببيان نقاط الاتفاق والافتراق في أصول التفسير.

في حين كان الفصل الثاني باحثًا عن الاتفاق والافتراق بين قواعد التفسير الموضوعي والبنائي، وتضمن ثلاثة مباحث أيضًا، الأول: خُصَّصَ لبيان قواعد التفسير واختلافها عن أصوله، والثاني تناول خمسة من أهم قواعد التفسير الموضوعي، في حين خصص المبحث الثالث للبحث في قواعد التفسير البنائي، وتضمن خمسة من أهم قواعده، وعَقِبَ تلك المباحث ببيان نقاط الاتفاق والافتراق في قواعد التفسير.

أما الفصل الثالث فكان في البحث عن الاتفاق والافتراق بين مصادر التفسير الموضوعي، والبنائي وقد اشتمل على أربعة مباحث، تناول الأول منها القرآن الكريم، والمبحث الثاني: السنة الشريفة، والمبحث الثالث: العقل، والمبحث الرابع: اللغة، وخُتِمَ الفصل ببيان نقاط الاتفاق والافتراق في مصادر التفسير بينهما.

وخُتم البحث بالخاتمة والتوصيات وما عاد له الباحث من مصادر ومراجع.

وختامًا فلابد من بيان حقيقة مهمة وهي أن ما في البحث من صواب فهو بتوفيق الله وتسديده، وبركة نور بيان السابقين وضياء مدادهم، ومشورة أهل الفضل والعلم من أساتيذي الكرام، وما فيه من زلل ووهن فهو مني أنا القاصر الذي يسأل الله أن يقومَّ زَلته، ويهديه رشده، ويهيئ له من يقوِّمُ اعوجاجه فهو المنان على عباده وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

التمهيد: البيان الدلالي لمفردات البحث

المطلب الأول: مفهوم التفسير

المطلب الثاني: مفهوم المنهج والاتجاه واللون والأسلوب

المطلب الثالث: مفهوم التفسير الموضوعي وأشكاله

المطلب الربع: التفسير البنائي

المطلب الخامس: التحليل والموازنة

المطلب الأول: مفهوم التفسير

أولًا: التفسير لغة:

أختلف الباحثون في الأصل اللغوي لكلمة التفسير فذهب بعضهم إلى أنها من الفسر وقال آخرون أن أصلها من السفر وكلاهما يلتقيان في الكشف والإبانة والبيان وما يقاربها من ألفاظ ومعانٍ، فقد بينه الفراهيدي بقوله (الفَسْرُ: التفسير وهو بيان وتفصيل للكِتاب، وفَسَره يفسِره فَسْراً، وفَسَّرَه تفسيراً،.... وكلُّ شيءٍ يُعرفَ به تفسيرُ الشيءِ فهو التَّفسِرةُ)(١).

وفي هذا المدار كانت كلمات ابن منظور من أن الفسر: (البيان فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ أَبانه والتَّفْسيرُ مثله ... وقوله عز وجل (وأَحْسَنَ تَفْسيراً) الفَسْرُ كشف المُغَطّى والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل... وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تَفْسِرَتُه)(٢)، وقريب منه ما ذكره الزبيدي فيما حبره عن الفسر (بأنه الإبانَةُ، وكشْفُ المُغَطَّى، كالتَّفْسيرِ ... أو هو كشْفُ المُرادِ عنِ المُشْكِلِ)(٣).

ومعنى السفر ليس ببعيد عن الفسر فهو (ما وضَح وانكشف. يقال: سفَرَ الصبحُ: أَضاءَ وأَشرق .. سَفَرَ المرأَةُ: كشفت عن وجهها.. سَفَرَ الشيءَ سَفْراً: كشفه وأوضحه)(٤).

ثانيًا: التفسير اصطلاحًا:

عرّفه أبو حيان الأندلسي في تفسيره بقوله (عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَمَدْلُولَاتِهَا،

---

(١) العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، دار الهجرة ، قم – ايران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ. مادة (ف، س، ر) : ٤٠٨/٤

(٢) لسان العرب : بن منظور، محمد بن مكرم (ت ١١ ٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة الثالثة،١٤١٤ هـ، مادة (ف،س،ر) : ٥٥/٥.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ)، دار الفكر، بيروت– لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، مادة (ف،س،ر) : /٣٤٩.

(٤) ظ: المحيط في اللغة: صاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد (ت٣٨٥ هـ)، عالم الكتاب، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٤ هـ، مادة (س،ف،ر): ٣٠٤/٨. تاج العروس: الزبيدي، مادة (س،ف،ر)، ٥٢٥/٦.

وَأَحْكَامِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةُ التَّرْكِيبِ، وَتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ)[١].

كما عرّفه الزركشي بقوله: (هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسّرها. وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها)[٢]، وبهذا التعريف نجد أن جل علوم القرآن الكريم ومعارفه وأحكامه تدخل ضمن تعريف علم التفسير.

وينقل السيوطي في معنى التفسير أنه (علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)[٣] ويتضح هنا أنه أورد جملة من العلوم التي عدها أدوات وموارد يُستمد منها التفسير ويُفهم بها كتاب الله وقد ضمنها التعريف فطال واتسع ولم يسع لغيرها مما يستفاد منه المفسر ومما ترك المحكم والمتشابه أو المكي والمدني وغيرها من الأدوات والمعارف المساعدة للمفسر وكان الأحرى إجمالها كما فعل المتأخرون مسترشدين بنور مداد السابقين فقد عرف السيد الطباطبائي التفسير بأنه (بيان معاني الآيات القرآنية و الكشف عن مقاصدها و مداليلها)[٤] وهو ذكر للغاية والهدف غير أنه قد يقول قائل إن التعريف لم يتضمن الكيفية أو ما يقوم مقامها من أوصاف تشتمل في معناها على

---

(١) البحر المحيط في التفسير: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل: دار الفكر، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٠ هـ، ٢٦/١.

(٢) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ٣٨٤/٢.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ، ٥٠.

(٤) الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، محمد حسين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم– إيران، الطبعة الخامسة، ١٤١ هـ، ٤/١.

كيفية ذلك البيان، وقريب منه قولهم (هو بيان معنى الآية وشأنها وظروفها بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة)[١].

يظهر مما سبق أن للتفسير تعاريف كثيرة تلتقي مع المعنى اللغوي في الكشف، وبيان معاني القرآن الكريم، وإظهار حكمه وهداياته، وهي بين الموجز والطويل وبين من عرف بالماهية، وآخر اشتمل بيانه على تفصيل المراحل ولوازم التفسير وما يحتاجه، وثالث ذكر الأدوات، والمعنى اتسع وتطور مع الزمن كما تطورت أنواع التفسير نفسه، ويبدو للبحث أن التعريف الأقرب هو ما عرفه به الزرقاني بقوله: (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)[٢]، ومما يعزز ذلك إشادة بعض الباحثين في التفسير ومناهجه بتعريف الزرقاني للتفسير[٣]، كما أن التعريف قد وصف التفسير بالعلم وحدد مدار بحثه بفضاء القرآن الكريم والسعي للوصول بذلك البحث للكشف عن مراد الله تعالى الذي سيختلف في العمق والوضوح على وفق استعداد المفسر وطاقته.

المطلب الثاني: مفهوم المنهج والاتجاه واللون والأسلوب

إن هذه المصطلحات وردت أوصافًا لكل من التفسير الموضوعي والبنائي لذا كان من المناسب إيراد بيان موجز لها قبل بيان مفهوم التفسير الموضوعي والبنائي.

أولًا: المنهج:

١- لغة: أصله من نهج وهو الواضح (طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ، وَهُوَ النَّهْجُ ... نَهَجْتُ الطريقَ: أَبَنْتُه وأَوضَحتُه؛ يُقَالُ: اعْمَلْ عَلَى مَا نَهَجْتُه لَكَ. ونَهَجتُ الطريقَ: سَلَكتُه، وفلانٌ يَستَنهِجُ

(١) موجز في علوم القرآن: العطار، داود، دار البذرة، النجف الأشرف- العراق (د.ت)،١٤.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة،٣/٢.

(٣) ظ: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: الصغير، محمد حسين علي، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ١٩، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته: الخفاجي، حكمت عبيد، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان- الأردن الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ١٩.

سبيلَ فلانٍ أَي يَسلُكُ مَسلَكَه. والنَّهْجُ: الطريقُ المستقيمُ).[١]

نجد هنا أن بيان ابن منظور للنهج ومشتقاتها اشتمل على ما دل على الطريق الواضح والمستقيم والمحدد.

٢- اصطلاحًا: تعددت تعريفات المنهج التفسيري

فعرف بأنه : (الكيفية المعتمدة في كشف معاني القرآن الكريم ومقاصده)[٢].

وعرفه السبحاني بقوله: (هو طريقة كل مفسر في تفسير القرآن الكريم، والأداة والوسيلة التي يعتمد عليها لكشف الستر عن وجه الآية أو الآيات)[٣].

وعرّفه آخر و(المنهج التفسيري هو الخطة المحدّدة الواضحة التي تتعلّق بكيفية الانتفاع بمصادر التفسير وكميّتها للوصول إلى فهم القرآن الكريم)[٤].

نلحظ أن التعريفات الآنفة الذكر أنها التقت بالدلالة اللغوية للمنهج من جهة الوضوح الذي يستلزم التحديد ومعرفة الجوانب التي يتحرك في مدارها المفسر فهو ومن خلال تحديد ما سيستثمر من مناهج تفسيرية ويوظفها في عملية الكشف عن مراد الله تعالى قد رسم لنفسه طريقًا واضحة تفضي إلى مراده من التفسير وتضبط كيفية ذلك الكشف.

وبخصوص المناهج التفسيرية فقد تباينت تقسيمات من كتب في هذا المجال ومن تلك التقسيمات من قسمها على أصلين (بالعقل والنقل) وجُعل لكل منهما صورًا عدة تعود لهذين الأصلين من قبيل ما أُدرج تحت التفسير بالعقل: التفسير بالعقل الصريح، أو في ضوء المدارس الكلامية، أو السنن الاجتماعية، أو العلم الحديث، أو حسب تأويلات الباطنية والصوفية، وبالنقل جعل في مقدمتها تفسير

---

(١) لسان العرب: ابن منظور، مادة (ن، هـ، ج): ٣٨٣/٢.

(٢) منطق فهم القرآن: الحيدري، كمال: تحرير: طلال الحسن، دار فراقد، قم المقدسة – ايران، ١٤٣٣هـ، ٤٥/١.

(٣) المناهج التفسيرية: السبحاني، جعفر، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم- ايران، ١٤٢٦ هـ، ٣.

(٤) المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة: اسد، محمد علي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية طهران- ايران، ١٤٣١هـ،٣٠.

القرآن بالقرآن والبياني وباللغة والقواعد العربية وبالمأثور من السنة[١].

في حين نجد أن مشروعيتها واعتبارها هو الأساس الذي قسم على وِفقهِ محمد علي رضائي فجعل منها ما هو صحيح ومعتبر وآخر باطل وغير معتبر وأدرج ضمن الأول تفسير القرآن بالقرآن والروائي والعقلي الاجتهادي وجزء من العلمي والإشاري وسماه المنهج الكامل هو ما يوظف كل تلك المناهج، وضمن الثاني المردود التفسير بالرأي، وبعض طرق الإشاري والعلمي[٢].

وهنالك تقسيمات أخرى مثل من قسم بالمأثور والرأي ليعود بعد ذلك لتقسيم التفسير بالرأي إلى ممدوح ومذموم وهنالك من يعتقد أن مناهج التفسير لا يمكن أن تحصر بعدد محدد وإنما هي تتجدد وتتنامى مع الزمن وبما يطرحه الواقع الحياتي من حاجة.

ثانيًا: الاتجاه:

لغة: وأصله من وجه: و(هو مُستقبل كل شيء، والجِهَةُ: النحو. يقال: أخذت جِهَةَ كذا، أي: نحوه)[٣].

الاتجاه التفسيري: (هو الموقف الذي يكونه المفسر في ظل واقع معين سواء كان ذلك واقعًا اجتماعيًا أو سياسيًا أو ثقافيًا أو مذهبيًا أو غيرها)[٤].

يشير مصطفوي إلى أن هذا الموقف لا يعدّ موقفًا معرفيًا بقدر ما يكشف عن موقف أيديولوجيٍ، يقع فيه الباحث تحت تأثير الواقع الثقافي أو الاجتماعي أو المذهبي، ويتباين مستوى هذا التأثير من مفسر إلى آخر[٥].

---

(١) ظ: المناهج التفسيرية: السبحاني، جعفر: ٥-٦.

(٢) ظ: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: رضائي، محمد علي: تعريب: قاسم البيضاني، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ، ٢٥.

(٣) العين: الفراهيدي، مادة (و، ج، ه):٦/٤.

(٤) أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره: مصطفوي، محمد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ٣٠.

(٥) المصدر نفسه،٣٠.

وأدرج الدكتور محمد علي رضائي أقسامًا للاتجاه التفسيري نستشرف منها مفهوم الاتجاه عنده الذي يشمل أثر مذهب المفسر والمدرسة الكلامية التي ينتمي لها وتخصصه واهتمامه العلمي وثقافته والحاجة والضرورة الداعية للتفسير وما يلقيه كل ذلك من سمة يطبع بها تفسيره(١).

يفهم مما تقدم من بيان هو أن للإتجاه أثرًا يلتمس في النتاج التفسيري للمفسر تظهر فيها هويته من خلال ما ألقاه معتقده وثقافته ومذهبه على منجزه التفسيري فأصبحت سمة غالبة وواضحة فيه.

ثالثًا: اللون :

١- لغة : (اللَّوْنُ من كلِّ شيءٍ: ما فَصَلَ بينَ الشَّيءَ و غيرِه، و مِن المجازِ: اللَّوْنُ النَّوْعُ و الصِّنْفُ و الضَّرْبُ، و الجَمْعُ أَلْوانٌ).(٢)

٢- اصطلاحًا: اللون التفسيري: هو (سمة واضحة لميول المفسر وقدراته وملكاته الذاتية تنعكس على تفسيره)(٣)، ويدرجه بعض الباحثين ضمن الاتجاه أو هو مصطلح رديف له بقوله (اللون هو مصطلح يشير الى اتجاه المفسر)(٤).

ويبدو لي أن جعله ضمن الاتجاه أمر حسن فهو يجنب كثرة المصطلحات والخلط في حدود كل مصطلح وكلاهما يشير إلى ميل المفسر والذاتية التي يتسم بها تفسيره تبعًا لمبانيه الفكرية أو الثقافية أو الاجتماعية.

ثالثًا: الأسلوب:

لغة: (كلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فهو أُسلوبٌ، قال: والأُسْلوبُ الطريق، والوجهُ، والمَذْهَبُ، ... والأُسْلوبُ، بالضم: الفَنُّ؛ يقال: أَخَذ فلانٌ في أَساليبَ من القول أَي أَفانِينَ منه ويقال للسَّطْر من النخيل:

---

(١) ظ: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: رضائي، محمد علي: ٢-٢٨.

(٢) تاج العروس: الزبيدي، (ل، و، ن): ٥١٦/١٨.

(٣) التفسير الموضوعي واشكاليات تحديد المصطلح: إقبال وافي نجم، مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية/ المجلد ٢٥/ العدد ٢٠١/٣م : ١٢٤٨.

(٤) إشكالية تقسيم وتوظيف المفاهيم في المناهج التفسيرية (دراسة نقدية): رشيد، حسن عبد الهادي، رسالة ماجستير: ١١٦.

أُسْلوب)[١].

اصطلاحًا: (الأسلوب هو طريقة العرض والتدوين وخطة البحث وهيكله، فهو يرتبط بمرحلة الإبراز والإثبات وطريقة تسجيل المعلومة وكيفية تقديمها والقالب اللفظي والتعبيري الذي تصب فيه)[2].

وعرف أيضًا بأنه: (طريقة تناول المفسر للآيات بالتفسير)[٣].

ويخلص المعرف إلى أن هنالك اسلوبين رئيسين للتفسير هما الترتيبي الذي يعتمد تفسير الآيات حسب ترتيبها في المصحف وهنالك الموضوعي الذي يجمع آيات الموضوع الواحد من القرآن ويفسرها[٤].

(الأسلوب التفسيري: هو النمط الذي يعتمده المفسر في الكشف عن مراد الله تعالى بمعنى كيفية تتبعه لآيات القرآن وتفسيرها)[٥].

وتخلص المعرفة إلى أن هذه الأنماط لا تخرج عن ثلاثة أساليب الترتيبي والموضوعي والبنائي[٦].

المطلب الثالث: مفهوم التفسير الموضوعي وأشكاله

وفي هذا المطلب سنقف عند النوع الأول من التفسير الذي هو مدار البحث وهو التفسير

---

(١) ظ: لسان العرب: ابن منظور، مادة (س، ل،ب) : ٤٣/١.

(٢) أساسيات واتجاهات ومناهج البحوث التفسيرية (دراسة نقدية): الغفوري، خالد، مجلة المنهاج – العدد ٦– صيف ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م،٤٢.

(٣) مدخل إلى علم التفسير (دروس منهجية): أبو خمسين، هاشم عبد النبي: باقيات للنشر، قم– إيران، ١٤٣٦هـ، ١١٣.

(٤) ظ المصدر نفسه: ١١٤.

(٥) التفسير الموضوعي واشكاليات تحديد المصطلح: إقبال وافي نجم: ١٢٤٦.

(٦) المصدر نفسه: ١٢٤.

الموضوعي ثم سنبين ما انتظم فيه من أَشكال.

أولًا: مفهوم التفسير الموضوعي:

١- الموضوع لغة:

الواو و الضاد والعين: أصلٌ واحد يدلُّ على خَفْض الشيء و حَطِّه، سواء كان حسيًا أو معنويًا، والموضع: المكان الذي يوضع فيه الشيء، وتقول العرب: إِبِلٌ واضِعةٌ، أَي مقيمةٌ في الحمض ولم تتركه(١).

٢- الموضوع اصطلاحًا:

(هو ما يرمز إلى عنوان معرفي محدد تتوفر عليه مقدمات البحث مع حصول وحدة للعلاقة بين وحداته الذي صيغ البحث من أجله)(٢)، ومن هنا يتبين ان الجامع بين المعنى اللغوي والإصطلاحي للموضوع هو لزوم حالة معينة والثبات عليها.

٣- التفسير الموضوعي:

عرفه الشهيد الصدر بأنه: (الدراسة التي تطرح موضوعًا من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية وتتجه إلى درسه وتقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده)(٣).

يوسِع السيد الصدر دائرة الموضوع المدروس وتتسع من خلال تعريفه منطلقات التفسير الموضوعي؛ فهو ينطلق من موضوعات الحياة للقرآن الكريم وعرضها عليه، لتتحقق الثمرة وهي الخروج بنظرية قرآنية حول الموضوع المدروس، ووصفه بالدراسة فيه اشارة إلى خطوات علمية متتابعة تفضي إلى نتيجة مثمرة.

وعرفه السبحاني بأنه: (جمع الآيات الواردة في سور مختلفة حول موضوع واحد، ثمّ تفسيرها

---

(١) ظ: لسان العرب: ابن منظور، مادة (و، ض،ع) ٨/٤٠٠.

(٢) الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي في القرآن الكريم: جمال الدين، مرتضى، دار الوارث للطباعة والنشر، كربلاء-العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣هـ، ١٠٢.

(٣) المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر، دار الصدر (مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر)، قم – ايران، الطبعة الخامسة، ١٤٤١هـ، ٣٦.

جميعاً والخروج بنتيجة واحدة، وقد أُطلق على هذا اللون من التفسير بالتفسير الموضوعي)[١].

يصف السبحاني هذا النوع من التفسير باللون وهو يعرفه بذكر الخطوات التي تبدأ بجمع آيات الموضوع من القرآن الكريم، وتفسيرها، والخروج بنتيجة وهو بذلك يشير إلى التجميعي دون غيره وأما وصفه بأنه لون تفسيري فقد يفهم من المصطلح أنه ميل ذاتي ليس إلا على وفق ما عرفنا من مفهوم اللون كمصطلح في علم التفسير.

وعرفه الدكتور حكمت الخفاجي بأنه: (معرفة أحوال مجموعة من الآيات القرآنية في موضوع محدد، مرتبة على حسب النزول تارة، وغير مرتبة تارة أخرى من حيث دلالته على مراد الله تعالى بتيسير فهمه إلى المتلقي في كيان واحد، وهيأة تركيبية متجانسة، لا يفصل بينها فاصل، فيصب ذلك في بحث مستقل يكون موضوعه ما في الآيات من موضوع)[٢].

وهنا أحسن الدكتور حكمت الخفاجي في إقصائه شرط ترتيب الآيات حسب النزول الذي وضعه ممن سبقه كون الراكز في ذهنه موضوعات الأحكام التي تستلزم مثل هذا الترتيب والحق طبيعة الموضوع هي التي تحدد كيفية تناول الآيات وترتيبها، كما أنه أورد سمة مهمة للتفسير الموضوعي وهي تيسير ذلك المراد على المتلقي بجمع آيات الموضوع الواحد وهو تعريف بالخطوات وتناول التجميعي من التفسير الموضوعي دون سواه.

كما عُرِف بأنه: (محاولة الكشف عن مراد الله في مواضيع قرآنية محددة من خلال استقراء الأشباه والنظائر من الآيات واكتشاف النسبة بينها وبمساعدة قواعد التفسير للوصول إلى حقيقة قرآنية في مجال من المجالات)[٣].

وهو تعريف بالخطوات أيضًا: غير أنه ذكر فيه خطوة مهمة قد أولاها المُعرِّف أهمية كبيرة في كتابه وضمنها التعريف، وهي مرحلة الاستقراء، وهذا الاستقراء قائم على تتبع الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ضمن إطار الموضوع المبحوث، ثم إيجاد النسبة بين تلك النظائر، أما ذِكرُهُ لقواعد

---

(١) مفاهيم القرآن: السبحاني، جعفر، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم – ايران، الطبعة الرابعة، ١٤١٣ هـ،١/٨.

(٢) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته: الخفاجي: حكمت عبيد،٣٠ .

(٣) الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي في القرآن الكريم: جمال الدين، مرتضى: ١١٦.

التفسير من دون غيرها لا مبرر له ومن لوازم ما وصف بالتفسير أن يلتزم قواعد التفسير وأصوله ومناهجه ليحقق غايته وهي الكشف.

كما عرف بأنه: (علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر)[١]، وهذا التعريف هو الراجح عند الدكتور مصطفى مسلم لخلوه من التكرار واشارته إلى نوعي التفسير الموضوعي التجميعي والكشفي، ولكن وصفه بالعلم يوهم بأنه قسيم لعلم التفسير والحقيقة أنه جزء منه.

وعرف بأنه: (علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع)[٢].

وهذا التعريف كمن سبقه تعريف في الخطوات ويقال في وصف التفسير الموضوعي بالعلم ما قيل عن سابقه.

في حين تخلص الدكتور إقبال وافي بعد عرض جملة من التعريفات ومناقشتها باستفاضة إلى أن التفسير الموضوعي (اسلوب تفسيري يعتمده المفسر للكشف عن مراد الله تعالى من خلال موضوع محدد قرآني أو من موضوعات الحياة ومعرفة موقف القرآن الكريم منه للوصول إلى نظرية قرآنية أو رؤية شاملة له)[٣].

ويظهر للباحث أن الكثير من التعريفات الماضية أنها عرفت بالخطوات دون التعريف بالماهية.

إن جل التعريفات تطرقت إلى نوع واحد من التفسير الموضوعي وهو التجميعي التوحيدي من دون الكشفي ولعل ذلك راجع إلى كون معظم المعرفين لا يرون الكشفي نوعًا من الموضوعي أو هو خاص بسور محدودة ذات موضوع واحد لا سور القرآن الكريم كلها.

كما وصف التفسير الموضوعي بأنه لون أو اتجاه قد يوقع المتلقي بما يتضمنه هذان المصطلحان

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق- سوريا، ١٤٢٦هـ:١٦.

(٢) المدخل إلى التفسير الموضوعي: فتح الله سعيد، عبد الستار، دار التوزيع والنشر الإسلامي بورسعيد- مصر، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ:٢٠.

(٣) التفسير الموضوعي واشكاليات تحديد المصطلح: إقبال وافي نجم:١٢٥٥.

من ميل ذاتي والحقيقة أن التفسير الموضوعي خاضع لأصول التفسير وقواعده وضوابطه.

وكونه ذا خطة واضحة وخطوات مدروسة فتنطبق عليه صفات المنهج التفسيري ومدلوله غير أن توظيفه لأكثر من منهج تفسيري يجعل المتلقي أمام إشكال آخر وهو كيف للمنهج أن يوظف داخله مناهج ومقتضى التقسيم يستلزم المغايرة لذا نجد وصفه بالأسلوب مناسب لدفع ذلك الإشكال وكون الأسلوب يبين النمط الذي يستعمله المفسر في تتبع الآيات، غير أن من يرى في الأسلوب طريقة الكتابة التي يعتمدها المفسر فإن التفسير الموضوعي حينها سيكون عنده نوع من التفسير يضاف لأنواعه الأخرى.

إن من ترقى به لمرحلة وصفه بالعلم فكلامه مردود ولا يتطابق مع حقيقة التفسير الموضوعي، لأنه يلزم ان يختلف عنه في الغاية والهدف والموضوع وفي حقيقة الأمر هو أحد انواع علم التفسير ويندرج تحته ولا يغايره.

ثانيًا: أَشكاله:

إن متابعة عدد من الدراسات التي تناولت التفسير الموضوعي سواء على مستوى التنظير أو التطبيق تبين أنها تتفق على الشكل المشهور والمتبادر من التفسير الموضوعي وهو دراسة موضوع ما بجمع الآيات المتعلقة به من كل القرآن الكريم وهذا ما لا خلاف فيه وأنه هو المقصود الأول لهذا النوع من التفسير، وهنالك دراسة مصطلح قرآني معين وأيضًا جمع آياته والوصول إلى المراد منه فإن كان هذا الجمع والتتبع لهذا المصطلح بهدف الكشف عن مراد الله منه فهو داخل في النوع الأول، وإن كان غير ذلك كما في الدراسات اللغوية لمصطلح ما فحينها يخرج عن غاية التفسير وهي كشف المراد الإلهي واستخراج مقاصده وغاياته، ويبقى النوع الثالث الذي يتمثل بدراسة السورة القرآنية كوحدة واحدة وإيجاد محور جامع لها يجمع أجزاءها وهذا ما يصطلح عليه بالتفسير (الكشفي) لأنه يسعى للكشف عن وحدة السورة القرآنية، والمناسبة بين أجزاءها والمعنى الكلي الجامع لمقاطعها وهو

أيضًا محل خلاف بين المثبت والنافي لدخوله في التفسير الموضوعي[١].

ويخلص البحث إلى أن ما بين أيدينا من التفسير الموضوعي في مجالي التنظير والتطبيق شكلان من التفسير الموضوعي هما دراسة الموضوع بتتبعه في كل القرآن الكريم ودراسة السورة القرآنية ككل ببيان أغراضها الخاصة والعامة وتلاحم أجزائها، وهذان الشكلان هما ما سيتناولهما البحث قبال التفسير البنائي.

المطلب الربع: التفسير البنائي

وسنتعرف في هذا المطلب على مفهوم التفسير البنائي وماهيته

أولًا: لغة:

البَنْيُ: (نَقيضُ الهَدْم، بَنَى البَنَّاءُ البِناءَ بَنْياً و بِنَاءً و بِنًى، مقصور، وبُنْيَاناً و بِنْيَةً و بِنَايَةً و ابْتَنَاه و بَنَّاه، والمَبْنِيُّ يُرادُ به أَيْضاً البَيْتُ الذي يَسْكنُه الأَعْرابُ في الصَّحْراء) [٢]، وقصر مبني أي مشيد، فنجده في معناه تضافر على المبني المترابط والقائم.

ثانيًا: اصطلاحًا:

عرفه الدكتور البستاني صاحب هذا النوع من التفسير بأنه: (دراسة النص القرآني الكريم من خلال السورة بوصفها وحدة لغوية لها بناؤها الخاص المتمثل في نص تترابط آياته وموضوعاته وعناصره وأدواته بعضها مع الآخر بنحو ما)[٣].

كما عرف بأنه: (منهج تفسيري أدبي بلاغي، يندرج ضمن المناهج التفسيرية المعاصرة، اضطلع بتسميته الدكتور محمود البستاني – رحمه الله – فعُني فيه بدراسة السورة القرآنية الواحدة

---

(١) ظ: المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر،١٠. ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ٢٣-٢٩. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته: الخفاجي، حكمت عبيد: ٢٦-٢٨، مصادر التفسير الموضوعي: رحماني، أحمد، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ،٣٨، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: بإشراف مصطفى مسلم، الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ،١/١٠.

(٢) لسان العرب: ابن منظور: مادة (ب، ن، ي) : ٩٣/١٤.

(٣ التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود، مجلة المصباح الفصلية، العدد الأول – ربيع ١٤٣١هـ١٥١.

من الوجهتين الفنية والمعنوية معاً، فكشف عن الخيط الناظم والمعنى الجامع بين مكونات السورة الواحدة من مبدئها إلى خاتمتها، لإبراز وحدة نظامها اللغوي والمعنوي بين جميع مكوناته، وارتباط آياتها بعضها ببعض حتى تكون كالبنيان الواحد الذي يشد بعضه بعضاً، وبيان أن جميع القضايا التي احتوتها السورة المباركة ترتبط بخيط فكري واحد تسعى جميع آيات السورة الكريمة إلى بيانه وإتمامه)[١].

إن وصفه بالمنهج الأدبي غير دقيق فدراسة الجانب الفني إلى جانب المعنوي الذي هو الأصل ومحاولة توظيفهما في سبيل اثبات الترابط بين أجزاء السورة لا يجعل من هذا النوع من التفسير أدبيًا ووقوفه على عناصر بناء النص الفنية لا يمكن أن تجعل منه منهجًا أدبيًا بل إن الدراسة الفاحصة والتحليل الدقيق يثبت أن عماد هذا النوع من التفسير ومصدره الأساس تفسير القرآن بالقرآن إلى جانب المصادر التفسيرية الأخرى بالنحو الذي سيبينه البحث في فصوله القادمة، إلا أنَ بيان المعرِّفِ الهدفَ من الدراسة وأنه يدرس السورة هي أمور منطبقة على التفسير البنائي، وتُحسب للمعرف.

وعُرِّفَ أيضًا بأنه: (سَيرٌ في متن القرآن وضمن سوره المباركة للحصول على هدف واحد من خلال البناء اللغوي الخاصّ لها ارتباطها بين نص الآيات وموضوعاتها وعناصرها)[٢].

إن وصف التفسير البنائي بأنه (سير) ليس له أي دلالة فما طبيعة هذا السير وهو مصطلح مبهم لا دلالة له في مصطلحات التفسير، غير أنه يبين حدود البحث في السور القرآنية وكذلك يوضح أنه يبحث عن الترابط بين أجزائها.

في حين عدت الدكتور إقبال وافي التفسير البنائي أسلوبًا ثالثًا قسيمًا للموضوعي والترتيبي بقولها (أسلوب يعتمد على بناء النص القرآني، كونه وحدة واحدة متلاحمة متماسكة الأجزاء بألفاظه ومعانيه

---

(١) المنهج البنائي في تفسير القرآن الكريم عند الدكتور محمود البستاني: العتابي، أحمد حنون ميس، رسالة ماجستير / كلية الفقه –جامعة الكوفة ، ١٤٣٣هـ، ٤٥.

(٢) المدخل إلى تاريخ التفسير والمفسرين: مهر، حسين علوي: المترجم: جعفر الخزاعي، مركز المصطفى العالمي للترجمة و النشر، قم– إيران، ١٣٩٢هـ، ٤٣.

وكون السورة القرآنية بناءً كاملاً متكاملًا ودراستها بشكل شامل دون تجزئة آياتها ومقاطعها من بعضها بل بأسلوب ينبئ أن كل جزء آخذ بحجزة الجزء الآخر منها)[1].

إن أقرب وصف لحقيقة التفسير البنائي هو ما عرفه به صاحبه فهو نوع من التفسير يدرس النص القرآني الكريم من (خلال السورة) وهنا رسم المعرف حدود تلك الدراسة بأنها في نطاق السورة القرآنية التي يراها وحدة لغوية ذات بناء خاص متماسك الأجزاء وهو ما سعى لإثباته لكل سور القرآن الكريم، وأن تعريف أستاذتي الفاضلة الدكتور اقبال ليس ببعيد عن هذا المعنى بل هو الأقرب لما عرف به البستاني، وعندما وصفته بالأسلوب فإنها تقصد بيان ماهيته فالأساليب عندها ثلاثة أحدها البنائي أي أنه قسم أو نوع من التفسير يضاف للتجزيئي والموضوعي، غير أن وصفها له بأنه يعتمد على بناء النص القرآني، كونه وحدة واحدة متلاحمة متماسكة الأجزاء بألفاظه ومعانيه ثم عطف الحديث على السورة بالشكل الذي تضمنه التعريف قد يوهم الإطلاق الأول بأن التفسير البنائي يبحث ذلك التماسك في كل القرآن الكريم مرة وفي السورة الواحدة مرة أخرى والحقيقة أنه يبحثه في حدود السورة، ويحسب للتعريف ما اشتمله من قيد بعدم تجزئة السورة والتأكيد على دراستها باعتبارها كل واحد وهذا هو ما انماز به التفسير البنائي عن التجزيئي.

المطلب الخامس: الموازنة والتحليل

أولًا: الموازنة:

يمكن اجمال المعنى الاصطلاحي للموازنة: بأنها دراسة هادفة لإيجاد نقاط الاتفاق والإفتراق الدقيق بين الأنواع التي ترجع إلى أصل واحد[2].

وبما أن مدار البحث هو التفسير الموضوعي والتفسير البنائي اللذان يعودان لأصل واحد وحقل علمي خاص وهو التفسير؛ لذا كانت الموازنة فيما بينهما من جهة أصول التفسير أولًا لما تمثله من أرضية صلبة تبنى عليها قواعدهما التي أُفرد الفصل الثاني لبحثها والموازنة بينها، فيما كان الفصل

---

(١) التفسير الموضوعي واشكاليات تحديد المصطلح: إقبال وافي نجم، ١٢٤.

(٢) ظ: منهجا الأخفش والفراء في كتابيهما معاني القرآن دراسة موازنة: الياسري، عبد الكاظم محسن كاظم، مكتبة الثريا للحاسبة، النجف – العراق، ١٤٢٨هـ، ٣-٤.

الثالث لتحليل المصادر التفسيرية التي مثلت روافد هذين النوعين من التفسير والموازنة بين جميع ما سبق فقد ختم كل فصل من فصول الرسالة الثلاثة بالكشف عن نقاط الاتفاق والإفتراق لتشكل معطياتها مجتمعة فيما بعد خلاصة هذه الدراسة وما أفضت له من نتائج.

ثانيًا: التحليل:

التحليل: (هو تفكيك العناصر التي تتكون منها معرفة، أو ظاهرة، أو فكرة، أو نظرية، أو غيرها، ورصد مفاصل الموضوع قيد التحليل، والتفكير في الروابط القائمة بينه وبين باقي الموضوعات)[١].

وعُرف بأنه: (كل عملية فكرية تقوم على تفكيك مسألة أو فكرة إلى عناصر أكثر بساطة)[٢].

وبما أن البحث منطلق من معنى التفكيك الاصطلاحي فقد عمد إلى دراسة التفسير الموضوعي والبنائي بجانبيهما النظري والعملي وبتفكيك تلك النتاجات العلمية والنظر في أجزائها ظهر منه أبرز ما يقوم عليه كل واحد منهما من جهة الأصول والقواعد والمصادر، واثر كل ذلك على صيرورة هوية خاصة لكل واحد منهما.

---

(١) أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره: مصطفوي، محمد: ٣٨-٣٩.

(٢) معجم العلوم الإنسانية: دورتيه، جان فرنسوا: ترجمة: كتورة، جورج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، ٢٠.

الفصل الأول:
الاتفاق والافتراق بين أصول التفسير الموضوعي والبنائي

المبحث الأول: أصول التفسير وأقسامها

المبحث الثاني: أصول التفسير المعرفية

المبحث الثالث: أصول التفسير الإجرائية

المبحث الأول: أصول التفسير وأقسامها

وسنتناول فيه تعريف أصول التفسير وبيان ماهيته وأقسامه.

المطلب الأول: أصول التفسير:

إن مصطلح اصول التفسير مركب إضافي وبعد أن عُرف التفسير في التمهيد نعرف الأصول ثم تعريف هذا المصطلح كاملًا بجزأيه.

أولًا: الأصول

١- لغة: جمع أصل وهو في اللغة: أسفل الشيء، ومبدأه، وما قام عليه، واستند في وجوده إليه، فقيل في الأصل: إنه أَسْفَلُ الشيءِ، يقالُ: قَعَدَ في أَصْلِ الجَبَلِ، وقَلَع أَصْلَ الشَّجرِ، ثم كَثُرَ حتى قيلَ أَصْلُ كلِّ شيْءٍ ما يَسْتَنِدُ وجودُ ذلِكَ الشيْءِ إلِيه، فالأَب أَصْلٌ الابن و النَّهْرِ أَصْلٌ للجدول(١).

٢- اصطلاحًا: يطلق الأصل في الاصطلاح على معانٍ متعددة تلتقي مع التعريف اللغوي في أنها: الأساس الذي يبنى عليه الشيء، ومن تلك المعاني الدليل، والقاعدة العامة الجامعة المانعة، والوظيفة العملية، والمعنى الراجح وغيرها..، غير أنها عقلية لا حسية في هذا المقام(٢)، وما له علقة في البحث من تلك المعاني أنها أساس الشيء ودليله الذي يقوم عليه.

ثانيًا: أصول التفسير:

(الأصول: هي المناهج التي تحد وتبين الطريق الذي يلتزمه المفسر في تفسير الآيات الكريمة)(٣).

---

(١) ظ: تاج العروس: الزبيدي ١٨/١٤.

(٢) ظ: قواعد اصول التفسير في تهذيب الوصول للعلامة وكنز العرفان للسيوري: الملا، جبار كاظم، سكينة عزيز: راجعه وضبطه مركز العلامة الحلي لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ، ٣٨-٣٩. أصول التفسير (دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد): الفتلاوي، محمد كاظم، دار حدود للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، مطبعة دار الرافد للطباعة بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ،٣٥.

(٣) أصول التفسير وقواعده: العك، خالد عبد الرحمن، دار النفائس، بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ، ٣٠.

وهنا قد وصف التعريف الأصول بأنها مناهج ويعتقد الباحث أن الأصول شيء والمناهج شيء آخر، فالأصول تمثل الأسس التي تقوم عليها القواعد والمناهج وتثبت بها حجية المصادر التفسير لكنها شيء وتلك المصطلحات شيء آخر.

وعرفها فهد الرومي بأنها: (القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير وتشمل ما يتعلق بالمفسر من شروط وآداب وما يتعلق بالتفسير من قواعد وطرق ومناهج وما إلى ذلك)[١].

ووصفها بالقواعد والأسس فيه خلط خصوصًا إن قواعد التفسير صارت عنوانًا لأشياء ترتكز على أصول التفسير وتتفرع عنها ويظهر للباحث أن الأدق وصفها بالأسس فقط، كما إن التعريف ضم عناوين كثيرة خارجة عن أصول التفسير.

وعُرِفت كذلك بأنها: (علم يُبحث فيه عن القواعد والمصادر التي يتوصل بها إلى التفسير الصحيح لكتاب الله تعالى)[٢].

وهنا يظهر أن التعريف وصف أصول التفسير (بالعلم) وجعل مدار البحث فيه عن القواعد والمصادر التفسيرية غير أن أصول التفسير شيء والقواعد التفسيرية شيء آخر كما ذكرنا سابقًا، وإن إثبات الحجية لمصادر أو موارد التفسير هو ما يبحث في أصول التفسير لا عموم ما يتعلق فيها من جهة كيفية التوظيف ومقداره والتباين الحاصل بين مفسر وآخر في مقدار الأخذ من تلك المصادر وأيها أعتمد في تفسيره.

وبعد أن وصف المُعرف الأصول بالعلم كان لزامًا أن يوسع موضوعها لتشمل مباحث كثيرة أُجملها بقوله: (إن أصول التفسير تبحث في علم التفسير من حيث التعريف به ونشأته وتحديد قواعده وأسسه وحكمه وأقسامه وطرقه ومناهجه وأساليبه وأسبابه وأسباب وأنواع الاختلاف فيه ونحو ذلك)[٣].

---

(١) بحوث في أصول التفسير ومناهجه: الرومي: فهد عبد الرحمن، الناشر: مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ: ١١.

(٢) أصول التفسير: الفتلاوي، محمد كاظم:٣٦.

(٣) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الرومي، فهد:٣٨.

ويبدو للباحث أن أصول التفسير لا تتسع لهذا كله بل لها حدودها وموضوعها الخاص وهو البحث في الأسس الأولى للبناء التفسيري التي تقوم عليها فيما بعد القواعد التفسيرية.

كما عرفت بأنها: (الجمل الخبرية الحاكية عن الواقعيات المؤثرة في صحة عملية التفسير والفهم القرآني التي تمثل أساس التفسير الذي لا يمكن للمفسر الخروج عنه وتجاوزه)[١].

يبين المعرف هنا أن هذا المصطلح جديد، ويعتقد أن أصول التفسير من مباحث علوم القرآن وهي أسس للتفسير ينبغي على المفسر التسليم بها وعدم الخروج عنها وهي من الأصول الموضوعية السابقة لعملية التفسير[٢].

بعد ما تقدم يجد البحث أن تعريف الدكتور فاضل مدب والدكتور ساجد العسكري هو الأوفق مع حقيقة أصول التفسير (مجموعة من الأسس والمباني التي ينطلق منها المفسر قبل الخوض في عملية التفسير، فهي مجموعة من الأساسات التي تبنى عليها القواعد التفسيرية، التي تضبط عملية التفسير وتساعد في معرفة مراد الله)[٣].

وبهذا التعريف انمازت أصول التفسير عن قواعده، وبيَّن أن أصول التفسير هي معيار سابق لعملية التفسير وضابط لها وهي ما تستند عليه في وجودها، وبذلك التقى مع المعنى اللغوي للأصل في أنه أساس الشيء.

المطلب الثاني: أقسام أصول التفسير

تعددت تقسيمات أصول التفسير طبقًا لأساس التقسيم: فقد قُسّمت حسب نوع الدليل الذي تعتمد عليه على : قطعية، وظنية، وقريب منه التقسيم بمدى اعتبارها عند مفسر وعدم اعتبارها لدى آخر على: أصولٌ مسلَّمٌ بها وهي المعتبرة عند الجميع، وأصول مختلف بها، وآخر قسّمه على ما تتناوله تلك الأصول فسمى ما تسعى لإثبات صدور القرآن عن الله تعالى بالصدورية، في حين سمى ما

(١) مدخل إلى علم التفسير (دروس منهجية): ابو خمسين، هاشم عبد النبي، باقيات، قم المقدسة، ١٤٣٦هـ، ٨٤.
(٢) ظ: المصدر نفسه٨٣-٨٤.
(٣) أصول التفسير دروس منهجية: المسعودي، فاضل مدب، العسكري، ساجد صباح ،٥.

تنتظم به عملية التفسير والكشف عن المراد الإلهي بالدلالية[١].

وهنالك تقسيم قائم على تحليل الخطاب التفسيري وما بحث في كتب أصول التفسير قسمها إلى: أصول معرفية وهي تتعلق بالقبليات العقائدية للمفسر، وأصول مصدرية: يبحث فيها عن حجية المصادر التفسيرية، وأصول إجرائية: ويعني بها الأصول التي تظهر أثناء عملية التفسير كإجراءات عملية تساعد في فهم النص القرآني[٢].

ويظهر للباحث أن هذا التقسيم مناسب يحل التشابك بين تلك الأصول ويجعلها أكثر وضوحًا وأن تلك التقسيمات ستكون داخلة ضمن هذا التقسيم بل هو جامع لها وعلى أساسه ستقسم المباحث القادمة، غير أن البحث في حجية الأصول المصدرية أحيل إلى الفصل الثالث الذي خصص للبحث عن مصادر التفسير الموضوعي والبنائي فوجودها هنالك يجنب التكرار أو الإحالة المستمرة وتكون أوفق مع خطة البحث وخصص هذا الفصل للبحث في كل من الأصول المعرفية والأصول الإجرائية.

---

(١) ظ: أصول و قواعد التفسير الموضوعي للقرآن: التميمي، مازن شاكر، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية، كربلاء المقدسة، ١٤٣٦ هـ، ١٩٤-١٩٨، أصول التفسير دروس منهجية: المسعودي، فاضل مدب، العسكري، ساجد صباح، ٩.

(٢) ظ: أصول التفسير عند الإمامية (دراسة تأصيلية تحليلية): العسكري، ساجد صباح ميس، أطروحة دكتوراه تقدم بها إلى مجلس كلية الفقه بجامعة الكوفة، ١٤٤١هـ، ١٨-١٩.

المبحث الثاني: أصول التفسير المعرفية

إن الإصول المعرفية في أبسط معنى هي مبادئ أساس ينبغي أن يعتقدها المفسر قبل الدخول في عملية التفسير، ويشتمل هذا المبحث على خمسة أصول معرفية مع بيان أثر كل منها على التفسير الموضوعي والبنائي وما لازم أن يعتقد المفسر به قبيل الشروع بهذين النوعين من التفسير.

المطلب الأول: وحيانية القرآن الكريم:

ويُعنى بهذا الأصل أن القرآن الكريم هو وحي من الله تعالى بألفاظه ومعانيه وأن النبي صل الله عليه وآله أَدّاه إلى الناس كما أراد الله عز وجل بلا زيادة ولا نقصان وهو أصل مهم لا يمكن الشروع وممارسة التفسير دون الإيمان به، ويؤيد ما روي عن المقدام بن معد يكرب الكندي قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه الا أنى أوتيت القرآن ومثله معه[1]"

فينبغي على المفسر قبل الشروع في التفسير تحصيل الإيمان بأن القرآن الكريم كلام الله الذي أوحاه نصًا ومعنًى، وبيَّن فيه لنبيه تمام الرسالة، وأنه بلّغه للناس بثبات وثقة وأمانة، وأن القرآن الكريم معجز في نظمه وقيمه وتشريعاته واخباره بالغيب ..وغيرها من وجوه إعجازه، وقد تحدى الله تعالى جبابرة العقول والبلغاء على أن يأتوا بمثله فعجزوا، وأنه محفوظ من الزيادة والنقصان، ولم تطله يد التبديل أو التحريف[2].

وعدم الإيمان بهذا الأصل – أي القول ببشرية الوحي – له آثار كبيرة وخطيرة في كيفية التعامل مع النص القرآني المقدس، وحدود ذلك العمل وضوابطه ومنهجه، بل يفتح الباب على مصراعيه في

---

(1) مسند الامام احمد: ابن حنبل، احمد بن محمد، (ت٢٤١هـ)، المحقق شعيب الارنؤوط – عادل مرشد، وآخرون اشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٢) ظ: علوم القرآن (دروس منهجية): الحكيم، رياض: دار الهلال الطبعة الثالثة، ١٤٢هـ، ٨-٩٦، مصادر الوحي وأنواعه في القرآن الكريم: الأعرجي، ستار جبر، مركز الرسالة، قم- إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٤٢هـ، ٢٣٨- ٢٤١.

الفهم غير المتزن وكثرة التيه وتسلل الهوى[١].

أولًا: أثره في التفسير الموضوعي:

إن من الباحثين من أدرج هذا الأصل ضمن الأصول العامة للتفسير الموضوعي،[٢] ويبدو ذلك لما يحتاجه التفسير الموضوعي من إيمان راسخ بأن القرآن معجزة فوق كلام البشر، وهو معصوم له الصدارة في المصادر الدينية، وكلامه حجة على البشر، وحكمه وهداياته واجبة الإتباع.

ويخلص أحد الباحثين بعد دراسة الوحي موضوعيًا إلى أن النبي صلى الله عليه وآله (يتلقى من علو ما لا وسيلة عنده لاجتلابه ولا حيلة لدفعه، فهو مأمور طائع لا يملك من أمر الوحي شيئًا)[٣]، وأنه يستحيل أن يكون الوحي نتاج تجربة بل هو تلقين من الله للنبي صل الله عليه وآله هو مأمور بتبليغه للناس على وفق ما تقتضيه إرادة الله تعالى[٤].

وهذا النتيجة التي أفضى إليها بحث موضوع الوحي على وفق تفسيره موضوعيًا تثبت أنه من الأصول التي يعتقد بها المفسر الموضوعي كأصل جوهري مهم يكون مقدمة للإحتجاج بها على تقديم معطيات ونتائج بحثه على التجربة البشرية.

ويمكن بيان ذلك أكثر بنقل ما يخلص له الشهيد الصدر فيما سطّره عن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أن القرآن الكريم قيم وضابط للتجربة البشرية وفيه دواء لدائها ويمكن في هدي القرآن أن نتعرف على موقف السماء تجاه التجارب الأرضية وتقويمها تبعاً لفهم قرآني صحيح[٥].

ووجه الاستدلال بما أوجز من القول السابق أن من يجعل النص القرآني حاكمًا على التجربة البشرية لابد وأن يكون منطلقًا من هذا الأصل المقرر بأن هذا النص هو وحي من الله وهو فوق كلام البشر، لذا أمكنه أن يكون حاكمًا عليه، وإلا مع كونه كلام بشري فمن أعطاه الحق ليكون حاكمًا على النظرية البشرية ما دام يشابهها بشكل من الأشكال.

---

(١) ظ: أصول التفسير عند الإمامية: العسكري، ساجد: ٨٦-٨٨.

(٢) ظ: أصول و قواعد التفسير الموضوعي للقرآن: التميمي، مازن:٢٠٢.

(٣) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته :الخفاجي، حكمت: ٣٠٢.

(٤) ظ: نفس المصدر : ٢٤٣-٣٠٣.

(٥) ظ: المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر:٣-٤١.

من هنا تتجلى للبحث أهمية الإعتقاد بهذا الأصل التفسيري بالنسبة للمفسر الموضوعي وأنه ملزم بالإعتقاد به قبل الولوج إلى التفسير وأن قصد القرآن الكريم واستعلام رأيه نابع من أنه وحي من حكيم خبير.

ثانيًا: أثره في التفسير البنائي :

بالتتبع لما كتبه الدكتور البستاني عن التفسير البنائي يتضح أن هذا الأصل راسخ عنده، ويستنتج ذلك من خلال تأكيد الترابط بين أجزاء السورة الواحدة وما يطرح فيها من موضوعات وأنه دائمًا كان يكرر عبارة (النص) في حديثه عن نص السورة وبنائها، وأجزائها، ومكوناتها، وأدواتها، ودور كل ذلك في إظهار المراد الإلهي، وإنارة هدف النص المقدس، فيقول في معرض حديثه عن سمة القراءة الكلية للنص وأثرها (... إن العناصر والأدوات الدلالية واللغوية والشكلية وطرق صياغتها سوف تسهم في تعميق الاستجابة المطلوبة التي يستهدفها النص، إن ثمة خطوط متنوعة لبناء النص منها ما يتصل بعلاقة الآيات والمقاطع والموضوعات مع بعضها ومنها ما يتصل بخطوط العمارة طوليًا او أفقيًا أو توازيًا،... وما يتصل بالعناصر والأدوات الثانية التي يوظفها النص لإنارة هدفه)[١].

وهنا يتحدث عن دور ذلك النسق العجيب للنص القرآني المعجز في بزوغ شمس الهداية التي تقصدها السورة في سماء ذهن المتلقي.

وفي ما سطره عن القصة بعدّها إحدى أدوات النص القرآني وعناصره التي وظفها الله لبيان مراده عز وجل وبعد أن يقرر حقيقة البون الشاسع بين القصة القرآنية وما أثر في التراث العربي من موروث قصصي يذكر: (إن النص القرآني حينما استخدم العنصر المذكور – القصة– جسد أحد وجوه اعجازه)[٢].

ومن كلمة إعجازه لا يبقى شك في كون أن البستاني يعتقد بوحيانية النص القرآني وإعجازه.

ومن جملة العناصر التي يرصدها التفسير البنائي ويعتقد أنها وضعت في النص لإنارة أهدافه:

---

(١) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود، بحث منشور في مجلة المصباح، العدد الأول، ربيع ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ١٥.

(١) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود: ١٨٠.

العنصر الإيقاعي الذي يتمثل بالمفردة، والمركبة، والمقطع، والنص بعامته، من قبيل الفاصلة القرآنية، وتجانس الأصوات، وتوازن العبارات وتجانسها مع بعضها، وأصوات تلك العبارات.. وغيرها[1]، ونستنتج أن من يرصد كل ذلك لابد من أنه أقر بأصل وحيانية تلك الألفاظ وأنها كاشفة عن مراد الله تعالى، وأن هذا النظم العجيب لا يمكن أن يتأتى لبشر.

إن الدكتور البستاني يقرر أن التعامل مع النص القرآني ينبغي أن يكون بوجهة النظر الإسلامية، بعيدًا عن الاتجاهات المنعزلة عن السماء في نمط تعاملها مع النص، وأن دور المتعامل مع النص منحصر في كشف دلالته وتقريبها للمتلقي، وهذا واضح من خلال مطالعة رده على بعض المدارس النقدية وتعاملها العام مع النصوص في نقدها وتحليلها.

مما تقدم كله نعتقد أن الدكتور البستاني يقر بوحيانية القرآن الكريم بمعانيه وألفاظه وهذا الإقرار من لوازم تفسيره وما يصبو إليه من كشف لبناء السور القرآنية، وأن جميع أجزاء النص متماسكة بصورة هي فوق قدرة البشر وما يمكن أن يصلوا له في ميدان بناء النص المحكم.

المطلب الثاني: سلامة القرآن الكريم من التحريف

إن هذا الأصل فيه من الأهمية والخطورة؛ لأن عدم ثبوته والاعتقاد به يفضي إلى الشك في الاستدلال والاستنباط القائم على القرآن الكريم وينبغي للمفسر قبل الخوض في التفسير أن يقطع بسلامة كتاب الله من التحريف، أي أنه بلا زيادة ولا نقص.

وقد استدل على هذا الأصل بجملة من الأدلة العقلية والنقلية، ومن الأدلة العقلية إن افتراض زيادة أو نقصان شيء من القرآن نحو آية أو مطلب تام يفضي إلى إمكانية الإتيان بمثله، وهذا ما ثبت بطلانه بتحدي القرآن بأن يأتوا بمثله، إن افتراض الزيادة أو النقصان لا يتناسب مع اعجازه وتماسك أجزائه، فنلحظ النظم والترابط العجيب قائم في الكلمة والمقطع والسورة وفي كل القرآن، وأن كل شيء يسهم في هذا النظم القرآني العجيب المانع من دخول كلمة وتبديلها فضلًا عن المقطع

(١) ظ: التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود: ١٥-١.

والسورة كما أن حذف شيء من القرآن غير ممكن ودليل الإعجاز هو نفسه دليل الصيانة من الزيادة والنقص[١].

أما الأدلة النقلية فهي كثيرة، منها ما هو من القرآن الكريم نفسه فبعد تلك المقدمة العقلية السابقة يمكن الاستدلال بأية من جملة آيات تثبت سلامة القرآن الكريم من التحريف قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ ﴾[٢] وقال أهل التفسير أن الذكر هنا هو القرآن الكريم ومعنى الحفظ أن الله تعالى تكفل بحماية كتابه العزيز من أن يزاد فيه باطل ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه و حدوده و فرائضه، وأنه لا تطوله يد التحريف و التغيير[٣].

وهذا النص هو أحد النصوص القرآنية التي استدل بها على سلامة القرآن الكريم من التحريف بالزيادة أو النقصان.

أما من السنة فهنالك طائفة من الروايات الشريفة التي يستدل منها على سلامة القرآن الكريم من التحريف في مقدمتها حديث الثقلين الشريفين، وكذلك روايات فضل القرآن الكريم وعلوه وآداب تلاوته، وروايات العرض على القرآن الكريم، وسنورد منها حديث الثقلين المتواتر عند المسلمين[٤].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ و جَلَّ، وَ أَهْلَ بَيْتِي عِتْرَتِي؛ أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا و قَدْ بَلَّغْتُ، إِنَّكُمْ سَتَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَسْأَلُكُمْ عَمَّا فَعَلْتُمْ فِي الثَّقَلَيْنِ، و الثَّقَلَانِ كِتَابُ اللَّهِ- جَلَّ ذِكْرُهُ- و أَهْلُ بَيْتِي، فَلَا تَسْبِقُوهُمْ؛ فَتَهْلِكُوا، و لَاتُعَلِّمُوهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ)) [٥].

ووجه الاستدلال في الحديث أن التمّسِك بهما عاصم من الضلال وأننا مأمورون ومسؤولون عن

---

(١) ظ: أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن: التميمي، مازن: ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) سورة الحجر: الآية (٩).

(٣) ظ: جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، دار المعرفة بيروت- لبنان الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٤/ ١٥٠، مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، الفضل بن الحسن ت(٥٤٨ هـ): الناشر: ناصر خسرو، طهران- إيران، الطبعة الثالثة: ١٤١٣ هـ، ٥٠٨/٦.

(٤) ظ: سلامة القرآن من التحريف: زادگان، فتح الله، ٢٢-٢٨.

(٥) الكافي: الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ هـ)، ٢٥/٢، دار الحديث، قم -إيران، ١٤٢٩ هـ.

التمسك بهما وهذا ما لا يمكن مع تحريف الكتاب فـ(ان القول بالتحريف يستلزم عدم وجوب التمسك بالكتاب المنزل لضياعه على الامّة بسبب وقوع التحريف)[1].

بقي أن نعرف مدى حضور هذا الأصل في كل من التفسيرالموضوعي والبنائي.

أولًا: أثره في التفسير الموضوعي:

إن التفسير الموضوعي يحتاج قطعًا لهذا الأصل؛ لأن من غاياته بيان هدايات القرآن، والكشف عن نظرته ورؤيته للحياة البشرية، وتصويب التجربة البشرية، ورسم المسار الصحيح للإنسان، مضافًا إلى بيان عظمة هذا الكتاب، ووضع حلول ناجحة لمشكلات العصر، والرد على الشبهات وغيرها من الأهداف والغايات، التي يقصدها التفسير الموضوعي[2]، وهنا يُطرَحُ سؤال: هل يمكن تحقيق كل ذلك أو الشروع في السعي لتحقيقه دون من الإيمان بسلامة القرآن من التحريف بالزيادة والنقصان؟ والجواب القطعي هذا غير ممكن، فكما نعلم أن حدوث النقص في الكلام يخرجه عن معناه المطلوب وكذلك الزيادة فيه، وتلك الزيادة إن حدثت ستكون بشرية فكيف لها أن تقوم غيرها، ومن أين لها القوامة والحاكمية، وحينها لا مناص من الإيمان بأن القرآن الكريم بجميعه من لدن حكيم خبير.

وما سبق يثبت لنا أن التفسير الموضوعي يرتكز على هذا الأساس وأنه من جذوره المعرفية المهمة التي يقوم عليها وينطلق منها ساعيًا لتحقيق غاياته وأهدافه.

ثانيًا: أثره في التفسير البنائي:

يمكن اثبات إيمان المفسر البنائي بهذا الأصل من خلال ما يفصح به الدكتور البستاني من اعتقاد أن التفسير البنائي هو من أدلة إثبات عدم التحريف بالزيادة أو النقصان وإلا ما كان ذلك الترابط في النص فقد ذكر: (أن نفس البناء الهندسي للسورة القرآنية من حيث ترتيب موضوعاتها وعناصرها وانسجام ذلك بعضه مع الآخر وانسياق ذلك للموضوعات الفكرية، نقول كل ذلك يشكّل

---

(١) سلامة القرآن من التحريف: زادگان، فتح الله، ٢٢.

(٢) ظ: التفسير الموضوعي تعريف، أقسامه، مشروعيته، علاقته بأنواع التفسير الأخرى: الأخرس: كاظم قاضي زاده، بحث منشور في مجلة المنهاج- العدد ٤- خريف ١٤٢٨هـ-٢٠٠م، ٢٨- ٢٨١.

جوابًا لأية اعتراضات تقول بأن القرآن الكريم قد دخله التحريف)[1] نستنتج من طيات كلامه ومن مطالعة ما كتبه عن التفسير البنائي وما سبق بيانه في المطلب السابق أن هذا الأصل حاضر في تفسيره بل أن التفسير البنائي يعد من وجوه نفي التحريف بالزيادة والنقص لأنه يثبت حجم التلاحم ما بين أجزاء السورة القرآنية بحيث أن كل جزء ملتحم بالآخر في بناء هندسي إلهي معجز ورائع.

إن فرض الزيادة أو النقص يصبح أشبه بدخول جسم غريب يرفضه بناء القرآن الكريم ونظمه وكذلك النقصان سيجعل بعض حلقات النص لا تكتمل وبالتالي تبقى فجوة لا يمكن إكمالها بأي صورة كانت بل ستؤدي إلى إنفراط عقد السورة.

المطلب الثالث: إمكانية فهم القرآن الكريم وتفسيره

ينبغي على كل من أراد السعي لكشف مراد الله من كتابه أن يؤمن بأن هذا الكتاب قابل للفهم، ونحن مأمورون بتدبره والتفكر في معانيه، وأن الحاجة لبيان معاني القرآن الكريم وتفسيره واستخراج مكنون معارفه تحتاج إلى بذل جهد؛ فهذا البحر الزاخر بالمعارف والحكم والارشادات يعطي كلًا بقدره، وبقدر ما وَطَنَّ له نفسه من السعي.

إن معاني القرآن الكريم على مراتب وأقسام متعددة كما يرى الشيخ الطوسي في معرض بيان كيفية الجمع بين الروايات المانعة من القول بالقرآن بالرأي وبين الآيات الداعية للتدبر في كتاب الله وذم من لا يقصد هذا الكتاب المبين ليغترف من معينه فيقول: (إن معاني القرآن على أربعة أقسام: أحدها- ما اختص اللَّه تعالى بالعلم به، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه، و لا تعاطي معرفته،... ثانيها- ما كان ظاهره مطابقاً لمعناه، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها، عرف معناها، ... و ثالثها- ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلا. مثل قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ، وَآتُوا الزَّكاةَ﴾ و ما أشبه ذلك، فإن تفصيل أعداد الصلاة وعدد ركعاتها، لا يمكن استخراجه إلا ببيان النبي صلى الله عليه وآله و وحي من جهة اللَّه تعالى، فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه، يمكن

(١) محاضرات في علوم القرآن الكريم: البستاني، محمود، ١٦٠، مؤسسة البلاغ، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

ان تكون الاخبار متناولة له، و رابعها- ما كان اللفظ مشتركا بين معنيين فما زاد عنهما، و يمكن ان يكون كل واحد منهما مراداً، فإنه لا ينبغي أن يقدم أحد به فيقول: إن مراد اللّه فيه بعض ما يحتمل- إلا بقول نبي أو إمام معصوم- بل ينبغي أن يقول: إن الظاهر يحتمل لأمور، و كل واحد يجوز أن يكون مراداً على التفصيل، اللّه أعلم بما أراد، و متى كان اللفظ مشتركًا بين شيئين، أو ما زاد عليهما، و دل الدليل على انه لا يجوز أن يريد إلا وجهاً واحداً، جاز أن يقال: إنه هو المراد، و متى قسّمنا هذه الأقسام، نكون قد قبلنا هذه الأخبار و لم نردها على وجه يوحش نقلتها و المتمسكين بها، و لا منعنا بذلك من الكلام في تأويل الآي جملة)[1].

يتضح مما سبق أن معاني القرآن الكريم فيها تفاوت وأن فهمها يحتاج إلى بحث وعناية وتفتيش بين القرآن الكريم والسنة الشريفة واللغة وما يحتمله اللفظ والسياق وغيرها من الأدوات والمعارف التي تلزم لفهم أعمق لمعاني القرآن الكريم وأن منها ما لا يجب تكلف القول به بل الإيمان والتسليم له.

ويقرر صاحب تفسير الصافي الحاجة للتفسير وأنها سبيل لفهم المقصود من الآيات وفق مناهج قد بينها في المقدمة الثانية عشرة ضمن تفسيره وفي مقدمة تلك المناهج القرآن بالقرآن والقرآن بالسنة[2].

إن شمولية القرآن الكريم، بعدّه كتاب هداية للبشرية حتى قيام الساعة، فضلًا عمّا حمله من تشريعات وهدايات، وتضمنه من إعجاز، وما امتازت به ألفاظه من دلالات، يضاف إلى روعة أسلوبه وبلاغته وأسرارها ومحكمه ومتشابه وعامه وخاصه وبيانه العظيم، وهذا يستلزم العناية الفائقة بتفسيره ودراسته فتلك أمور يجب لغرض إدراكها الإحاطة بعلوم شتى ومعارف كثيرة وثقافة عالية؛ ومن هنا كان لزامًا السعي لتحصيل العلوم اللازمة وبذل الهمم ببيان تلك الهدايات وبذل الجهد في

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، محمد بن الحسن (٤٦٠) هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان الطبعة الأولى، ١/ ٥-٦.

(٢) ظ: تفسير الصافي: الكاشاني، محمد بن مرتضى ت(١٠٩١) هـ، مكتبه الصدر، طهران- إيران الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ، ٦/١.

كشف مراد الله تعالى[١].

غير أن هذا الفهم والتفسير لابد أن يكون خاضعًا لضوابط، ومقيدًا بقواعد وموارد ومناهج وادوات التفسير، ولا يتبع لميل وبعيد عن الإتجاهات العقائدية والرغبات والأهواء السياسية، أو ما يبرع به المفسر من ألوان معرفية، كما ينبغي أن يحرز المفسر ما يلزم من شروط وآداب ينبغي له أن يتحلى بها قبل الإقدام على التفسير فبدونها سيكون عرضة للتيه والخطأ[٢].

إذا ما أدركنا الحاجة للتفسير وإمكانية ذلك بوجود القواعد والشروط والضوابط التي تضمن عدم الزيغ فنبحث الآن عن لازم هذا الأصل بالنسبة للتفسير الموضوعي والبنائي.

أولًا: أثره في التفسير الموضوعي:

نجد الإيمان بآمكانية التفسير أصل مهم جدًا لمن أراد الخوض بتفسير القرآن الكريم على أساس موضوعي فلابد من أنه وجَد حاجة ومسوغًا لوجود مثل هذا الأسلوب من التفسير، وفضلًا عن ذلك يمكن أن يكون مسوغًا للتفسير الموضوعي ومثبتًا لإمكانيته فيمكن القول إن التفسير التجزيئي هو خطوة سابقة من التفسير سخرها الموضوعي بعدها خطوة متقدمة من هذا العلم لمزيد من الكشف والوضوح في المراد الإلهي، فالتجزيئي يوفر عددًا كبيرًا من المعارف والمدلولات القرآنية[٣]، ليأتي التفسير الموضوعي ويرسم لنا الخيوط والصّلات بينها ويربط بين المعلومات ويحولها إلى مجاميع فكرية يمكن من خلالها الكشف عن نظرة القرآن والرؤية الإسلامية للموضوع المدروس على وفق حكمة السماء.

كما أن الحاجة لمعرفة القيم القرآنية والحوار مع القرآن الكريم وسؤاله عن أمراض العصر وطريقة

---

(١) ظ: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: الصغير، محمد حسين علي، دار المؤرخ العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ،٢٣–٢٩.

(٢) ظ: أصول التفسير وقواعده: العكّ، خالد عبد الرحمن، دار النفائس، بيروت– لبنان الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ هـ، ١٨٣–١٨٦.

(٣) ظ: المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر:٣١–٣٤.

السماء في علاجها حاجة مهمة؛ فقد سبق للقرآن الكريم أن منح المجتمع الجاهلي الذي يعيش ظلمات الجهل نورًا يمشي به بين الأمم وجعل من أناس متناحرين مجتمعًا تحكمه أنظمة وقوانين أثبتت أنها صالحة في كل زمان والنفس الإنسانية تواقة لمعرفة تلك النظم وللتفسير الموضوعي القابلية على أن يكشف لنا جزءًا من هذا العطاء الذي لا ينفد(١)، ويثري البشرية برؤية إسلامية قرآنية تكون علاجًا ناجعًا لآلامها وذلك من خلال استجلاء رؤية السماء لجوانب الحياة البشرية وتصحيحها وعرضها للمتلقي موضوعيًا ليسهل عليه قصد ما يحتاجه ويتطلع لمعرفته.

وخلاصة القول لا يمكن الشروع بهذا النوع من الحوار مع القرآن الكريم أو محاولة الكشف عن هداياته ما لم يسبق للمفسر الموضوعي الإيمان بهذا الأصل وأن للتفسير الموضوعي هذه الإمكانية من الكشف.

ثانيًا: أثره في التفسير البنائي:

المفسر البنائي يؤمن بإمكانية التفسير وأن له القدرة على كشف الإستجابة التي تحصل للمتلقي من السورة القرآنية الكاملة بعدها كلًا واحدًا، وأن الإسلوب البنائي يساعد في الكشف عمّا سبب تلك الإستجابة من خلال الكشف عن الصلة بين كل آية وما قبلها وما بعدها وصلة كل مقطع مع الآخر وتماسك مقاطع النص وأجزائه وصلة ذلك كله بالعناصر والأدوات الفنية التي وظفها النص من أجل ترك ذلك الأثر الكلي(٢).

فهو يبحث عن المعنى الكلي الذي يكون حصيلة جزئيات النص من الكلمة والآية والمقطع ثم مجمل السورة وكل ذلك يحتاج إلى كشف معانيها وتجلية مفاهيمها ولماذا انتظمت بهذه الصورة دون غيرها ثم الخلوص بنتيجة نهائية كاشفة عن مراد الله تعالى في هذه السورة إذا عُلم كل ذلك أُدرك أثر هذا الأصل وأنه لا مناص للمفسر البنائي قبل تدقيق النظر والسعي لكشف الخيط الدقيق الناظم

---

(١) المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر، ٣٩-٤١، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته: معرفة، محمد هادي، مجلة المصباح القرآنية العدد ١٩، خريف (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م) ، ٥٩-٦١.

(٢) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود، مجلة المصباح الفصلية، ١٥١-١٥٣.

والعلاقة البنائية للنص من الإيمان بهذا الأصل.

المطلب الرابع: حجية الظواهر القرآنية

من الأصول المهمة للمتعامل مع النص القرآني بوصفه ساعيًا للكشف عن مراد السماء التي يجب أن يؤمن بها هو: أن ظواهر النص القرآني حجة، وهذا الاعتقاد من الأسس المهمة التي يقوم عليها التفسير، غير أن بعض العلماء يعتقد أن فهم النص القرآني منحصر بالمعصومين عليهم السلام مستدلين على ذلك بجملة من الأدلة.

فقد يستدل القائلون بنفي حجية ظواهر الكتاب بقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْويلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ ﴾[1]، ووجه الإستدلال بالآية منع العمل بالمتشابه، وكل ما لا يكون نصًا فهو متشابه.

وقد أجيب عن هذا الإشكال بما نوجزه أن اللفظ الظاهر ليس من المتشابه، إذ لا تشابه ولا تكافؤ بين معانيه في درجة علاقتها باللفظ ولو كان المتشابه من الظاهر فالآية هي في سياق ذم من يلتقط المتشابهات فيركز عليها بصورة منفصلة عن المحكمات ابتغاء الفتنة[2].

وإن القائلين بحجية ظواهر الكتاب لا يقصدون حجية كل ما في الكتاب، بل يميزون بين المحكم والمتشابه وينكرون القول بالرأي ولكن التمييز بين المحكم والمتشابه ممكن للباحث المتأمل، ولا يعني القول بحجية الظاهر جواز التسرع بالعمل به من دون فحص كامل عن كل ما يصلح لصرفه عن الظهور في الكتاب والسنة، وإن القول بالظاهر لا يعني أنه يصح لكل أحد الأخذ بظواهره وإن لم

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ٤٠.

(٢) ظ: دروس في علم الأصـــول (الحلقة الأولى والثانية): الصـــدر، محمد باقر: إعداد وتحقيق لجنة التحقيق للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ٣٠٥-٣٠٦.

تكن له سابق معرفة وعلم ودراسة لكل ما يتعلّق بمضمون آياته[١].

يضاف إلى ما سبق أن الآية ليست نصًا بل ظاهرة بالنهي وهذا الظهور يشمله النهي نفسه، فيلزم من حجية ظاهر الآية في إثبات الردع عن العمل بظواهر الكتاب الكريم نفي هذه الحجية[٢].

كما استدل الرافضون بطائفة من الروايات يفهم منها أن القرآن الكريم مبهم وغامض قد استهدف المولى ذلك لأجل تأكيد حاجة الناس إلى الحجة، وأن غير المعصوم لا يصل إلى مستوى فهمه نحو قول الإمام الباقر: ((إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ))[٣]، وقوله عليه السلام: (لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآن))[٤]، الذي استدل به على عجز العقل عن فهم القرآن الكريم وعدم جواز الإستقلال عن الحجة.

وقد أُجيبَ عن الرواية الأولى ومثيلاتها بما محصله أمران الأول: أن هذه الروايات ضعيفة السند وقد اختص بها الضعاف دون فقهاء أصحاب الأئمة وهذا يدل على عدم اعتبارها، والثاني أن هذه الروايات تخالف القرآن الكريم وبيانه عن نفسه انه تبيان لكل شيء وهدىً وبلاغ.[٥]

أما الرواية الثانية فهي لا تدل على عدم جواز العمل بالظهور مع البحث في كلمات المعصومين وعدم وجود قرينة صارفة عن الظاهر، وحينها يكون الفهم ليس استقلالًا بالعقل عن الحجة[٦].

كما استدل النافون بما دلَّ من الروايات على النهي عن تفسير القرآن بالرأي[٧] وأجيب عنها بما

---

(١) ظ: أصول الفقه: المظفر، محمد رضا، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة السابعة ، ١٤٣٤هـ، ١٦٣- ١٦٤.

(٢) دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى والثانية): الصدر، محمد باقر: ٣٠٦.

(٣) الكافي: الكليني، ٣١٢/٨.

(٤) تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: العاملي، محمد بن حسن، مؤسسة آل البيت عليهم السلام – قم – إيران، ١٤٠٩، ١٩٢/٢.

(٥) ظ: دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى والثانية): الصدر، محمد باقر: ٣٠٦-٣٠.

(٦) ظ: المصدر نفسه: ٣٠.

(٧) وسائل الشيعة: الحر العاملي،١٦/٢.

نذكر موجزه: بأن كلمة «الرأي» منصرفة كمصطلح وشعار لا تجاهٍ فقهي واسع ظهر في زمن النص، فلا تشمل الرأي المبني على قريحة عرفية عامة، وإن إطلاق الروايات المذكورة للظاهر لا يصلح أن تكون رادعًا عن سيرة العقلاء والمتشرعة على العمل بالظواهر[١].

كما أن هنالك جملة من الأدلة يمكن الاستدلال بها على حجية القول بالظواهر القرآنية[٢] منها قوله تعالى: ﴿ أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا ﴾ وهي آمرة بالتدبر بآيات الله وقد رغّب النبيّ صلى الله عليه و آله في الرجوع إلى القرآن عند مدلهمّات الأُمور و عرض مشتبهات الأحاديث عليه، و هكذا ندب الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام إلى فهم الأحكام من نصوص الكتاب.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ((ما أنعم اللّه على عبد، بعد الإيمان باللّه، أفضل من العلم بكتاب اللّه و المعرفة بتأويله))[٣].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ((ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر))[٤].

كما أنهم استدلوا بروايات العرض على القرآن الكريم منها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله : ((إنّ على كلّ حقّ حقيقةً، و على كلّ صواب نورًا، فما وافق كتاب اللّه فخذوه، و ما خالف كتاب اللّه فدعوه))[٥].

كما يمكن الاستدلال بأمر المعصومين صلوات الله عليهم أتباعهم بإرجاع الشرط للقرآن الكريم نحو ما روي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أنه قَالَ: ((مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطاً مُخَالِفاً لِكِتَابِ اللَّهِ فَلَا يَجُوزُ لَهُ وَ لَا يَجُوزُ

---

(١) ظ: دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى والثانية): الصدر، ٣٠٦.

(٢) ظ: التمهيد في علوم القرآن: معرفة، محمد هادي، مؤسسة التمهيد للثقافة والنشر، قم – ايران ، ٤/٩-٩.

(٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: المجلسي، محمد باقر بن محمد تقى، دار إحياء التراث العربي، بيروت– بيروت لبنان، ١٤٠٣ هـ،٨٩/ ١٨٣.

(٤) معاني الأخبار: ابن بابويه، محمد بن علي (ت:٣٨١)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى، قم – ايران، ١٤٠٣ هـ. ٢١٥.

(٥) الكافي: الكليني: ٦٩/١.

عَلَى الَّذِي اشْتُرِطَ عَلَيْهِ وَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ فِيمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ))[1].

ونخلص من كل ما سبق أن ظواهر القرآن الكريم حجة وأن العمل بالظاهر شيء والقول بالرأي شيء آخر.

أولًا: أثره بالنسبة للتفسير الموضوعي:

التفسير الموضوعي يقوم بجمع الآيات المتضمّنة لحقائق وأحداث ووقائع متعلقة بالموضوع وترتيبها لتتجلى وجهة نظر القرآن الكريم بشأنه كما يرى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ثم يقرر أنّ القرآن يفسّر بعضُه بعضاً، ثم يجعل من موضوع الشفاعة مثالًا يبيّن ما يمكن للتفسير الموضوعي حلّه فيذكر: فيما يخص مسألة الشفاعة فقد ورد في بعض الآيات أصل إمكان الشفاعة وفي بعضها الآخر شروطها وأخرى في المشفَّع لهم وفي بعضٍ تُنفى الشفاعة عن الجميع ما عدا اللَّه تعالى وفي بعضها الآخر ثبتت الشفاعة لغير اللَّه، فنجد أنَّ حالةً من عدم الوضوح تحيط بأُمور الشفاعة بدءا من حقيقة الشفاعة وحتى سائر الشروط والخصوصيات الأُخرى، ولكن عندما نأخذ آيات الشفاعة من القرآن ونضعها بجانب بعضها ونفسّرها في هدي بعضها يرتفع هذا الغموض ويُحلّ الابهام على أحسن وجه[2].

نستنتج من البيان السابق أن المفسر الموضوعي لابد له وهو يمارس تفسير القرآن الكريم من الإيمان بهذا الأصل، فعماد عمله قائم على بيان القرآن الكريم بالقرآن، ولا مناص له من أن يؤمن بحجية الظواهر القرآنية وأنه سيهتدي بتلك النصوص المباركة وصولًا لكشف مراد الباري عز وجل بخصوص الموضوع المدروس، وإن ضم ما كان ظاهرًا لنص أو ظاهر آخر يجعل كل آية تزيد من بزوغ الآية الثانية وصولًا إلى رؤية قرآنية واضحة الدلالة لا شك فيها.

ثانيًا: أثره في التفسير البنائي

---

(١) الكافي: الكليني: ١٦٩/٥.

(٢) ظ: نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم – إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٨/١-٩.

يبحث التفسير البنائي عن الكُل، وما تتركه السورة الواحدة من أثر في المتلقي، وعمارتها المحكمة وجمال التناسق بين عباراتها، فهو لم يقف عند نصوص السنة الشريفة وما كشفته، بل نراه جال في فكره وتأمل ودقق في عناصر النصّ القرآنيّ الشريف ووظّف ما امتلك من خزين معرفي وثقافة عالية فدرس الجانب الجمالي للسورة وسحر بيانها والسور الخفي الذي أحاط مواضيعها، وتتبع العصب الدقيق الذي يتسلل داخل أجزاء السورة مكونًا محورها الأساس وما ارتبط به من مواضيع ثانوية ذات علاقة بهذا المحور وتدور حوله، وما يفضي له ظاهر النص القرآني من الأثر عند المتلقي والقارئ للسورة المباركة(١).

يبدو مما سبق أن دراسة تفسيرية جديدة تكشف هذا كله لابد وأن تكون تعاملت مع ظواهر النص القرآني وما اشتمل عليه من عناصر بيانية وفنية مكنتها من الكشف عن الوحدة البنائية للسورة المباركة، ولم تقف عند حدود السنة الشريفة في بيانها للآيات غير أنه قصدها لضمان عدم المعارضة لما صح منها.

المطلب الخامس: شمولية القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان

يُمثل القرآن الكريم تمام رسالات السماء وهو المهيمن عليها جميعًا ومعجزة الله الخالدة لهداية الناس أينما كانوا ومتى حلّوا في هذه الحياة؛ ولهذا السبب يلزم أن تكونَ تشريعاته وقوانينه وهداياته قادرة على الوفاء بحاجات الفرد والجماعة، وصولًا بالإنسان إلى الفلاح.

ومن الأدلة التي تُثبت شمولية القرآن قوله تعالى: ﴿وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(٢) أي بيان كل ما يحتاجه الناس من حلال وحرام ورسم لحدود الله وأوامره ونواهيه و لكل أمر مشكل، وقال أهل التفسير المراد بالعموم هو من أمور الدين: إمّا بالنص عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلّى اللّه عليه وآله والحجج القائمين مقامه، أو إجماع الأمة أو الاستدلال، لأن

(١) ظ: محاضرات في علوم القرآن الكريم: البستاني، محمود: ٤١٨-٤٢٢.

(٢) سورة النحل: الآية ٨٩.

هذه الوجوه أصول الدين و طريق موصلة إلى معرفته[١].

ومن جملة ما فضل الله به نبيه محمد صلى الله عليه وآله بعثته بالقرآن إلى الخلق كافة كما قال تعالى: ﴿ وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾[٢]، وجعله رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ﴾[٣]، وبجعله خاتمًا للنبوة كما قال تعالى: ﴿ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[٤]، وبإيتائه قرآنًا مهيمنا على جميع الكتب و تبيانا لكل شيء ومحفوظًا من تحريف المبطلين، ومعجزًا باقيًا ببقاء الدنيا كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾[٦]، و باختصاصه بدين قيم يقوم على جميع مصالح الدنيا و الآخرة[٧].

ومن الروايات الدالة على خلود القرآن الكريم قول مولانا الباقر عليه السّلام: ((وَ لَوْ أَنَّ آيَةً نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ ثُمَّ مَاتُوا أُولَئِكَ مَاتَتِ الْآيَةُ إِذَا مَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ إِنَّ الْقُرْآنَ يَجْرِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَ آخِرِهِ إِلَى أَوَّلِهِ مَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْض))[٨].

وفي بيان القرآن الكريم لما يحتاج إليه الإنسان مضافًا إلى خلوده ما روى العياشي عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: ((قيل لرسول الله صلى الله عليه و آله: إن أمتك ستفتتن فسئل ما المخرج من ذلك فقال: كتاب الله العزيز الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ

---

(١) ظ: جامع البيان فى تفسير القرآن : الطبري، ١٤/ ١٠٨. التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٦ / ٤١٨.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٥) سورة المائدة:٤٨.

(٦) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٧) الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي،٣١٣/٢.

(٨) تفسير فرات الكوفي: الكوفي، فرات بن ابراهيم، مؤسسة الطبع و النشر في وزارة الإرشاد الإسلامي – طهران– إيران، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، ٣٨–٣٩.

حَكِيمٍ حَمِيدٍ، من ابتغى العلم في غيره أضله الله– و من ولي هذا الأمر من جبار فعمل بغيره قصمه الله– و هو الذكر الحكيم و النور المبين و الصراط المستقيم، فيه خبر ما قبلكم و نبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم و هو الفصل ليس بالهزل، وهو الذي سمعته الجن فلم تناهى أن قالوا «إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ» ولا يخلق على طول الرد، ولا ينقضي عبره ولا تفنى عجائبه))[1]

وهنالك العديد من الآيات والروايات التي تبيّن هذه الحقيقة وتثبتها بشمول القرآن الكريم وخلوده وصلاحية تشريعاته وحكمه وهداياته وجريانها مع الزمن ومن أراد المزيد يمكنه العودة للتمهيد[2]، أما هنا فيمكن إيراد الأقوال في مساحة شمولية القرآن الكريم وهي ثلاثة: هنالك من يرى شموله المطلق لكل العلوم والمعارف و جميع ميادين الحياة الإنسانية، في حين يرى آخرون أن القرآن شامل لجميع الأمور وتشريعاته تغطي جميع حاجات الإنسان و تهديه سبل السعادة، في حين يعتقد آخرون أن القرآن شامل قياسًا بالكتب السماوية السابقة و هو مهيمن على كل ما فيها من أحكام[3].

ويمكن القول من خلال نظرة شاملة إلى مجموع الآيات والروايات: إنّ شمولية القرآن مقبولة فيما يتعلّق بجميع المعارف المطلوبة لهداية البشر سواء كانت في الأحكام أو العقائد أو التاريخ أوكلّ ما هو مؤثّر في هذا المجال، وأمّا شموليته المطلقة فليس من الممكن استنباطها من ظواهر ألفاظه، بل يمكن أن تكون من خلال الإشارات التي تكشف الأسرار والزوايا الخافية التي يعدّ الفهم المتعارف عليه للمخاطبين محروماً منها؛ وبناء على ذلك فإنّ الشمولية المطلقة للقرآن مقبولة فيما يتعلّق بالنبيّ صلى الله عليه و آله وأهل البيت عليهم السلام الذين تكشّفت لهم بطونه[4].

والباحث يتفق مع ما أوجز سابقًا وأن القرآن خالد باقٍ شامل لكل ما يوصل الإنسان إلى الفلاح في الدنيا والآخرة لما وفره من تشريعات وأحكام وهدايات وبيان وما أصّله من أصول ينير للإنسان طريق الهداية.

---

(١) تفسير العيّاشي: العياشي، محمد بن مسعود، المطبعة العلمية طهران– إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ، ١/ ٦.

(٢) التمهيد في علوم القرآن: معرفة، ٦/٢٨٤-٢٨٩.

(٣) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة: الريشهري، محمد المحمدي، دار الحديث، قم –إيران، ٣٦٦ –٣٠.

(٤) المصدر نفسه: ٣٢.

ومن المهم الإشارة إلى أن عدم الإيمان بأصل الخلود والشمول له آثار عظيمة على القرآن الكريم بوصفه أهم مصادر التشريع الإسلامي والحاكم على غيره منها، ومن تلك الآثار يصبح القرآن منتجًا ثقافيًا تحكمه ظروف زمانه، وأن دلالاته متغيرة طبقًا للزمان والمكان، ويصبح الواقع هو من يقود التفسير وتنتج عندنا أفهام متعددة لكل زمان حسب ما يمليه ذلك الواقع، وتصبح تشريعات زمن النزول غير مجدية في المستجد من الزمان وهو أمر في غاية الخطورة[١].

أولًا: أثره في التفسير الموضوعي:

يمكن القول إن أصل شمولية القرآن الكريم وصلاحيته لازم للتفسير الموضوعي فيقرر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره الموضوعي أن القرآن الكريم (غير متعلق بمكان وزمان معين)[٢]، من تفكيك وتحليل تلك العبارة الموجزة يمكن استنتاج أن القرآن الكريم مستمر في تربية الأمة، وأن انطلاق الممارس للتفسير الموضوعي من أصل الشمولية والخلود يجعله يسير بثبات ورغبة كبيرتين لاستنطاق القرآن الكريم وسؤاله عن مختلف جوانب الحياة (فالقرآن على محدودية حروفه وتناهيها اللفظي صيغ بطريقة إلهية جعلت معانيه غير متناهية،... وهذا يعني أن القرآن الكريم محيط بكل الموضوعات التي تدهم البشرية وتحتاجها مهما استمر الزمان وأننا عبر العودة المنهجية للقرآن يمكن أن نجد ذلك، ومن هذا أن نتصيد ما اتصل بالموضوع ولو تفرقت أماكن المعالجة والعرض)[٣]، فمن انطلق من الحياة وموضوعاتها وعاد للقرآن الكريم سائلًا إياه عن رأيه بالتعامل مع هذه المستجدات لابد وأن يكون في حراكه هذا منطلقًا من اعتقاد راسخ بأن القرآن الكريم معجزة خالدة وعلاج ناجع يستشفى به من كل ضلال وفي كل زمان ومكان، وأنه قادر على تقديم هداياته لموضوعات الحياة المتكثرة.

ثانيًا: أثره في التفسير البنائي:

---

(١) ظ: أصول التفسير دروس منهجية: المسعودي، فاضل، العسكري، ساجد،٥٣.

(٢) نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم، ٨/١.

(٣) التدبر الموضوعي في القرآن الكريم (قراءة في المنهجين التجميعي، والكشفي): آل موسى، علي، دار كميل للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ١٤٣٠هـ، ١٨٠–١٨١.

يعتقد البستاني أن إعجاز القرآن الكريم طرح عبر محاور عدة منها ثلاثة تنسب للعلوم وهي العلوم الطبيعية، والعلوم البحتة والعلوم الإنسانية، ويقرر حقيقة شمول إعجازه لتلك الحقول المعرفية وهذا واضح في قوله (إن القرآن الكريم يتمثل اعجازه في كل المحاور الثلاثة)[١] ويرى أن دراستها تحتاج إلى مختصين في كل جانب من تلك المعارف ويقرر عجز مختص واحد عن الكشف عما في القرآن الكريم من سعة وشمول فيذكر: (أما أن يتناول باحث واحد كل هذه الأنماط من المعرفة فأمر لا يمكن أن يتاح لأحد مهما أوتي من العلم)[٢].

يتَّضح للباحث أن صاحب التفسير البنائي يقر بشمولية القرآن الكريم وخلوده ويقرر أيضًا أن ذلك الشمول يحتاج إلى مختصين كثر يعيشون مع القرآن الكريم ويظهرون هداياته، إنه في تفسيره البنائي ركز على الإعجاز في العلوم الإنسانية وتحديدًا الجانب الفني أو الأدبي ويكتب عن القرآن الكريم وإعجازه هذا، نقطة مهمة جدًا فيقول : (أن هذا الفن الأدبي أو النص البليغ يتميز بطابعين مهمين جدًا هما الطابع المحلي والطابع العالمي أو لنقل الطابع الخاص والطابع العام) ويقصد بالخاص البيئة التي جاء بها النص القرآني أي عرب مكة وبيئاتها الثقافية فهل القرآن معجز بالنسبة لتلك البيئة أم تعداها ويجيب الدكتور البستاني أنه معجزة في زمان ومكان نزول النص ولكنه يتعدى ذلك بالنسبة للطابع العام (فالمقصود بالإعجاز العام ما يتناول الأجيال الأدبية جميعًا أي ثمة خصائص فنية أو بلاغية أو أدبية تعبر تخوم الزمن الذي ولدت في نطاقه لتتسع وتشمل كل الأجيال من جهة الخصائص الفنية المشتركة بين هذا الجيل أو ذاك، أو من جهة الخصاص التي يستطيع كل جيل أن يكتشف من خلالها بعدًا واقعيًا يتصل بالنص الأدبي وبلاغته)[٣].

وفي النص السابق دلالة واضحة على اعتقاد صاحب التفسير البنائي بشمولية القرآن الأمر الذي دفعه لدراسة السورة وبنائها الفني والبياني وتتبع عناصر بنائها ولم يعتمد على ما عهد في زمن

---

(١) محاضرات في علوم القرآن الكريم: البستاني، محمود: ١٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٤.

وبيئة نزول النص من جوانب وطرائق نقدية كاشفة عن صلات النص مع بعضه، ولولا هذا الأصل لما فتّش وتأمّل ودرس النص القرآني دراسة جديدة، وما إعراضه عن البحث في ميادين وموضوعات أخرى من أقسام العلوم الثلاثة التي ذكرناها سابقًا إلا لما بيّنه وأشرنا له أنها خارج تخصصه.

وللتمييز بين البنائي والموضوعي وأيهم أحوج لهذا الأصل يظهر أن الموضوعي أحوج خصوصًا لمن جعل منطلقه من الواقع للقرآن الكريم ثم العودة وحكم الواقع بما نتج من رؤية قرآنية فلابد له من أن يؤمن أن الوقائع الحياتية لها أصول قرآنية تضبطها وتجعلها آمنة توفر للإنسان حياة كريمة.

المبحث الثالث: الأصول الإجرائية

ذكرنا سابقًا أن أصول التفسير هي ما يسبق عملية التفسير وتبرز الحاجة لها خلال العملية التفسيرية ومن تلك الأصول، ما يعرف بالإجرائية التي تعني (الأصول التي تبرز أثناء الممارسة كإجراءات عملية تساعد في فهم النص القرآني)[1]، ونحن في هذا المبحث سنتناول خمسة أصول أحدها انفرد بها التفسير الموضوعي، وهي إمكانية استخراج رؤية إسلامية محورها القرآن، في حين وقع الاتفاق في الأربعة الأخرى بحسب ما سيتم بيانه في هذا المبحث.

المطلب الأول: إمكانية استخراج رؤية إسلامية محورها القرآن

إنّ القرآن الكريم معجزة النبي الخالدة ومرجع الأمة الحي الذي يفزع إليه المسلمون، ويجدون فيه دواء دائهم، ولا شك أنه المحور الذي تدور حوله الرؤية الإسلامية والضابط لها، وقد بين البحث في مطلب سابق الحديث عن خلود القرآن الكريم وشموله أن للقرآن الكريم القابلية على الخلود والبقاء وتغطية جوانب الحياة المختلفة وتقديم الأجوبة الكفيلة بإيصال الفرد المسلم إلى الفلاح أي السعادة في الدنيا والآخرة.

ونشير إلى اختصاص هذا الأصل بالتفسير الموضوعي لذا سنبحث في أثره على التفسير الموضوعي فقط:

أثره في التفسير الموضوعي:

انفرد التفسير الموضوعي بهذا الأصل فهو يسعى لاستجلاء رؤية اسلامية واضحة حول موضوعات الحياة المختلفة، وكذلك يبحث عن الآخرة التي هي الدار الخالدة كما يوقن بها المؤمنون، وأن عماد تلك الرؤية القرآن الكريم، من غير إغفال لمصادر التشريع الأخرى التي هي الشارح والمبين لمضامين القرآن ويعزز ما ذهبنا إليه ما ذكره السيد الصدر عن التفسير الموضوعي فيبين أنه (يحاول القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية، أو الاجتماعية، أو الكونية ...ويستهدف من القيام بهذه الدراسات تحديد موقف نظري للقرآن الكريم وبالتالي للرسالة الإسلامية

---

(١) أصول التفسير عند الإمامية (دراسة تأصيلية تحليلية): العسكري، ساجد:١٩.

من ذلك الموضوع من موضوعات الحياة أو الكون) [١]. فتلك الدراسة كما يرى الصدر تتجه إلى درس الموضوع و (تقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده) [٢].

على أن تحصيل النظرية القرآنية حول كل موضوع ليس بالأمر المتيسر أو الممكن لجميع من مارس التفسير الموضوعي بسبب صعوبة بعض المواضيع أو لتواضع إمكانيات الباحث وغيرها من الأسباب[٣]، ولكن في أقل القليل يصل إلى تصور سليم حول ذلك الموضوع أو يبتعد عن التصور الخاطئ.

إن هذا الأسلوب من التفسير لا يمس جانبًا دون آخر فنحن نسعى دائمًا كمسلمين إلى معرفة موقف السماء في كل موضوع من حياتنا وأخرانا، لذا نلحظ السبحاني ركّز في تفسيره الموضوعي على جانب العقيدة؛ وعلل ذلك بأهميتها في رسم معالم الإيمان في حياة الإنسان وعناية القرآن الكريم الكبيرة به[٤].

وللتفسير الموضوعي القابلية على حل الكثير من المعضلات وإبراز حقائق ومعارف جديدة (فمن خلال تفسير الآيات المتعلقة بموضوع ما بالاستعانة بالآيات الاخرى تنبثق عنها معارف وعلوم جديدة، هذه العلوم تكمن فيها معارف القرآن والحلول لكثير من المعضلات العقائدية وأحكام الإسلام)[٥]، ونلحظ أن دائرة ما ينتظر من التفسير الموضوعي اتسعت لتشمل المعارف القرآن الكثيرة ومنها العقائدية والتشريعية.

إن للتفسير الموضوعي القابلية على دفع الكثير من الإشكالات التي قد تلاقي القراءة الجزئية للمواضيع التي توهم أحيانًا بالتناقض والخلاف وهذا ما يدفعه التفسير الموضوعي باستقصاء جميع جوانب الموضوع وأطرافه في القرآن، الأمر الذي يعيد توثيق العلاقة بين أبناء الإسلام ودستورهم من

---

(١) المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر: ١٢.

(٢) محاضرات في علوم القرآن الكريم: البستاني، محمود: ١٧.

(٣) التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: آل موسى، ١٩٠.

(٤) مفاهيم القرآن: السبحاني، جعفر: ١٠/١.

(٥) نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم: ١٠/١.

خلال ما تظهره الدراسة الموضوعية من جوانب إعجاز القرآن الكريم وقابليته الكبيرة على العطاء ومواكبة الحياة[١].

وإذا أردنا تحديد حركة المفسّر في هذا الأسلوب ومنطلقه فإننا نجدها تارة تكون من القرآن إلى الواقع وذلك من خلال بحث مواضيع القرآن التي هي قواعد ضابطة للواقع ومقوّمة له وساعية إلى الرقي بحياة الإنسان ومن انطلق من القرآن للواقع كان حراكه مسبوق بعقيدة سابقة أن موضوعات القرآن لا حدود لها وهذا ما صرح به الشيخ الشيرازي بقوله (إنّ موضوعات القرآن الكريم، هذا الكتاب الإلهي العظيم لا حدّ لها ولا حصر ، ففيه المسائل العقائدية والعلمية، وفيه المسائل الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وآداب العشرة وأحكام الحرب والسلم وتاريخ الأنبياء وامور الكون و .. الخ. وفي كل واحدة من هذه الامور موضوعات كثيرة بحثها القرآن)[٢]، فهي مع هذه السعة قادرة على استيعاب متطلبات الإنسان وحاجاته.

أما الشهيد الصدر فإنه يرى أن التفسير الموضوعي (يبدأ بالواقع الخارجي بحصيلة التجربة البشرية يتزود بكل ما وصلت الى يده من حصيلة هذه التجربة و من افكارها ومضامينها. ثم يعود الى القرآن الكريم ليحكّمه و يستنطقه ..، فيكون دور المفسر دورًا ايجابيًا أيضًا، دور المحاور، دور من يطرح المشاكل ...و الاستفهامات على ضوء تلك الحصيلة البشرية.. ثم يتلقى من خلال عملية الاستنطاق، والحوار مع أشرف كتاب الأجوبة من ثنايا الآيات المتفرقة) [٣].

و الصدر يؤكد أن هذا الحراك وتوحيد التجربة البشرية مع القرآن تأتي لاستجلاء رأي القرآن عن هذا الموضوع وليس بإخضاعه للتجربة البشرية فيذكر في بيان معنى التوحيدي (توحيدي باعتبار أنه يوحد بين التجربة البشرية و بين القرآن الكريم لا بمعنى أنه يحمل التجربة البشرية على القرآن، ولا

---

(١) ظ: نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم: ١٠/١. و ظ: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثانية،١٤٢٨، ٥٦-٥٨.

(٢) نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم: ١٨/١.

(٣) المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر: ٢٥.

بمعنى أنه يخضع القرآن للتجربة البشرية بل بمعنى أنه يوحد بينهما في سياق بحث واحد لكي يستخرج نتيجة هذا السياق الموحد من البحث، يستخرج المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية التي أدخلها في سياق بحثه)[١].

إن تطور الحياة الإنسانية ولد الحاجة لموقف إسلامي أصيل مستقل تجاه تلك الموضوعات الجديدة من هنا برزت الحاجة لوجود التفسير الموضوعي الذي يسعى لبلورة رؤية تربوية واجتماعية وسياسية ..الخ، تبعد عن الدين شبهة العزل عن المجتمع والفردية والطقوسية[٢].

المطلب الثاني: الانسجام الموضوعي والترابط البنائي في السورة الواحدة

أن الباحثين أدرجوا تحت التفسير الموضوعي أقسامًا منها (الكشفي) الذي يسعى للكشف عن الانسجام الموضوعي بين أجزاء السورة القرآنية ومعرفة الرابط بين موضوعاتها وتحديد هدفها الأساسي أو أهدافها الرئيسة والمناسبة بين آياتها، أو دراسة موضوع داخل السورة القرآنية،[٣] ولا أعتقد بجدوى دراسة الموضوع في سورة واحدة إلا إذا كان هذا الموضوع عرض في هذه السورة فحسب نحو دراسة (أصحاب الكهف) في سورة الكهف المباركة؛ وذلك لأن الدراسة ستغفل عن جوانب الموضوع التي ذكرت في سورة أخرى وحينها لن تكتمل جوانب الموضوع المدروس جميعها، و كما تبين في جانب آخر أن التفسير البنائي يبحث عن صلة كل آية بما قبلها وما بعدها وصلة أول السورة بآخرها مرورًا بوسطها والتماسك بين جميع مقاطعها؛ لكي يثبت أن السورة بناء واحد مترابط الأجزاء يشد بعضه بعضًا ولكل جزء فيه وظيفة خاصة تشكل في مجموعها ما ينطبع من أثر في نفس قارئها.

إن إثبات الانسجام الموضوعي أو الترابط البنائي يحتاج بداية إلى إثبات توقيفية ترتيب الآيات

---

(١) نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم: ٢٨.

(٢) ظ: التفسير الموضوعي المفهوم والمنهج: مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، دار المعارف الإسلامية الثقافية، ١٤٤١هـ،٥٨-٥٩.

(٣) ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ٢٨-٢٩. التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: آل موسى، علي، ٤٤١.

في السورة الواحدة وأنه من لدن حكيم خبير ثم البحث في ذلك الانسجام والتناغم والترابط في بناء السورة القرآنية، فغاية التفسير كما نعلم هي الكشف عن مراد الله تعالى وإذا لم يكن الترتيب والانسجام منه –عز وجل– فينتفي الداعي للبحث في الموضوع وهو خارج عن التفسير.

أولًا: توقيفية ترتيب الآيات في السورة القرآنية:

إن الرأي الغالب بين علماء المسلمين على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي، بل هنالك من علماء علوم القرآن من قال بالإجماع على ذلك ولا يجوز الخلاف فيه[1]، واستدلوا على ذلك بجملة من الروايات تفضي مجتمعة إلى حقيقة واحدة وهي أن هذا الترتيب كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وبأمره الذي هو أمر السماء، وقبل أن أورد ما استدلوا به من الروايات أعتقد أن بعض الآيات يمكن أن يستدل بها على أن السور كانت معروفة ومعلومة في عهد النبي صلى الله عليه وآله.

١- **النصوص القرآنية الشريفة:** يذكر لنا القرآن الكريم كيف أنه تحدى العرب على أن يأتوا بعشر سور ثم بسورة واحدة من مثل هذا القرآن وأنهم عجزوا، وجاء التحدي المقرون بذكر السورة في ثلاث سور هي هود في قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[2] كذلك في سورة يونس يقول عز وجل: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[3] وعاد التحدي في سورة البقرة بقوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا

---

(١) ظ: الانتصار للقرآن: الباقلاني، محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ) : تحقيق: محمد عصام القضاة ، دار الفتح – عَمَّان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، ١/ ١٩٣. البرهان في علوم القرآن: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٦ هـ، ١/ ٢٥٦. أسرار ترتيب القرآن: السيوطي، عبد الرحمن بن جلال الدين (ت٩١١ه) ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ٤١. التمهيد في علوم القرآن: معرفة، محمد هادي: ١/٢٨٤.

(٢) سورة هود: الآية ١١.

(٣) سورة يونس: الآية ١٠.

نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[1]. نجد أن هذا الخطاب موجه للكافرين والآية الأولى تتحداهم بأن يأتوا بعشر سور ولابد أنهم كانوا يعلمون سور القرآن وما فيها وأنها أعجزتهم وإلا إن لم يكونوا يعلمون ما المقصود من السورة لبطل ذلك الاحتجاج؛ لأنك حينها ستطالب بما لا يعلم ما هو، وعليه تكون معرفة المؤمنين بسور القرآن الكريم أولى من غيرهم.

كما أننا نلحظ أن هذا التحدي عاد في سورة البقرة وهي من السور المدنية أي أنها نزلت بعد نزول أكثر من ثلثي سور القرآن وللسبب السابق نفسه نعتقد أن السور كانت معروفة عند من تتحداهم فضلًا عن المسلمين، وأن المعلم للكتاب والحامي له كان قد رتّبها وبلّغها وهذا ما ستأتي الروايات اللاحقة لتؤكده.

٢- **روايات السنة الشريفة:** نقلت كتب الحديث الكثير من الروايات التي يمكن الإستدلال بها مجتمعة على توقيفية ترتيب الآيات في السورة الواحدة.

أ- ما يشير إلى تدوين الآيات في السور نحو ما روي أنه ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا تَنَزَّلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ فَيَدْعُو بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ لَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: (ضَعْ هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا، كَذَا وَكَذَا، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ الْآيَةُ وَالْآيَتَانِ فَيَقُولُ: مِثْلَ ذَلِكَ))[2]، وتذكر بعض الروايات أن هذا الوضع كان من الوحي كما في ما روي ((عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا إِذْ شَخَصَ بِبَصَرِهِ ثُمَّ صَوَّبَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يُلْزِقَهُ بِالْأَرْضِ، قَالَ: ثُمَّ شَخَصَ بِبَصَرِهِ فَقَالَ: " أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الْآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ...))[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

(٢) سنن أبي داود: السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت ٢٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ٢٠٨/١.

(٣) مسند الإمام أحمد: بن حنبل، احمد: ٤٤١/٢٩.

ب- الروايات التي تشير إلى أن البسملة يعلم بها ختام السورة وبدء سورة جديدة ((قال أبو عبد الله عليه السلام ما أنزل الله من السماء كتابًا إلا و فاتحته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، و إنما كان يعرف انقضاء السورة – بنزول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء للأخرى))[1] .

ت- الروايات التي تذكر أسماؤها وهنالك ما ذكر فضلها، ومن الروايات ما يروي لنا أي السور كان يقرأ النبي صلى الله عليه وآله في عبادته. ، فمما يذكر لنا أسماءها ما روي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله لِرَجُلٍ: ((أَمَعَكَ مِنَ القُرْآنِ شَيْءٌ)؟، قَالَ :نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا، لِسُوَرٍ سَمَّاهَا))[2] والرواية في معرض تزويج مسلم والمهر ما يحفظ من القرآن.

ث- الروايات التي بينت ما يقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله من السور في عبادته ((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ، وَسُورَةٍ سُورَةٍ، وَيُسْمِعُنَا الآيَةَ أَحْيَانًا))[3].

ج- الروايات الواردة في فضائل بعض السور ((قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)) وقريب منه ما رواه الكليني عن الإمام زين العابدين عليه السلام ((قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَنْ قَرَأَ أَرْبَعَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْبَقَرَةِ وَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَ آيَتَيْنِ بَعْدَهَا وَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا لَمْ يَرَ فِي نَفْسِهِ وَ مَالِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ وَ لَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ وَ لَا يَنْسَى الْقُرْآنَ))[4]، ومثله ما روي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ))[5].

---

(١) تفسير العيّاشي: العياشي، محمد بن مسعود،١٩/١.

(٢) صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٢٤/٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٢/١.

(٤) الكافي: الكليني، ٦٢١/٢.

(٥) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم) : النيسابوري، مسلم بن الحجاج(ت: ٢٦١هـ): تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي (ح٨٠٩): ٥٥٥/١.

وشبيه هذه الروايات كثير جدًا ولا مجال لذكرها، فالمسلمون كانوا على عهد رسول الله يعرفون سور القرآن ومما يعزز ذلك، عدم سؤال المسلمين من المخاطبين عن تلك السور ولو لم تكن معلومة لوجدناهم مع كل رواية يسألون عنها؛ لذا يظهر من كل ما سبق أن النبي صلى الله عليه وآله علم المسلمين مواضع الآيات في السور، وأنه رتبها بتوقيف من الله عز وجل.

ثانيًا: وجود الوحدة العضوية والبنائية:

إن من آثار الاعتقاد السابق بتوقيفية ترتيب آيات السورة القرآنية، الاعتقاد بوجود تناغم بين أجزائها، ولما القرآن الكريم قد نزل من لدن حكيم خبير وأن ترتيب آيات السورة الواحدة منه عز وجل فمقتضى الحكمة أنها اجتمعت لسبب وغاية، كما أن من الروايات ما يمكن أن يستفاد منها وجود الانسجام والتناغم بين أجزاء القرآن الكريم فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام ((... إِنَّ الْآيَةَ يَكُونُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَ آخِرُهَا فِي شَيْءٍ وَ هُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ مُتَصَرِّف))[1] والشاهد منها قوله عليه السلام وهو (كلام متصل) فقد دلَّ على انسجام ذلك الأول والآخر واتحاده رغم أن كلًا منهم في شيء.

وقد أشار العلماء قديمًا إلى أن الترتيب والانسجام وجه من وجوه إعجاز القرآن فيقول ابن عطية: (ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره،... فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة)[2].

فهو يعزو إعجاز القرآن للنظم ويرد القائلين بصرف الهمم عن معارضته ويؤكد اننا لا نلتمس ذلك الترابط ودقة النظم لقصورنا؛ فهو المانع عن كشف ذلك فيقول: (كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع

---

(١) وسائل الشيعة: العاملي الحر،١٩٢/٢.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ، ٥٢/١.

لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام)[١].

إن هذا النظم العجيب الذي أشار إليه ابن عطية هو ما انتظم لأجله القرآن الكريم في سور خاصة انتظمت بأمر الله تعالى لا على حسب زمان النزول وإنما رعاية للمناسبة، وارتباط النظائر والاشباه كما يرى الغرناطي[٢].

ويرى البقاعي أن السبيل لمعرفة المناسبة ما نقله عن شيخه (هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة..)[٣].

وفضلًا عما ذكره في هذه القاعدة يذهب البقاعي إلى أن اسم السورة مترجم عن مقصودها، ويعزو ذلك لوجود الصلة بين الشيء ومسماه، وأن مقصود كل سورة هاد إلى تناسبها، وحينها يكون اسم السورة من القرائن الدالة على التناسب عنده[٤].

ثالثًا: أثره في التفسير الموضوعي والبنائي

هذا الأصل هو ما ارتكز عليه الباحثون وأوجدوا قسمًا جديدًا من التفسير الموضوعي قائمًا على أن لكل سورة شخصية مستقلة وأن لها هدفًا واضحًا تريد بيانه، وإدراك ذلك الهدف يكشف معانٍ

---

(١) المصدر نفسه: ٥٢/١.

(٢) ظ: البرهان في تناسب سور القرآن : الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، ١٤١٠ هـ ،١٨٤.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦، ١١/١.

(٤) ظ: المصدر نفسه: ١٢/١.

ومناسبات لطيفة وصورًا بليغة[١]، وقد اصطلح على هذا القسم من التفسير الموضوعي (بالكشفي) وبحث عمّا اصطلح عليه الوحدة العضوية : (وهي أن تترابط أجزاء النص وتتماسك وتتلاحم، كما تتلاحم سبيكة الذهب، ولا تشهد التفكك وتقطع الأوصال والأجزاء)[٢].

إن دراسة السورة تتم بخطوات منها الافادة من ممهدات السورة من قبيل اسم السورة وفضائلها ..الخ، كذلك تحديد هدف السورة وما الذي تسعى لتحقيقه، ثم الكشف عن المحور العام الذي تنتظم حوله جميع الآيات والمقاطع واكتشاف الروابط المتمثلة بالوحدة العضوية ودراسة السورة كموضوع واحد[٣]، ومما سبق ندرك أن هذا الأصل يعد وجوديًا بالنسبة للتفسير الموضوعي ومن دونه ينتفي وجوده نهائيًا.

والتفسير البنائي قائم هو الآخر على أساس من الاعتقاد السابق بتوقيف ترتيب الآيات في السورة الواحدة وهذا ما يتّضح من خلال ما بينه البستاني في المسوّغ الفكري لمثل هذا التفسير فبعد أن يسأل عن الغاية من انتظام القرآن الكريم بهذا العدد من السور وعن السبب في أن النبي رتّبها بهذه الكيفية يقرر أنه لابد لهذه الآيات من وجود خصوصية من جهة تناسب بعضها مع الآخر، وثمة أسرار تقف وراء هذا الأمر وهو ما يدرسه ويكشفه التفسير البنائي[٤].

إن دراسة البستاني للسورة القرآنية جاءت لتبرز الوحدة البنائية أو العامة التي تحكم السورة القرآنية، وذلك بالكشف عن الترابط بين السمات الفكرية والفنية للسورة ومدى التحامها وانسجامها في تكوين بناء السورة، وقد تناول السورة القرآنية من نواحٍ عدة: فبحثها من جهة الموضوع والهدف، وكذلك من حيث شكل البناء لتلك الموضوعات داخل السورة القرآنية، كما درس العلاقة بين أجزاء النص نحو (السببية، والنمو، والتجانس)، ودرس جميع سور القرآن الكريم بهذا الشكل[٥].

---

(١) ظ: بحوث في أصول التفسير و مناهجه: الرومي، فهد:٦٨.

(٢) التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: آل موسى، وآخرون، ٤.

(٣) ظ: المصدر نفسه: ٤٤١-٥٢٠.

(٤) ظ: منهج التفسير البنائي: البستاني، محمود: ١٤-١٥.

(٥) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود: ١/٩-١١.

ثم يقرر (أن ثمة خطوط متنوعة لبناء النص، منها ما يتصل بعلاقات الآيات والمقاطع والموضوعات مع بعضها. ومنها ما يتصل بخطوط العمارة طوليًا أو أفقيًا أو توازيًا، أي الرحلة التي يقطعها النص للرسو على الشاطئ. ومنها ما يتصل بالعناصر والأدوات الثانوية التي يوظفها النص لإنارة هدفه)[1].

ويتّبه البستاني إلى أمر مهم وهو أن ذلك الترابط لا يعني أن كل آية تمّثل سببًا لما قبلها وما بعدها بل الترابط يكمن بأن هنالك شبكة من الخطوط تتصل فيما بينها محققة ذلك الانسجام والاستجابة الكلية[2]، والباحث يعتقد أن هذا التنبيه في غاية الدقة؛ لأن وجود الترابط لا يلزم بالضرورة علاقة السببية بل هنالك علاقات أخرى من شأنها أن تربط أجزاء النص الواحد وتؤلف بين أقسامه.

ويظهر من كل ما سبق، مضافًا لما نتج من ثمار طيبة عن دراسات كل من التفسير الموضوعي والبنائي للسورة القرآنية، أن هنالك انسجامًا موضوعيًا وارتباطًا بنائيًا بين أجزاء السورة الواحدة، وما كنا لنهتدي لهذا لولا وجود من أمن بهذا الأصل التفسيري المهم، ودقق النظر، وأجال الفكر، وحلل، وركّب، حتى وصل إلى هذا الوجه المهم من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الثالث: حاكمية الركائز القرآنية ومحوريتها في التفسير

إنَّ كلًا من التفسير الموضوعي والتفسير البنائي كما ذكرنا سابقًا مرتكز على تفسير القرآن بالقرآن، مستعينًا بآيات الكتاب المبين في بيان بعضها للبعض الآخر، سواء ما كان منها مبينًا للموضوع باستقراء موارده في القرآن وجمعها وتشكيل كيان جديد للموضوع المدروس من مجمل تلك الآيات وما تقدمه من معطيات وهو القسم التوحيدي في التفسير الموضوعي، أو ما كان ناظرًا للسورة القرآنية على أنها بناء واحد تتصل أجزاؤه لتحقق هدف السورة فهو أيضًا قائم على آيات القرآن الكريم وما تقّدمه من هدايات.

خلال هذه العملية التفسيرية يبرز سؤال مهم وهو أي المقاطع أو الآيات تقدم على الأخرى ولمن

---

(١) منهج التفسير البنائي: البستاني، محمود: ٢٠.

(٢) ظ: المصدر نفسه: ٢٠.

ستكون كلمة الفصل في بعض ثنائيات القرآن من قبيل المحكم والمتشابه، أو العام والخاص، أو المطلق والمقيد، فما الآية التي ستقدم وهو ما سيتكّفل هذا المطلب ببيانه لأهميته في كل من الأسلوبين، فما يتقدّم من الآيات هو ما كان أكثر وضوحًا ودلالة وكشفًا لمراد الله تعالى في كتابه فيقدم ما كان نصًا على ما كان ظاهرًا والظاهر على المجمل، أي أن قوة الوضوح هي من أعطت الحاكمية للنص على ما كان أقل منه وضوحًا، وأن ذلك النص الحاكم هو الأقدر بما امتاز به في بيان المراد الجدي للمولى تعالى[1]، ويمكن الأستدلال على وجود الثنائيات بعدة أدلة كما سيتناول البحث العام والخاص مثالًا عن الثنائيات.

أولًا: أدلة وجود الثنائيات في القرآن الكريم:

استدل على وجود هذه الثنائيات في القرآن الكريم بأدلة من الكتاب والسنة نبينها بحسب الآتي:

١- النصوص القرآنية الشريفة:

مما استدل به من الكتاب قوله تعالى قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْويلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ ﴾[2]، ووجه الاستدلال بالآية الشريفة أن هنالك من الآيات ما كانت مرجعًا لآيات أخرى يتردد في فهمها وتكون تلك الآية الأم بيانًا وتوضيحًا للمتشابهة وهذا ما يؤكده صاحب الميزان بقوله (فالكتاب يشتمل على آيات هي أم آيات أُخر، و في إفراد كلمة الأم من غير جمع دلالة على كون المحكمات غير مختلفة في أنفسها بل هي متفقة مؤتلفة... أن المراد بالتشابه كون الآية بحيث لا يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها بل يتردد بين معنى و معنى حتى يرجع إلى محكمات الكتاب فتعين هي معناها و تبينها بيانا، فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة

(١) ظ: الاصول العامة للفقه المقارن: الحكيم، محمد تقي، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم – إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ٨٢-٨٣. أصول التفسير و قواعده: العك، خالد عبد الرحمن،٣٣١.

(٢) سورة آل عمران: الآية .

بواسطة الآية المحكمة)[١].

ويذكر المفسرون أن دلالة الأمومة جاءت من كون المحكمات أصلاً ومرجعًا لغيرها فيذكر الآلوسي في معنى الأم في الآية الكريمة (أي أصله و العمدة فيه يرد إليها غيرها و العرب تسمي كل جامع يكون مرجعا- أمّا-)[٢].

٢- روايات السنة الشريفة:

وردت جملة من الروايات تشير إلى ثنائيات القرآن الكريم وأن هنالك آيات تتعلق بآيات أخرى، وتوضح تلك الروايات خطورة فهم القرآن الكريم دون الالتفات إلى هذا التعلق وجمع تلك الآيات معًا ونبيّنها بالآتي:

أ- من الروايات التي تحدثت عن ثنائيات القرآن الكريم ما روي وصفًا له أو بيانًا لبعض ثنائياته (وَالْقُرْآنُ خَاصٌ وَ عَامٌ وَ مُحْكَمٌ وَ مُتَشَابِهٌ وَ نَاسِخٌ وَ مَنْسُوخٌ فَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ)[٣]، وروي عن أبي عبد الله عليه السلام في بيان الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه قال عليه السلام: (الناسخ الثابت، والمنسوخ ما مضى، والمحكم ما يعمل به، و المتشابه الذي يشبه بعضه بعضا)[٤]، ومن الروايتين السابقتين يتبين أن هنالك ثنائيات في القرآن الكريم.

ب- الروايات المحذرة من التفسير دون معرفة تلك الثنائيات فقد روي عن أمير المؤمنين أنه (مر على قاض- فقال: هل تعرف الناسخ من المنسوخ فقال لا فقال: هلكت و أهلكت، تأويل كل حرف من القرآن على وجوه)[٥]. وأن العمل بما تقتضيه تلك الثنائيات فيه الهداية للحق كما روي عن الإمام الرِّضَا عليه السلام أنه قَالَ: (مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِهِ

(١) الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي: ٢١/٣.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني: الآلوسي، محمود، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ٨/٢.

(٣) الكافي: الكليني، ٢١٣/١.

(٤) تفسير العيّاشي: العياشي، محمد بن مسعود، ١١/١.

(٥) المصدر نفسه: ١٢/١.

هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيم)[١]

هذه جملة من الروايات التي تحدثت عن ثنائيات القرآن الكريم ويمكن الإستدلال بها على وجود الثنائيات وضرورة رعايتها في التفسير.

ثانيًا: تقديم الخاص على العام:

سيتناول البحث تقديم الخاص على العام كنموذج كاشف عن وجود الثنائيات في القرآن الكريم يلتمس من خلاله أثره في التفسير الموضوعي والبنائي.

١- العام: هو اللفظ الشامل بمفهومه لجميع ما يصلح انطباق عنوانه عليه في ثبوت الحكم له[٢].

٢- الخاص : هو ما دل على معنى واحد على سبيل الانفراد أو على كثير محصور[٣].

إن تخصيص العام قد يكون متصلًا في سياق الكلام وحينها لا يعقد ظهورًا للعام، وأحيانًا يكون منفصلًا وهو ما ينبغي العناية به لأنه يحتاج إلى مزيد بحث وتدقيق وفي الحالة الثانية يكون هنالك ظهور للعام ولكن مع وجود التخصيص ينتفي ذلك الظهور ويكون الخاص حاكمًا له ومبينًا للمراد فيه[٤].

ولبيان أثر العام والخاص في التفسير وتغيير المعنى نأخذ نوعين من التخصيص الذي تمارسه الآيات أو المقاطع على ما دلَّ على العموم

١- التخصيص المتصل: هو ما يحدث في آية واحدة أو آيتين متجاورتين أي في سياق واحد؛ لذا تسهل ملاحظته، ويكون بتراكيب وصيغ عدة منها ما يتم بأداة الاستثناء (إلا) من قبيل قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفي خُسْر * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ابن بابويه، محمد بن علي (ت٣٨١ هـ)، نشر جهان، طهران – ايران، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٩٠/١.

(٢) أصول الفقه: المظفر، محمد رضا، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم –إيران، ١٤٢٣هـ.، ١٩٠/١.

(٣) أصول التفسير و قواعده: العك، خالد عبدالرحمن،٤٠١.

(٤) ظ: قواعد التفسير لدى الشيعة و السنة: ميبدي، محمد فاكر، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، مركز التحقيقات و الدراسات العلمية، طهران إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٥ الهجري الشمسي ١٨-١٨٨.

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[1] فتخيل لو أن مفسرًا وقف عند حدود (إِنَّ الْإِنْسانَ لَفي خُسْر) من السورة وأراد فهمها، أي معنى سيخرج به دون الآية التي بعدها؟!؛ من هنا ندرك أهمية الثنائيات، على الرغم من إن هذا المثال لا يمكن أن يخطئ في معناه مفسر لإقتران الخاص بالعام في السياق نفسه والتخصيص وقع متصلًا، إلا أنه يكشف لنا خطورة عدم رعاية تلك الثنائيات.

٢- التخصيص المنفصل: هو وقوع تخصيص العام في سياق آخر؛ لذا هو يحتاج إلى تفتيش وتدقيق وتأمل، ولعل التفسير الموضوعي في بحثه عن الموضوع في كل القرآن الكريم يكون الأقدر على إدراك مثل هذا الأمر، فمثلًا عند البحث عن موضوع الشفاعة فإنا نجد أن يوم القيامة لا شفاعة فيه وهو ما دلَّ عليه العموم في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2]، فالآية تنفي عموم الشفاعة ونجد من الآيات ما استثنت مجموعة من ذلك العموم فجعلت شفاعة لمن شهدوا بالحق وهم يعلمون، قال تعالى ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3]، وفي آية أخرى تحدثت أن هنالك شفاعة لمن رضي الله لهم قولًا: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾[5]، ومنها ما تحدثت عن شفاعة الملائكة بعد إذن الله ورضاه، قال تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾[6]

---

(١) سورة العصر: الآيتان ٢-٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٨٦.

(٤) سورة طه: الآية ١٠٩.

(٥) سورة مريم: الآية ٨.

(٦) سورة النجم: الآية ٢٦.

وندرك مما سبق أهمية هذا الاستقراء والبحث عن الشفاعة وما دلَّ عليها وإنما أتى في الآية الأولى من نفي الشفاعة جاء ما يخصصه في آيات أخرى من سور أخرى وإن تباعدت المخصصات، أو تقدمتها الآية العامة في ترتيب المصحف، غير أنها بقيت لهم علاقة وحاكمية ولابد للمفسّر من العودة إليها جميعًا ليصل إلى فهم أجلى وأوضح عن مراد الله في الموضوع المدروس.

أما التفسير البنائي فهو الآخر إذا أراد الفهم الدقيق يحتاج إلى تقصي ما يصادفه من ثنائيات، في نطاق أبعد من حدود السورة الواحدة وإن لم يذكر ذلك البحث والاستقصاء في طيات الحديث عن وحدة السورة لكن نتائج البحث ستظهر فيما سيصل له من معانٍ.

فمن متابعة سورة البقرة المباركة نجد أن الشفاعة ذكرت في مواطن يستظهر منها نفي الشفاعة من قبيل ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾[1] وقوله عز وجل ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[3]

ولكن البستاني وفي معرض حديثه عن دلالة الشفاعة في الآية الأخيرة وما يوجده من رابط مع هذا العنوان في السورة يذكر (من الظواهر المطروحة تواجهنا ظاهرة الشفاعة التي طرحها من القسم الثالث في السورة، ويطرحها الآن في سياق حديثه عن الإنفاق، ويطرحها بعد في آية الكرسي التي تتناول ظواهر عبادية مختلفة يستهدف النص لفت النظر إليها. إلا أن الخيط المشترك الذي يربط بين آيتي الكرسي والإنفاق والسلوك الإسرائيلي، هو مفهوم الشفاعة حيث ينفيها النص عن المناخ غير المرتبط بمبادئ الله تعالى)[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.

(٤) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود: ١١٩/١.

يظهر أن البستاني ينفي الشفاعة عن بيئة خاصة (قد انفصلت عن الله تعالى) لذلك لن يرتضي لها بالشفاعة وهو لم يأخذ بالعموم الوارد في الآيات، ويظهر للباحث أن هذا لم يكن لولا ما سبق هذه النتيجة من استقراء وبحث عمّا يخصص هذا العموم في كل القرآن الكريم فضلًا عن هذه السورة، ويعزز ما ذهب له البحث ما ذكره البستاني عن الشفاعة في سورة طه فعند بيانه لبعض مواقف يوم القيامة يذكر (أن الشفاعة لا تنفع من أحد لآخر إلا من سمح له الله تعالى بالشفاعة)[1] فهو يقرر أن هنالك من يُسمح لهم ويؤخذ بشفاعتهم، وهذه النتيجة هي من هدي قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾[2].

وعلى الرغم من أن الثنائيات لا تقف عند العام والخاص ولكنا وبما يتناسب مع مساحة البحث ذكرناه شاهدًا لعله يكشف عن أهمية هذا الأصل الإجرائي المهم وهو حاكمية بعض الآيات على غيرها.

المطلب الرابع: الارتكاز على التفسير التجزيئي والأخذ بأكمل وجوهه

الأسلوب الشائع في التفسير الذي عليه أكثر ما بين أيدينا من نتاج تفسيري هو التجزيئي الذي يفسر القرآن من الفاتحة إلى الناس باحثًا عن دلالة الآيات والجمل وبيان معانيها بمناهج عدة وقد قطع أشواطًا كبيرة عبر السنين فمن بيان المعاني إلى التحليل والمقارنة، ومن خلال مناهج كثيرة أصبحنا نملك ثروة كبيرة يمكن عدها مرتكزًا مهمًا للتفسير الموضوعي والبنائي وهنا سنبين وجه الحاجة للتفسير التجزيئي وهل يمكن أن نعده مرتكزًا مهمًا، وكذلك سنبحث عن السبيل المفضي للأخذ بأكمل الوجوه التفسيرية.

أولًا: كيفية الوصول لإكمل الأقوال التفسيرية:

إنَّ ما بين أيدينا من تفاسير تجزيئية تمثل كنوزًا عظيمة تمدنا بفهم أعمق لكتاب الله العزيز وتكشف لنا بعض إعجازه، غير أن بعض هذا النتاج التفسيري داخلته الإسرائيليات، كما أن أذواق

(١) المصدر نفسه: ١٣/٣.

(٢) سورة طه: الآية ١٠٩.

المفسرين وعقلياتهم، وميولهم المذهبية أو السياسية، وبيئاتهم، وأنماط شخصياتهم[١]، وغيرها من الأمور جعلت التسليم والأخذ بكل الأقوال التفسيرية أمرًا لا يبعث على الاطمئنان، بل لابد من تحّري الأقوال والأخذ بأكملها وذلك من خلال الترجيح فيما بينها، إن تضادت وتعسر معها التوفيق والجمع، أما مع إمكانية الجمع والتوفيق وتحقق شروط ذلك فهو أولى.

١- التوفيق بين الأقوال التفسيرية :

لا يمكن أن يصار إلى الترجيح بين أقوال المفسرين مباشرة بل الأولى بداية توجيهها والتوفيق بينها لأن ما يكون من النظرة الأولى خلاف قد لا يكون كذلك في حقيقته؛ لأن المفسرين (بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده و ثمرته، و الكل يؤول إلى معنى واحد غالبًا، و المراد الجميع، فليتفطن لذلك، و لا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات)[٢].

ومع عدم مخالفة تلك الأقوال لظاهر القرآن الكريم، وكانت مما يحتمله اللفظ ولم يمتنع عن إرادة الجميع وجب الأخذ بها جميعًا لما في ذلك من أثر في زيادة الكشف عن معاني النص القرآني المبارك وتوسيع دلالاته.

ومن شروط التوفيق أن يكون الجمع موافقًا لدلالة ألفاظ الآية وسياقها، وأن ذلك التوجيه مستوعبًا للأقوال التي جمعت، وأن لا يكون الجمع متكلفًا وبعيدًا عن دلالات النص القرآني[٣].

ونجد الجمع بين أقوال المفسرين حاضر في التفسير الموضوعي مثال ذلك ما جاء في نفحات القرآن عند بحث موضوع (الموت) فمن الآيات المتعلقة بهذا الموضوع قوله تعالى ﴿ الَّذِى خلَقَ المَوْتَ والحَيَاتَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ﴾[٤]، فالشيرازي وعند بيانه لمعنى

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة، محمد علي عبد الرحمن، دار المعارف – القاهرة – مصر، الطبعة السابعة (د.ت) ، ١٦/١.

(٢) أصول التفسير و قواعده: العك، خالد:٩١.

(٣) ظ: أقوال المفسرين توجيهها ومسالك التوفيق بينها: الحربي، حسين بن علي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ، ١٦.

(٤) سورة الملك: الآية ٢.

(أَحْسَنُ عَمَلًا) ذكر (إنّ المقياس الذي يعيّن قيمة الإنسان لدى اللّه تعالى هو العمل الصالح، ومن البديهي أيضاً أنّ الأعمال الصالحة تنبع من العقائد المخلصة والقلب المؤمن والنّية الخالصة، وذلك لأنّ العمل يكون دائماً انعكاساً لهذه الامور)[١].

ونلحظ هنا أنه ذكر جملة من الأمور ووصفها منبعًا للعمل الصالح ثم بعد ذلك أورد رواية للنبي صلى الله عليه وآله في تفسير «أَحْسَنُ عَمَلًا» بأن معناها ((أَتَمُّكُمْ عَقْلًا وَأَشَدُّكُمْ لِلَّهِ خَوْفاً وَأَحْسَنُكُمْ فيَما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَنَهى عَنْهُ نَظَراً، وَإِنْ كَانَ أَقَلُّكُمْ تَطَوُّعاً))[٢]. إن ما ذكره جعله مقدمة للتوفيق بين الأقوال التفسيرية الواردة في بيان دلالة (أحسن عملًا) وهذا واضح بما بينه: (فمن هنا يتّضح أَنّ التفسيرات المختلفة التي فُسِّرت بها «أَحْسَنُ عَمَلًا» مثل: تفسيرها بالأعمال الخالصة أو الأكثر عقلًا أو الأكثر زهداً أو الأكثر ذِكراً للموت أو الأكثر تأهّباً لسفر الآخرة، يتضح أنّها مترابطة مع بعضها البعض، ولا تعتبر تفسيرات مختلفة، وذلك لأنّ هذه التفسيرات كالسيقان والأوراق والجذور والجذع والفواكه للشجرة الواحدة)[٣].

فإذا تأمّلنا ذلك التوجيه نجده خاضعًا لشروط التوفيق فهو من محتملات دلالة ألفاظ الآية؛ لأن العمل الحسن يتسع لكل تلك الوجوه، وأن ذلك التوفيق لم يخالف ظاهر القرآن الكريم، ولا هو توفيق متكلف، كما أنه أعطانا مزيدَ كشفٍ عن المراد أكبر من ذكر وجه واحد أو قول من تلك الأقوال التفسيرية.

وفي التفسير البنائي نجد ما يشابه هذا الأمر من الجمع والتوفيق بين وجوه ومحتملات النص القرآني، فمع تحقق إمكانية ذلك الجمع الذي يعمد إليه البستاني ويطّبقه مثال ذلك ما جاء في معنى (المزمل) الوارد في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾[٤] فبعد أن يذكر المعنى اللغوي لهذه الكلمة وأنها تشير للمتلفِّف بثيابه، يبين أن لها إيحاءات أكبر وتلك الإيحاءات أشارت لها النصوص المفسرة التي

---

(١) نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم: ٣٤٠/٥.

(٢) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، فضل بن حسن: ٤٨٤/١٠.

(٣) نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم: ٣٤٠/٥.

(٤) سورة المزمل: الآية ١.

تفاوتت في بيان المراد من معنى الكلمة، (نجد أن النصوص التفسيرية تتفاوت في تحديد الدلالة المقصودة من العبارة المذكورة، فالبعض ذهب إلى أن المقصود منها هو : التزمل بعباءة النبوة، وهذا يعني أننا أمام (استعارة)، والبعض ذهب إلى أن المقصود من ذلك هو التزمل بالنوم فنكون أمام (رمز)، والبعض ذهب إلى الدلالة اللغوية...، والأهم من ذلك، أن كلا من التفسير اللغوي والاستعاري والرمزي يتجانس مع فكرة السورة التي تريد أن تتحدث عن قيام الليل)[١].

إن البستاني وجد أن تلك الدلالات كلها ممكنة بلحاظ السياق العام للآية وهدفها ، الساعي إلى حث المؤمنين على قيام الليل بالعبادة والصلاة وترتيل القرآن الكريم والتقرب لله تعالى فهو يرى أن الخطاب وإن كان موجهًا للنبي محمد صلى الله عليه وآله إلا أنه منسحب على مطلق المؤمنين وهو أمر لا يُتردد فيه لأهمية قيام الليل وكثرة النصوص المؤكدة عليه[٢].

٢- الترجيح بين الأقوال المختلفة:

إن لم يكن بالإمكان التوفيق بين الأقوال التفسيرية ووجد فيها التناقض والاختلاف فيما بينها يصار إلى الترجيح وهو (تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقوية، أو لتضعيف أو ردّ ما سواه)[٣].

ونجد شواهد الترجيح في كتب التفسير كثيرة فأقدم التفاسير التي بين أيدينا يذكر أصحابها الأقوال في معنى الآية أو الجملة ثم يرجحون بين تلك الأقوال من خلال تقوية أحدها بما استدل عليه من الكتاب أو السنة أو غيرها من القرائن، أو بتضعيف الأقوال إلا واحدًا بأن يثبتوا مخالفتها للكتاب أو السنة الثابتة أو غيرها من موجبات ضعف تلك الأقوال وحينها يكون القول الباقي هو الراجح[٤]،

---

(١) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود: ١٥٨/٥-١٥٩.

(٢) ظ: المصدر نفسه: ١٥٩/٥.

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين: الحربي، حسين بن علي: تحقيق القطان، منّاع، دار القاسم، الرياض – السعودية، ١٤٢٩ هـ ٢٩.

(٤) ظ: جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، ابن جرير: ١/ ٤٠٥. التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، محمد ١ / ٣٤٠.

وأشارت كتب علوم القرآن كذلك للترجيح من قبيل ما ذكره الزركشي من الترجيح بين أقوال الصحابة مع التعارض[١].

وللترجيح بين أقوال المفسرين قواعد عدة يُرجع لها[٢] وهي إما أن تكون ناظرة للنص القرآني من قبيل قواعد النسخ، أو القراءات، أو (السياق – فهو – يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد..)[٣] وغيرها، إما ما يرجع من تلك القواعد العائدة للصحيح من السنة المشرفة وأسباب النزول، ومن القواعد ما يعود للغة من قبيل العودة للغالب من كلام العرب (فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة، شائعاً بينهم و أما طريقة الآحاد من الروايات الشاردة، و الألفاظ النادرة فإنه لا يقطع بذلك، و لا يجعل شاهداً على كتاب اللَّه)[٤]، ومن اللغة أيضًا الترجيح بالتقديم والتأخير وقواعد البلاغة، ومثل هذا الترجيح ضروري للتفسير الموضوعي وأعتقد أنه يكون في صورتين:

الأولى: هي الأخذ بالراجح وذكره من دون ما لم يثبت رجحانه من الأقوال وبهذا سنتجنب الإطناب وهو مطلوب في إيضاح جوانب الموضوع وسهولة تلقيه ولاسيما ونحن نعيش زمن السرعة والعزوف عن القراءة فاستيفاء الموضوع باقل قدر من الصفحات أمر بالغ الأهمية.

الثانية: بأن يذكر الأقوال التفسيرية ويُرجّح بينها في داخل الموضوع المدروس وأثناء التفسير، وأعتقد أن مثل هذا الأمر أحيانًا يكون ضرورة ملّحة إذا كان الرأي المرجوح شائعًا، أو هو المشهور بين عوام الناس ووجد المفسر هنالك ما هو أرجح وأصح، أو أن المشهور لا أصل له وفيه خطر اعتقادي مثلًا وجب حينها ذكره ورده، وإلا فرعاية الإيجاز أولى.

---

(١) ظ: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، ١٢/٢.

(٢) ظ: قواعد الترجيح عند المفسرين: الحربي،٣٠. قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير – دراسة تأصيلية تطبيقية : عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى،١٤٣٦ هـ، ٠.

(٣) بدائع الفوائد: الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت: ٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٩/٤.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، ١/.

مثال ذلك ما عرضه صاحب نفحات القرآن في موضوع (تنزيه الأنبياء) الذي تضمن كثيرًا من الترجيح منها ما صرح بها باحضار الأقوال وردها ومنها ما اكتفى بالوجه الأمثل لرد ما ورد من شبهات حول أنبياء الله صلوات الله عليهم أجمعين[1].

ومن الأمثلة على الترجيح ما ذكره الشيرازي في بيان معنى الآيات (٣١-٣٣) من (سورة ص) المباركة وأن معناها أن سليمان عليه السلام كان ينظر للجياد المعدة للجهاد وأعجبته فمسح على أعناقها (طبقاً للمعنى المتقدّم الذي تبيّن من هذه الآيات، لا يبدو هناك أي إشكال في عمل سليمان عليه السلام هذا، فهو يعتدّ بقدرته العسكرية ويلتذّ بالتطلّع إلى الجياد المهيأة للجهاد، ويأمر بردّها عليه ثانية لاعتزازه بها، وهذه التصرّفات كلّها تبدو بشكل عام معقولة ومنطقية وإلهية)[2]، ثم ذكر جملة من الأقوال في معنى الآيات الثلاثة نوجزها أن سليمان عليه السلام فوت صلاة العصر لانشغاله بالنظر للجياد حتى مغيب الشمس وحين إذ طلب من الملائكة إعادة الشمس ثمّ توضّأ وصلّى، وأنّ جملة «فطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ» إشارة إلى وضوئه، وقال أخرون إن هذه الجملة تعني أن سليمان عليه السلام أمر بقطع أعناق الجياد وقوائمها، لأنها السبب في غفلته ورأي ثالث أمر بذبحها وتوزيعها على الناس.

ويرد الشيرازي على الأقوال المتقدمة بثلاث نقاط:

أ- (لو كانت هذه الجملة «فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ» إشارة إلى وضوئه، فليس لديه سوى رقبة واحدة، والتعبير ب «الأعناق» بصيغة الجمع مما لا يكون، كما أنّ لديه ساقَيْن، والتعبير ب (السوق) بصيغة الجمع يكون لا معنى له أيضاً، ومَن قالَ إنَّ الوضوء كانَ بالمَسْح؟ لا معنى له، ولو كانت بمعنى قطع أعناق وقوائم الجياد، فهو عمل غير منطقي جدّاً، لا يقدم عليه حتّى الفرد العاقل العادي فكيف بنبي عظيم كسليمان عليه السلام، إذ لا ذنب لها، بل لو كان هناك ذنب فهو منه حينما انشغل بالنظر إليها، أكثر ما يمكن أن يقال هنا هو أن يهبها للآخرين لتبقى بعيدة عنه ولا

(١) ظ: نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم: ٨٣-١٣٩.

(٢) المصدر نفسه: /١١٢.

تشغله بنفسها، ولا داعي للقتل أبداً؟!)[1].

ونجد أنه في هذه النقطة استعمل بعض قواعد اللغة وأساليب خطابها في رد القول بالوضوء الذي يتناسب مع قولهم بتفويت سليمان عليه السلام للصلاة، وكذلك استعمل البرهان العقلي وما ثبت في القرآن والسنة من كمالات للأنبياء فلا يعقل صدور مثل هذا الفعل من نبي وهو يتنافى مع حكمتهم.

ب- (لم يرد في هذا الحوار كلام عن «الشمس»، والاستدلال عليها عن طريق «العشي» بعيد جدّاً، لأنّ أقرب ما يعود إليه الضمير هنا هو «الخير» الذي يعني هنا «الجياد» بكلّ تأكيد، كما لم يرد شيء عن الملائكة أيضاً ليكونوا من مخاطبي سليمان، فضلًا عن ذلك فإنّ هذا التعبير الذي وجهه سليمان إلى الملائكة تشمّ منه رائحة صيغة الأمر، ويبدو مستبعداً جدّاً لعدم لياقته وشأن الملائكة)[2].

في هذه النقطة استعمل من قواعد الترجيح السياق الذي خلا من الكلام عن الشمس، ثم بعد ذلك استعان بقاعدة (الترجيح بعودة الضمير إلى أقرب مذكور) على عودة الضمير على الخير لا العشي، ويعود للسياق الخالي من الملائكة لينفي خطاب سليمان لهم.

ح- (لو قبلنا هذا التفسير على سبيل الفرض، لأمكن القول: إنّ الصلاة التي أدّاها قضاءً كانت صلاة مندوبة، قد فاتت سليمان وأنّها كانت قبل غروب الشمس، فكيف يثبت كونها صلاة واجبة؟ وأساساً كيف يثبت كون الفائت هي الصلاة؟! ربّما كانت أذكاراً خاصّة يؤدّيها سليمان قبل الغروب، وقال بعض المفسّرين أيضاً: إنّ «ذِكر رَبّي» لو كان يعني الصلاة الواجبة، وأنّ سليمان عليه السلام كان قد غفل عنها لانشغاله بالجياد استعداداً للجهاد، فلن يرد عليه إشكال أبداً، لأنّ نفس عمل سليمان هذا يعدّ عبادة عظيمة قد أغفلته عن عبادة اخرى، لكن هذا التفسير أيضاً يبدو بعيداً، نظراً

---

(١) نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم: /١١٣.

(٢) المصدر نفسه: /١١٣.

للأهميّة الخاصّة التي تتمتّع بها الصلاة، والصحيح هو ما قيل أوّلًا)[1].

وبهذه النقطة يرد الشيرازي تلك الأقوال ليتعين الصواب بالرأي الذي ذكره ونقلناه في أول الأمر.

أما التفسير البنائي فهو الآخر سار على ما ذكرناه في التفسير الموضوعي من الترجيح غير أن البستاني لم يذكر كثيرًا الأقوال التفسيرية ويكثر من الترجيح بينها، ولو أننا نقطع بأنه قلّب وجوه الأقوال وأخذ بأوفقها مع السياق وأعرض عن ذكر المخالف، وأن مدار تفسيره وبحثه لا يستلزم إحضار الأقوال والمقارنة بينها، أما في مجال التوفيق فهو يذكر الآراء ويوافق بينها تبعًا للسياق العام ومحور السورة القرآنية وقد أشرنا في نقطة التوفيق إلى ذلك وأوضحناه بالمثال.

ومن شواهد الترجيح بين الأقوال التفسيرية لدى البستاني ما ذكره في معنى النبأ العظيم الوارد في مستهل (سورة النبأ) المباركة فيقول: (المفسرون قد تفاوتت وجهات نظرهم حيال المقصود بـ(النبأ العظيم) حيث ترددوا بين كونه القرآن أو الرسالة أو صفات الله تعالى أو القيامة ..إلخ، ولكننا نميل إلى إمكان أن يكون المقصود منه هو يوم القيامة: نظرًا لأن غالبية المقاطع في السورة قد خصصت للحديث عن اليوم الآخر، وختمت السورة أيضًا بالحديث عن الموضوع نفسه، ومن الواضح أن استهلال السورة بموضوع خاص واختتامها بالموضوع نفسه، مضافًا إلى استغراقه غالبية السورة، يكشف بوضوح عن الحقيقة التي أشرنا إليها، حيث إن عمارة السورة القرآنية تخضع لتخطيط هندسي ترتبط (بدايته) (بالوسط) وبـ(الختام) ارتباطًا عضويًا يكشف بأن المقصود من تساؤل البعض عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون هو: اليوم الآخر كما قلنا)[2].

ويتّضح أن الترجيح هنا قائم على ما يبحث عنه البستاني وقصده من تفسيره وهو اتحاد أجزاء السورة الواحدة واتصالها ودورانها حول محورها الأساس ومن هنا رجح معنى القيامة الذي يمكن أن نسميه بالعودة للسياق الكبير أو العام للسورة.

ثانيًا: أثره على التفسير الموضوعي والبنائي

(١) نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم: /١١٤.

(٢) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود، ٢٦٤/٥.

١- أثره بالنسبة للتفسير الموضوعي: إن التفسير التجزيئي يمثل خطوة سابقة للتفسير الموضوعي يستثمرها في الوصول لرؤية إسلامية محورها القرآن عن الموضوع المدروس، هذه الحقيقة تبرز جلية فيما كتبه من نظر للتفسير الموضوعي فيقرر مصطفى مسلم أن أنواع التفسير تتداخل ولا غنى لأحدها عن الآخر ومنها الموضوعي على وجه الخصوص وقد عُد التفسير التجزيئي مادة أولية يمكن الاستناد عليها في عملية الكشف عن مراد الله حول الموضوع المختار والمراد تفسيره موضوعيًا[١].

أما الصدر فيرى أن التفسير الموضوعي يتقدم خطوة على التجزيئي فبعد أن يبرز الأخير المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية يقوم التفسير الموضوعي بصياغة مركب نظري قرآني عن موضوعات الحياة من خلال استحصال أوجه الارتباط بين تلك المدلولات التفصيلية[٢].

ويمكن أن ندرك هنا أهمية الخطوة الأولى المتمثلة بالدلالة التفصيلية للآيات التي يوفرها التجزيئي في سرعة تحصيل الرؤية الواضحة لآيات الموضوع، وطي الزمن وتقليل الجهد اللازم لتحقيق غاية التفسير الموضوعي؛ فلا يلزم أن يعود المفسر لنقطة الصفر ويقوم بجهود كل السابقين ثم يبحث عن تلك الروابط التي أشار لها السيد الصدر بل ينطلق من حيث انتهى الآخرون.

٢- أثره بالنسبة للتفسير البنائي: التفسير البنائي ناظر إلى الأثر الكلي الذي تتركه السورة في المتلقي، لكن تحصيل ذلك الأثر لا يمكن أن يدرك من دون الوقوف على دلالة أجزاء السورة ووحداتها الصغيرة المتمثلة: بالكلمة، والجملة، والآية، التي تتكون منها مقاطع تلك السورة، إن التفسير التجزيئي يمثل كذلك مرتكزًا من شأنه أن يساعد التفسير البنائي على سرعة الكشف عن صلات النص وخيوطه الناظمة، فما ذكر من وجوه تفسيرية للآية توفر مساحة لمن يبحث عن روابط السورة الواحدة أن يُجيل فكره وقد يجد مبتغاه في التفاتة مفسّر لوجه من المحتملات التفسيرية للآيات القرآنية.

---

(١) ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم،٥٤.

(٢) ظ: المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر، ٢٧.

إن من يطالع التفسير البنائي يرى أنه يعود للتفسير التجزيئي بمختلف مناهجه ويغترف منه، وعبارة (النصوص المفسرة) في العادة هي الأكثر تكرارًا ودلالة على عودته إلى ما يؤثر في تفسير بعض الآيات تفسيرًا تجزيئيًا، كذلك يذكر أن المفسرين قالوا في دلالة هذه الجملة كذا وكذا، وقد يقبلها جميعًا ما دامت لا تتعارض ووجد أن اللفظ والسياق يتسع لما قيل فيها من أقوال تفسيرية[١].

والنتيجة إن كلًا من التفسير الموضوعي والبنائي ناظر للتفسير التجزيئي ومنطلق منه وقاطف من ثماره، وساعٍ لاكتشاف هدايات جديدة والغور أكثر في أعماق النص القرآني للكشف عن كنوزه التي لا تنفد، غير أن هذا الأخذ محفوف بالمخاطر إذا لم يراع فيه التمييز والركون لأصوب الأقوال؛ فنجد آراء المفسرين تتعارض وتتقاطع، وفيها ما هو مقبول وآخر زائغ، فيا ترى بأي تلك الأقوال سيأخذ المفسر البنائي والموضوعي؟، وهنا تبرز الحاجة إلى الترجيح بين الأقوال التفسيرية والأخذ بأكملها وجهًا، وهذا ما يهتدى له بالتدقيق وفق مناهج علمية بعيدة عن التعصب والهوى وأن يكون القصد الاهتداء لمراد الله عز وجل بغية امتثاله.

المطلب الخامس: التوظيف المعرفي لعلوم القرآن

تعد علوم القرآن الكريم من الأمور المهمة التي ينبغي على المفسر العناية بها وتقصيها والإحاطة بها فهي مما يُعين على الفهم السليم ويبعد عن الزيغ والتيه.

جاء في بيان هذا المصطلح أن علوم القرآن : (هي جميع المعلومات، والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم، وتختلف هذه العلوم في الناحية التي تتناولها من الكتاب الكريم)[٢] وكما عرفها الشيخ معرفة بأنها (مصطلح خاصّ لمجموعة مباحث دارت حول مختلف شؤون القرآن الكريم، لغاية معرفة هذه الشؤون معرفة فنّيّة وفق أصول وضوابط)[٣].

ويتضح من التعريفين أن هذا المصطلح يشمل علومًا شتى الجامع لها أنها تتعلق بالقرآن الكريم

---

(١) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود، ٥/ ١٥.

(٢) علوم القرآن: الحكيم، محمد باقر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٣١هـ، ٢٢.

(٣) التمهيد في علوم القرآن: معرفة، محمد هادي،١/١٥.

وتنبثق منه أو تسهم في فهمه، ونجد الدكتور فاضل مدب يشير إلى هذه الحقيقة في بيانه للضابطة التي بها يتميز ما يدخل في علوم القرآن الكريم وما يخرج عنها فهو يخلص بعد متابعة وتقصي لجملة ما ألف في علوم القرآن الكريم قديمًا وما ذكر من مباحث فيها وما حوت من تباين إلى القول: (الضابط في دخول علم ما في علوم القرآن مستندًا على موضوع ذلك العلم وغايته والغرض منه، فما كان موضوعه القرآن وغايته فهم القرآن الكريم والغرض منه الكشف عن مراد الله تعالى، فلا إشكال في كونه من علوم القرآن وغير ذلك يكون إما من العلوم الخادمة للقرآن مثل علم اللغة وعلم الأصول، أو مما هي دائرة حول القرآن الكريم كعلم الطب)[1].

وكثيرة هي مباحث علوم لقرآن الكريم لكن وفق الشرط المبينة أعلاه فإن بعض تلك المباحث تخرج من علوم القرآن ولكن هنالك ما هو باقٍ وأصيل ونجده حاضرًا في النص القرآني وكذلك في الروايات الشريفة من قبيل المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفصل وكذلك قصص القرآن والأمثال وغيرها من مباحث هذا العلم، مضافًا لما ذكروه من وجوه إعجازه وكذلك إعراب القرآن وغيرها.

ولبيان الأثر لابد من دراسة أحد مباحث هذا العلم ولابد أن تكون ذات أثر في كل من التفسير الموضوعي والبنائي، ومما نجد لها أصولًا في القرآن الكريم وروايات العترة الطاهرة، لذلك إختير المحكم والمتشابه مثالًا عن علوم القرآن الكريم من أجل دراسة كيفية التوظيف الصحيح، ويعزز ذلك بنماذج وشواهد من التفسير الموضوعي والبنائي عن المحكم والمتشابه.

أولًا: المحكم والمتشابه مثالًا عن علوم القرآن:

١- معنى المحكم والمتشابه:

المحكم: في اللغة الذي (لا اختلاف فيه ولا اضطراب)[2].

---

(١) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والأصوليين: المسعودي، فاضل مدب، اطروحة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى مجلس كلية الفقه- جامعة الكوفة، بإشراف أ.د حكمت عبيد الخفاجي، عام ١٤٣١هـ، ٣٥-٣٦.

(٢) لسان العرب: ابن منظور، جذر (حَكَمَ) ١٤١/١٢

وفي الاصطلاح عُرفه بأنه: (ما انبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار أمر ينضم اليه)[١]، وعرفه في موضع آخر بأنه (ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن إليه و لا دلالة تدل على المراد به لوضوحه)، وكلاهما يؤديان إلى المراد نفسه ويلتقيان مع المعنى اللغوي الذي ذكرناه للمحكم من أنه المعلوم لمنع سريان الاختلاف والاضطراب أو التردد إلى دلالته.

وعرف الشيرازي الآيات المحكمات بأنها (الآيات ذات المفاهيم الواضحة التي لا مجال للجدل و الخلاف بشأنها)[٢].

وعرفه البستاني بقوله: (المحكم: هو ما يعرف بشكل عام من خلال ظهوره اللفظي)[٣] وقد أشار في موضوع آخر بأن المحكم (واضح العبارة)[٤].

المتشابه:

في الاصطلاح عُرف المتشابه بأنه: (ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه)[٥].

أما السيد الطباطبائي فيبيّن أن الآية المتشابهة التي (لا يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها بل يتردد بيين معنى و معنى حتى يرجع إلى محكمات الكتاب فتعين هي معناها و تبينها بيانا)[٦].

وفي بيان السيد الطباطبائي دلالة على أن المتشابه ما حمل لفظه أكثر من دلالة يتردّد المتلقي في تعيين المراد به فتأتي الآيات المحكمات بحكم أمومتها فتزيل ذلك التردد، ونلحظ أن الآيات المحكمات هي القرينة الدالة على معنى المحكم بحسب رأيه، ولعلها من أولى القرائن التي أشار لها

---

(١) التبيان فى تفسير القرآن: الطوسي، ٩/١.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيرازي، ناصر مكارم: ٣٩٦/٢.

(٣) محاضرات في علوم القرآن الكريم: البستاني، محمود:١٣١.

(٤) المصدر نفسه: ١٢٦.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، ٣٩٥/٢.

(٦) الميزان: الطباطبائي، ٢١/٣.

تعريف الشيخ الطوسي.

أما السبحاني فذكر معنى: (المتشابه ما يحتمل وجوهاً متعدّدة وكأن بعض الوجوه مثيراً للريب والشبهة)[١]، ويعتقد أن الإحكام والتشابه وصف للدلالة (فالتشابه في الدلالة هو أن لا يكون للآية ظهور مستقر ودلالة ثابتة بل يحتمل فيها وجوهاً مختلفة مع أنّ المقصود هو واحد منها)[٢]، ويتعين ذلك المقصود بالرجوع إلى القرائن.

ويعرف البستاني المتشابه بضد المحكم فإن كان المحكم عنده ما يعرف بشكل عام من خلال ظهور لفظه فالمتشابه المفتقد لهذه السمة[٣]، ويرى أنه يمكن تقسيم التعامل مع المتشابه على شطرين فيقول: (...ان المتشابه من النص القرآني الكريم يمكننا أن نشطره على شطرين الشطر الأول هو الذي يستطيع المتذوق المختص أن يستخلص منه الدلالة التي تتوافق مع خبرته أي أن النص القرآني الكريم يتضمن من المتشابه ما يسمح به للقارئ بأن يستخلصه لنفسه)[٤].

ويضرب البستاني مثالًا بإخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور عن هذا الشطر من المتشابه ففي قوله تعالى ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٥]، فيبين أن هنالك أكثر من دلالة بإمكان المتذوق أن يستخلصها من ظاهرتي النور والظلمات الواردة في النص القرآني، كما يسوق من القصص القرآني مثالًا عن هذا النوع من المتشابه الذي يمكن للمتلقي المختص أن يصل لمعانيه فبعض تفصيلات القصص التي حذفها النص القرآني يمكن الاهتداء لها من خلال الأحداث والوقائع التي رسمها النص الكريم، على أن لا يخالف ذلك ما ورد من نصوص

---

(١) المناهج التفسيرية: السبحاني، جعفر:١٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٦١.

(٣) ظ: محاضرات في علوم القرآن الكريم: البستاني، محمود:١٣١.

(٤) المصدر نفسه: ١٢٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥.

العترة التي تبيّن النوع الثاني الذي سنبينه كما يرى البستاني[١].

وأما الشطر الثاني فهو ما لا يجوز القول به إلا بما ورد عن أهل البيت عليهم السلام كما يرى البستاني فيقول لتوضيح ذلك: (ولكنه في سياق آخر ترك لنا مجالات نعتمد فيها ليس على أنفسنا بل لا بد من الرجوع لأهل البيت عليهم السلام لأنهم وحدهم قد أذن لهم أو قد أطلعهم على هذه الأسرار الكامنة وراء ما هو متشابه من القرآن الكريم)[٢] فنجد البستاني يقرر أن المتشابه على مستويات يبينها بقوله (بعضها يخضع لطبيعة التذوق الفردي لهذه الشخصية المتلقية أو تلك، وبعضها ينبغي أن يخضع لما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من تفسير خاص لذلك، والبعض الثالث هو ما له بطن وظهر بحيث أن البطن يشير إلى عام ينسحب على مطلق الزمان والكان، إن الظهر هو الذي ينسحب على الظاهرة الخاصة)[٣] وهذا النوع الثالث هو ما يقصد به تحديد المصداق من النص القرآني فجعل الظهر بمعنى المناسبة الخاصة للآية، والبطن ما يمكن أن تنطبق عليه من مصاديق متعددة تختلف مع الزمان[٤].

ويبدو أن معنى المتشابه ليس ببعيد عما ذكرناه في التعاريف السابقة فهو أيضًا ما دل لفظه على أكثر من دلالة؛ الأمر الذي سبب غموضه على المتلقي غير أن ذلك الغموض له مراتب منها ما لا يمكن الاهتداء إليه إلا لمن امتلك قابليات خاصة انكشف معها مراد الله تعالى وهم الأئمة عليهم السلام كما يرى البستاني، ونحن نعلم أن من معاني القرآن الكريم ما لا يدركها إلا العترة الطاهرة الذين هم عدل القرآن الكريم وترجمانه.

وبعد أن عرفنا تعريف المحكم والمتشابه نبحث عن ورود هذين اللفظين في القرآن الكريم والسنة النبوية وأي تلك الموارد ينطبق عليها ما بات مصطلحًا يدرس في علوم القرآن الكريم ونحن بصدد بيان أهمية توظيفه في التفسير من خلال ما نبحثه في هذا المطلب

---

(١) ظ: المصدر السابق: ١٢٨.

(٢) محاضرات في علوم القرآن الكريم: البستاني، محمود: ١٣٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٣١.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٢-١٣٣.

٢- المحكم والمتشابه في القرآن:

نجد أن القرآن الكريم وصف نفسه تارة بأنه محكم، وأخرى بأنه متشابه، وثالثة يبين أن منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه.

أ- وصف القرآن الكريم بأنه محكم وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكيمٍ خَبيرٍ ﴾[١]، وقيل في معناها أي (أُحْكِمَتْ آياتُهُ من الباطل، فلم يوجد فيه عوج ولا تناقض)[٢]. وهذا الكتاب محكم بمطابقة جميع آياته للواقع، وعدم سريان الخلل إليه أو الباطل والتيه فهو محكم من كل ذلك[٣].

ب-إن جميع القرآن متشابه: قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾[٤] يقول الطبرسي إن (قوله متشابها أي يشبه بعضه بعضًا في الحسن و الصدق و الثواب و البعد عن الخلل و التناقض فهو كله متشابه من هذا الوجه)[٥]. وليس ببعيد عنه ما ذكره الثعالبي بقوله (بل يُشْبِهُ بَعْضُهُ بعضاً في رَصْفِ اللَّفْظِ ، ووَثَاقَةِ البراهينِ ، وشَرَفِ المعاني)[٦]، وفي هذا الفلك دارت كلمات سيد طنطاوي : (يشبه بعضه بعضًا في فصاحته وبلاغته ، وفي نظمه وإعجازه ، وفي صحة معانيه وأحكامه ، وفي صدقه وهداياته

---

(١) سورة هود: الآية١.

(٢) بحر العلوم: السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد (ت ٣٣هـ) : تحقيق: أبو سعيد عمر بن غلام حسن عمروي، دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٣/٢.

(٣) ظ: جامع البيان: الطبري، ١٢٣/١١. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): ابن عاشور، محمد الطاهر (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ هـ، ٣١٤/١١.

(٤) سورة الزمر : الآية ٢٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، ٢٠/٢.

(٦) جواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد (ت: ٨١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، ٨٨/٥.

وإرشاداته إلى ما يسعد الناس في دنياهم وآخرتهم)[١]، ومن الواضح أن كلمة المفسرين اجتمعت على أن المراد من التشابه في هذه الآية هو تشابه آيات الكتاب العزيز ببيانها وإعجازها وبلاغتها وصدقها وما دار هذا المدار من المعاني.

ت- إن في القرآن الكريم محكم ومتشابه فقد ورد في الآية السابعة من سورة آل عمران قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْويلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ ﴾[٢] فعلى الرغم من أن المفسرين أتفقوا على وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ولكنهم اختلفوا في تحديد المراد وقد تعددت أقوالهم حتى أحصى السيد الطباطبائي ستة عشر قولًا وأورد عليها إشكالات[٣] وخلص إلى (أن الذي تعطيه الآية في معنى المتشابه: أن تكون الآية مع حفظ كونها آية دالة على معنى مريب مردد لا من جهة اللفظ بحيث يعالجه بالطرق المألوفة عند أهل اللسان كإرجاع العام و المطلق إلى المخصص والمقيد ونحو ذلك بل من جهة كون معناها غير ملائم لمعنى آية أخرى محكمة لا ريب فيه تبين حال المتشابهة، و من المعلوم أن معنى آية من الآيات لا يكون على هذا الوصف إلا مع كون ما يتبع من المعنى مألوفًا مأنوسًا عند الأفهام العامية تسرع الأذهان الساذجة إلى تصديقه أو يكون ما يرام من تأويل الآية أقرب إلى قبول هذه الأفهام الضعيفة الإدراك و التعقل)[٤].

إن الطباطبائي وغيره من المفسرين يشيرون إلى ضرورة إرجاع المتشابهات إلى المحكمات عند

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: طنطاوي، محمد سيد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م، ٢١٤/١٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٣) ظ: الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، ٣٢/٣-٤١.

(٤) ظ: الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي: ٤١/٣.

محاولة معرفة مراد الله تعالى من تلك الآيات المباركات وما كان في الأمة من زيغ وانحراف، ومذاهب وأقوال تعارض ثوابت العقيدة إلا نتيجة عدم رعاية المتشابهات وتأويلها من أهل الأهواء والزيغ تأويل باطل أفضى إلى ما أفضى إليه من مخاطر(١).

إن ما يبحث في علوم القرآن وما قصده البحث هو لزوم رعايته من المفسر هو هذا النوع الثالث الذي يقسم آيات القرآن الكريم إلى محكمات ومتشابهات وأننا نهتدي لتأويل المتشابه تأويلًا صحيحًا بإرجاعه إلى المحكم والإستعانة به على الفهم الصائب للآية المتشابهة.

ج- المحكم والمتشابه في السنة المشرّفة:

إن المحكم والمتشابه قد ورد في الروايات الشريفة بصور عدة منها ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام: (مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم)(٢)، والرواية واضحة الدلالة في الدعوة إلى إرجاع متشابه القرآن الكريم إلى المحكم وإن ذلك الإرجاع يمثل الوجه الصحيح لمعرفة مراد الله من ذلك المتشابه وهو ما نلتمسه من دلالة الهداية إلى الصراط المستقيم الواردة في الرواية.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((إِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ فِي الْمُتَشَابِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقِفُوا عَلَى مَعْنَاهُ وَ لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَتَهُ فَوَضَعُوا لَهُ تَأْوِيلَاتٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ بِآرَائِهِمْ وَ اسْتَغْنَوْا بِذَلِكَ عَنْ مَسْأَلَةِ الْأَوْصِيَاءِ وَ نَبَذُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَرَاءَ ظُهُورِهِم))(٣)، والرواية تشير إلى أحد سبل الاهتداء لمعاني المتشابه وتوجيهها الوجه الصحيح وهو الاستعانة بالسنة المشرفة.

كذلك روي عنه عليه السلام في بيان معنى المتشابه فقال: (أَمَّا الْمُتَشَابِهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ الَّذِي انْحَرَفَ مِنْهُ مُتَّفِقُ اللَّفْظِ مُخْتَلِفُ الْمَعْنَى...)(٤). وهو يشير هنا إلى اللفظ الذي يحمل أكثر من دلالة ومن تلك الدلالات ما قد يتوهم في فهمه وقد بين في الرواية وجوه (الضلال) واختلاف معانيها في

---

(١) ظ: المصدر نفسه: ٤١/٣. التمهيد: معرفة، محمد هادي: ١٣/٣. المناهج التفسيرية: السبحاني، جعفر: ١٦.

(٢) وسائل الشيعة: الحر العاملي، ١١٥/٢.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي، ١٢/٩٠.

(٤) المصدر نفسه: ١٢/٩٠.

القرآن فهو مما قد يشكل على سامعه وتاليه خصوصًا عندما يتصل بالحق تعالى أو بالنبي صلوات الله عليه وآله، ويؤوله عليه السلام التأويل الذي يتفق مع محكمات القرآن الكريم.

ثانيًا: أثر المحكم والمتشابه في التفسير الموضوعي والبنائي:

لما كان البحث مداره التفسير الموضوعي والبنائي فإنه سيتضمن تحليل بعض نماذج الاسلوبين ليظهر الأثر الذي أفضى له التوظيف الصحيح لأحد مباحث علوم القرآن الكريم وهو المحكم والمتشابه.

١- أثره في التفسير الموضوعي:

بغية الوقوف على ما يتركه المحكم والمتشابه من آثار على نتائج التفسير الموضوعي راجع الباحث عددًا من نماذجه ووجد أن الأثر الذي يتركه الإهمال لعلوم القرآن ومباحثه – تحديدًا المحكم والمتشابه– قد يفضي إلى نتائج تصل حد التضاد من قبيل (إمكانية رؤية الله وعدمها) فعند تتبع ثلاث موضوعات ضمن (موسوعة التفسير الموضوعي)[١] وتلك الموضوعات هي (الرؤية، والسعادة، واليوم الآخر) وجدتها جميعًا تخلص إلى نتيجة مفادها (إمكانية رؤية المؤمنين لله جهارًا يوم القيامة) مستندين في ذلك على قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٢]، وبعض ما ورد من روايات وننقل نصوص بعض النتائج في تلك الموضوعات.

ففي موضوع الرؤية الذي تناولته الموسوعة وتحديدًا في مطلب (رؤية الله تعالى) وفي النقطة الثانية منه التي عنوانها (رؤية العباد لله تعالى) وقد استدل على ذلك بالقرآن وننقل ذلك (من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٣] . قال ابن عباس وأكثر المفسرين: «تنظر إلى ربها عيانًا بلا حجاب، قال الحسن: حق لها أن تنظر إلى الخالق سبحانه وتعالى، وروي عن مجاهد وأبي صالح أنهما فسرا النظر في هذه الآية: بالانتظار، قال مجاهد تنتظر من ربها ما أمر لها به، وقال أبو صالح: تنتظر الثواب من ربها». قال ابن جرير الطبري: «وأولى القولين في

---

(١) رابط موقع الموسوعة (https://modoee.com/).

(٢) سورة القيامة: الآيتان ٢٢-٣٣.

(٣) سورة القيامة: الآيتان ٢٢-٣٣.

ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم». وقال ابن كثير: .. إلى ربها ناظرة، أي: تراه عيانًا...)[١].

وفي موضوع السعادة تعود إمكانية الرؤية نتيجة بل مثوبة للمؤمنين يوم القيامة وهذا ما يتضمنه مبحث مظاهر السعادة في الدار الآخرة وتحديدًا النقطة السابعة منه التي عنوانها (رؤية الله تعالى) ففي هذه النقطة يقرر تحقق الرؤية يوم القيامة [٢].

النتيجة نفسها أي تحقق (رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة) تعود في موضوع اليوم الآخر وتحديدًا تحت عنوان أحداث في المحشر فيستدل بالآيتين (٢٢-٢٣) من سورة القيامة بأن الرؤية جزء من التكريم للمؤمنين (بالنظر إلى وجهه الكريم عيانًا كما ترى الشمس في النهار إذا كان الجو صحوًا)[٣].

وعلى الضد من ذلك ما ذهب له السبحاني في تفسيره فهو يرى استحالة تحقق الرؤية في الدنيا والآخرة (فاللَّه سبحانه فوق أن يكون مرئيّاً للأبصار، محاطاً بالجهة والمكان، فمن كان هذا خصيصته، لايرى في الدنيا و الآخرة)[٤] فهو يرى أن من ذهب لإمكان الروية استدل بقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٥]، وذهابهم لتفسير ناظرة بمعنى مبصرة ويرد ذلك بجملة من الشواهد القرآنية جاء في مقدمتها ما انضم تحت عنوان بـ(القرآن يتلقى الرؤية أمراً منكرًا).

فيذكر فيها: (إنّ الدقّة في الآيات الواردة حول الرؤية و سؤال بني اسرائيل إيّاها من نبيّهم يقف على أنّ القرآن يقابلها بالاستنكار الشديد فيتلقّاها أمراً منكراً ١- قال سبحانه: ﴿ وَ اذْ قُلْتُمْ يا مُوسى

---

(١) موضوع الرؤية: عبر الرابط:https://modoee.com/show-book-scroll/٣٨١?q .

(٢) ظ: موضوع السعادة: عبر الرابط: https://modoee.com/show-book-scroll/٤٩٩?q .

(٣) موضوع اليوم الآخر: عبر الرابط: https://modoee.com/show-book-scroll/٤٩?q .

(٤) مفاهيم القرآن: السبحاني، جعفر: ٣/٤٢٠.

(٥) سورة القيامة: الآيتان ٢٢-٣٣.

لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى نَرى اللَّهَ جَهْرَةً فَاخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ انْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾[1] ٢- قال سبحانه: ﴿... فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى اكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَاخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ...﴾[2] ٣- و قال سبحانه: ﴿ وَ اخْتَارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا إِنْ هِىَ الَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَ﴿ مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِى مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنَا وَ انْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ﴾[3].٤- و قال سبحانه: ﴿ وَ لَمَّا جَاءَ مُوسى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِى انْظُرْ اليْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَ لكِنِ انْظُرْ الى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا افَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ اليْكَ وَ انَا اوَّلُ المُؤْمِنِينَ﴾[4]. فمن أمعن النظر في هذه الآيات من دون رأي مسبق يقف على أنّ القرآن يستنكر رؤية اللّه و يقابل من يطلبها، بالصاعقة و الرجفة و اللّوم، فمع هذه النصوص كيف يمكن لنا القول بجواز رؤيته عز وجل في الدنيا و الآخرة، أو في خصوص الآخرة؟ فإنّ الأحكام العقليّة لاتقبل التخصيص، فالجمع بين الضدين أو النقيضين محال في الدارين،...)[5]

إن السبحاني بالرجوع إلى هذه الآيات المحكمات اهتدى إلى حقيقة مفادها نفي عموم الرؤية كما أنه بعد ذلك يذكر آيات محكمات أخرى ذات دلالة واضحة تعزز ما استنتجه من الآيات السابقة من نفي رويته عز وجل فيقول السبحاني: (سبحانك أنت القائل: ﴿لا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰر وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[6]. سبحانك أنت القائل: ﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِى ﴾[7] مقروناً بلن للتأبيد في النفي.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٣.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٥.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٥) مفاهيم القرآن: السبحاني، جعفر: ٤٢٤/٣.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٧) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

سبحانك أنت القائل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[١]. إنّ الذين يتمنّون رؤيته في الدنيا و الآخرة إنّما يتمنّون أمراً محالًا غافلين أنّ العيون لاتدركه بمشاهدة العيان، و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، فهو قريب من الأشياء، غير ملابس، بعيد عنها غير مبائن)[٢]

ويذكر السبحاني مزيدًا من الأدلة على نفي الرؤية لكن البحث التزم بحدود عنوان المقصد وأخذ إرجاع المتشابهات إلى المحكمات من القرآن الكريم دون سائر المناقشة مراعاة للاختصار[٣] ونعتقد أنها تكشف لنا الاختلاف الكبير بين ما ذهب له السبحاني وهو استحالة رؤيته عز وجل والباحث يراه صوابًا ومتناسبًا مع محكمات القرآن الكريم، وبين ما ذُهب له في موسوعة التفسير الموضوعي الذي أخالفه وأجده وقع في خطأ نتيجة عدم تحكيم محكمات الكتاب وقال بالتجسيم.

٢- أثره في التفسير البنائي:

حتى لا نغادر الموضوع وننتقل لشاهد آخر ولتجنب الإطالة اخترنا قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٤]. وذهبنا للتفسير البنائي فجاء في معرض تفسير النص المبارك : (أما الصورة الثانية ﴿ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فهي تنتسب إلى ما يمكن تسميته بالصورة التجوزية أو التسامحية أي الصورة التي يتسامح فيها لغويًا فيعبر عن إحدى الحقائق بلغةٍ لا يمكن أن نعدها حقيقة بل نعدها نوعًا من التعبير الذي يتسامح فيه بالنسبة إلى حقيقة الله تعالى فالصورة تقول: إن هذه الوجوه الناظرة: تنظر إلى ربها في ذلك الموقف، لكن كما نعرف جميعًا إن الله تعالى منزه عن الجسمية فلا يمكن أن ينظر، حينئذ يكون هذا التعبير متسامحًا يهدف إلى تقرير حقيقة أخرى هي أن يكون النظر إلى عطاء الله تعالى ...)[٥].

إن تلك الحقيقة التي قررها البستاني لم تكن بمعزل عن الرجوع للآيات المحكمات في اثبات

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦.

(٢) مفاهيم القرآن: السبحاني، جعفر:٣/٤٢٥.

(٣) ظ: مفاهيم القرآن: السبحاني، جعفر: ٣/٤٢٠-٤٤٣.

(٤) سورة القيامة: الآيتان ٢٢-٣٣.

(٥) التفسير البنائي: البستاني، محمود: ٥/٢٠٨.

حقيقة استحالة رؤية الله تعالى، وأن ركونه لمعنى استحالة الرؤية يفصح عن رجوعه إلى محكمات الكتاب وإن لم يذكر تلك الآيات ويطيل النقاش في نفي الرؤية، ونرى البستاني في كل تفسيره لا يطيل النقاش في الآراء بل يركن للرأي الثابت عنده أو قد يعرض ويرجّح لكن على عجالة شديدة، وإلا فالغالب عنده الاختصار وعدم الخوض في الأقوال التفسيرية وهذا متناسب مع غايته من التفسير.

الاتفاق والافتراق بين أصول التفسير الموضوعي والبنائي:

بعد أن تناول البحث بالتحليل عشرة من أهم الأصول المعرفية والإجرائية وتتبع أثرها في التفسير الموضوعي والبنائي، صار لزامًا عقد موازنة خاصة بهذا الفصل نبين فيها بإيجاز وجوه الإلتقاء والإفتراق بينهما من جهة أصول التفسير :

أولًا: الاتفاق:

١- نلحظ أن التفسيرين يشتركان في الكثير من الأمور فالمفسّر في التفسير الموضوعي والبنائي يعتقد أن القرآن الكريم كلام الله ووحيه المنزل على نبيه وأنه معجزته التي بلّغها النبي صلى الله عليه وآله للبشرية، وأن هذا الإعتقاد ذو أثر في كل منهما.

٢- كما أنهما يلتقيان في أن القرآن الكريم سالم من التحريف منزه عنه وأنه وصلنا بلا زيادة ولا نقصان كما أداه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الناس وأنه فوق كلام البشر ومهيمن عليه، وأنه كتاب هداية ظاهره حجة ويمكن فهمه وتفسيره بالإستعانة به على بيان بعضه بعضًا أو ما صح من طرائق التفسير مستعينين على ذلك بما صح من المصادر التفسيرية، وأنه يمكن الوصول لهدايات جديدة تمثل رؤية السماء التي تخدم البشرية وتجلب لها السعادة.

٣- وهنالك إشتراك ضمن إطار خاص بالتفسير الموضوعي (الكشفي) فهو يلتقي مع التفسير البنائي في أن السورة القرآنية منسجمة مترابطة المواضيع تحوم حول عنوان شامل يؤلف بين أجزائها وموضوعاتها وهي تنتظم حول محور خاص بكل سورة أو ما يصطلح عليه السياق العام لها.

٤- ومن وجوه الاتفاق بينهما الإقرار بحاكمية الركائز القرآنية في التفسير، وأنهما وظفا التفسير التجزئيي في عملية الكشف عن المعاني الجزئية التي تمثل مرحلة متقدمة توصلهم للمعنى

الكليّ والصورة النهائية، وأمر التوظيف منطبق كذلك على معارف علوم القرآن الكريم، وكل ذلك ذو أثر بارز فيما خلصا له من هدايات.

ثانيًا: الافتراق:

وكما اشترك التفسير الموضوعي والبنائي في تلك الأصول اشتراكًا عامًا، إلا أنهما تباينا في الأثر الذي تؤديه تلك الأصول فقد بيّن البحث في المقصد السابق اشتراكهما بضرورة إيمان المفسر بأصل وحيانية القرآن الكريم، فإننا نجدهما يتباينان في نتاج ذلك الإيمان ولازمه فالموضوعي يسعى من اثبات وحيانية القرآن الكريم إلى أن يجعله حاكمًا على التجربة البشرية ومقومًا لها لانه صادر من لدن حكيم خبير أوجد البشر وهو العالم بمصالحهم، أما البنائي فإن معطيات هذا الإعتقاد تظهر في إثبات نظم القرآن الكريم فما دام أنه صادر من حكيم خبير مقتدر فهذا سبب كافٍ للإيجاد الترابط بين أجزائه بالشكل المعجز للبشر، فنلحظ بوضوح التباين في الأثر الذي يلقيه الإيمان بوحيانية القرآن الكريم.

وفي سلامة القرآن الكريم من التحريف يظهر التباين أيضًا في الوظيفة والداعي لهذا الإيمان فعدم الإيمان بهذا الأصل يعني للتفسير الموضوعي غياب بعض جوانب الموضوع بسبب النقص أو زيادة معطيات تغيّر النتائج بفعل الزيادة وهذا ما لا يمكن قبوله، أما البنائي فلازم النقص أو زيادة اختلال بناء السورة القرآنية وانفصام روابطها.

وتبين الاتفاق في أصل إمكانية التفسير أما الإفتراق فإنه يكمن في أن التفسير الموضوعي يبحث عن رأي القرآن الكريم في الموضوع من كل القرآن الكريم أما في البنائي فإمكانية التفسير هي من تمكّنه من الكشف عن الأثر الكليّ الذي تتركه السورة في نفس المتلقي، من هنا يظهر التباين بينهما.

ومن الأصول التي انفرد بها التفسير الموضوعي هي إمكانية استخراج رؤية إسلامية محورها القرآن الكريم، وذلك لأن هذا الأمر خارج عن تخصص التفسير البنائي الذي يبحث عن السورة القرآنية بوصفها وحدة واحدة أو بعبارة أخرى يبحث عن الأثر الكليّ الذي تتركه السورة عند قارئها.

حاكمية الركائز القرآنية على بعضها واضحة بالنسبة للتفسير الموضوعي كون الآيات تكون مجتمعة من كل القرآن الكريم ومؤتلفة في البناء الجديد الخاص بالموضوع المدروس الأمر الذي

يجعلها سهلة الملاحظة، أما في البنائي فتظهر كنتائج نهائية وأحكام يخلص لها البستاني دون ذكر الآيات الحاكمة التي أوصلته لهذا الحكم فالغالب على البنائي أنه يخلص للنتائج ويقدمها بما يخدم بناء السورة ويظهر اتحادها ولا يخوض كثيرًا في التفاصيل وعليه فمن أراد إدراك كل الثنائيات لزمه مراجعة الآحكام التي يصدرها البستاني والتفكر في أسبابها من قبيل ما بيّنه البحث في هذا الأصل.

في التفسير الموضوعي تذكر في العادة الآراء التفسيرية المتعارضة ويصار إلى الترجيح بينها وهو ملاحظ بكثرة في الأمور العقائدية والفقهية أما في التفسير البنائي فالغالب الإكتفاء بذكر ما يرجح عنده وعدم الخوض في عرض الآراء الكثيرة والترجيح بل يركن إلى ما وافق بناء السورة وعملية الترجيح حتمًا حاضرة لكنها خارجة عن النص التفسيري وإنما النتيجة هي من تسجل حضورها.

الفصل الثاني: الاتفاق والافتراق بين قواعد التفسير الموضوعي والبنائي

المبحث الأول : قواعد التفسير واختلافها عن أصوله

المبحث الثاني: من قواعد التفسير الموضوعي

المبحث الثالث: قواعد التفسير البنائي

نقاط الاتفاق والافتراق بين قواعد التفسير الموضوعي والبنائي

المبحث الأول: قواعد التفسير واختلافها عن أصوله:

المطلب الأول: قواعد التفسير

ونبين فيه معنى القاعدة بشكل عام ثم قواعد التفسير هذا المصطلح الذي وضع بوصفه عنوانًا مهمًا في حقل الدراسات التفسيرية.

أولًا: القاعدة في اللغة، والاصطلاح:

١- **القاعدة** لغة: مشتقة من (قَعَدَ)، والقواعد أساس الشيء أو ما ارتكز عليه[١]، (القاعِدَةِ: أَصلُ الأُسِّ، و القَواعِدُ: الإِساسُ، و قواعِد البيت إِساسُه. و في التنزيل: ﴿ وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ..﴾)[٢].

٢- **القاعدة في الاصطلاح:** وللقاعدة في الاصطلاح تعريفات عدة فقد عرّفها الجرجاني بأنها (قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها)[٣]، كما عُرفت بأنها (حكم كلّيّ ينطبق على قضايا مختلفة موضوعها واحد)[٤] أو هي (حكم كلّيّ يتعرف به على أحكام جزئية، وقد يقال : هي حكم كلّيّ مستنبط من مجموع الأحكام الجزئية التي ينطبق عليها)[٥]، أو إنها (الأمر الكليّ المنطبق على جزئيّاته)[٦].

---

(١) ظ: العين: الفراهيدي: (قَعَدَ) ١٤٣/١. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥ هـــــ)، مكتب الاعلام الاسلامي، قم- ايران، ١٤٠٤هـ: (قَعَدَ) ١٠٩/٥.

(٢) لسان العرب: ابن منظور، (قَعَدَ) ٣٦١/٣.

(٣) التعريفات: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت: ٨١٦هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ١١.

(٤) معجم ألفاظ الفقه الجعفري : فتح الله، أحمد، مطابع المدوخل، الدمام – السعودية، الطبعة الاولى، ١٤١٥ هـ: ٣٢.

(٥) مفاتيح التفسير: الخطيب، أحمد سعد، دار التدمرية، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ: ٦٥٥.

(٦) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: الميبدي، محمد فاكر: ٣٥.

إن التعريفات المذكورة اتفقت جميعًا على وصف القاعدة بالكلّيّ، وهذا الكلّيّ ينتظم داخل سوره مجموعة من الجزئيات اتحدت بانطباق الكلي عليها، لكن الواقع يقول إن هنالك ما يخرج عن القاعدة، وهنا يُطرح سؤال مفاده: كيف يمكن أن تكون كلية بعد هذا الخروج؟.

وقد أجيب عن ذلك بأن بعض ما يتصوّر خروجه ليس من القاعدة أصلًا كما يقول الشاطبي: (قَدْ يَكُونُ تَخَلُّفُهَا لِحِكَمٍ خَارِجَةٍ عَنْ مُقْتَضَى الكلي، فلا يكون دَاخِلَةً تَحْتَهُ أَصْلًا)[1]، فضلًا عن ذلك يشير الشاطبي إلى أن خروج البعض في الكليات الاستقرائية لا يخرج القاعدة عن كليتها فيقول (الْأَمْرَ الْكُلِّيَّ إِذَا ثَبَتَ كُلِّيًّا، فَتَخَلُّفُ بَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ عَنْ مُقْتَضَى الْكُلِّيِّ لَا يخرجه عن كونه كليا، وأيضًا فَإِنَّ الْغَالِبَ الْأَكْثَرِيَّ مُعْتَبَرٌ فِي الشَّرِيعَةِ اعْتِبَارَ الْعَامِّ الْقَطْعِيِّ؛ لِأَنَّ الْمُتَخَلِّفَاتِ الْجُزْئِيَّةَ لَا يَنْتَظِمُ مِنْهَا كُلِّيٌّ يُعَارِضُ هَذَا الْكُلِّيَّ الثَّابِتَ)[2] ويبدو أن الميبدي جرى على ذلك فيما خلص له من أن شرط عدم تخلف أي فرد خاص بالقواعد العقلية ممكن مع غيرها فيقول: (أنّ الكليّة غير المستثناة إنّما هي في القواعد العقليّة، و أمّا القواعد التفسيريّة والفقهيّة والأُصوليّة، فلا تكون كذلك، بل هي ممزوجة بالاعتباريّات. نعم، لابدّ من دليل قطعيّ لخروج فرع أو فروع منها)[3].

إننا نجد أن هنالك من أراد الخروج من هذا الإشكال فعرف القاعدة بالأغلبي بدل الكلي تماشيًا مع الواقع فقيل في القاعدة بأنها (حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته)[4] وقريب من ذلك (حكم ينطبق على معظم جزئياته)[5]، وفيما يبدو فإن التعريفان السابقان وما شابههما جاءت تلافيًا للإشكال الذي قد يقع بخروج بعض أفراد القواعد وعدم انطباق حكمها عليه.

ثانيًا:القاعدة التفسيرية:

---

(١) الموافقات: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت: ٧٩٠هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١هـ: ٨٤/١.

(٢) المصدر نفسه: ٨٣/١.

(٣) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: الميبدي، محمد فاكر: ٣٤.

(٤) المدخل الفقهي العام: الزرقا، مصطفى أحمد، دار القلم، دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ: ٢/ ٩٦٥.

(٥) أصول التفسير: الفتلاوي، محمد:١٠.

بيّن البحث تعريف التفسير في التمهيد وكذلك معنى القاعدة، بقي أن نعرف هذا المركب الذي جُعِلَ عنوانًا ومصطلحًا لمجموعة من الكليات، الممهدة في الكشف عن مراد الله في كتابه، فالقاعدة التفسيرية في الاصطلاح :(هي قاعدة ممهّدة لتحصيل الحجّة على استكشاف مراد اللّه تعالى من الآيات القرآنية، و إن شئت فقل: هي قاعدة ممهّدة للاحتجاج بها على تفسير القرآن) [١].

كما عُرِّفت بأنها: (الأحكام الكلية التي يتوصّل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفية الاستفادة منها)[٢].

وخلص رضائي إلى أن قواعد التفسير (القوانين الكُلِّية التي تقع واسطة في الاستنباط ولا تختص بآية أو سورة خاصة)[٣].

ولم تخرج تلك التعريفات عن التعريف الاصطلاحي لعموم القاعدة غير أن التعريف الأول عَرَفَ القاعدة التفسيرية بالقاعدة وهو غير مناسب في التعريف فلا ينبغي تعريف الشيء بنفسه.

وقد أجمعت التعريفات على أن القاعدة كلية ممهدة يتوّصل بها إلى معاني الآيات، وكشف المراد، وليست هي المراد بل هي طريق يساعد في الوصول إليه، وأضاف رضائي لتعريفه قيد عدم اختصاصها بآية أو سورة خاصة ليميزها عن الضابطة التي تختلف عن القاعدة من كون الأخيرة (تجمع فروعاً في أبواب شتى، بينما الضابطة تجمع فروعاً في باب واحد، وإنّ مجال تطبيق القواعد أوسع من مجال تطبيق الضوابط، لذا فهي أعمّ)[٤]، ويظهر أن تعريف رضائي اشتمل على ما في التعريفين السابقين له وزاد عليها بما أضافه من قيد احترازي ليزيد به وضوح المراد من القاعدة.

المطلب الثاني: الفرق بين قواعد التفسير وأصوله

(١) دروس في القواعد التفسيرية: المازندراني، علي أكبر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٢٨هـ، ١/ ١٦٤.

(٢) قواعد التفسير: السبت، خالد بن عبد الرحمن، دار ابن عفان للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، (د.ت)، ١/ ٣٠.

(٣) منطق تفسير القرآن (أصول وقواعد التفسير): رضائي، محمد علي، تعريب: أحمد الأزرقي وهاشم أبو خمسين، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم – إيران، الطبعة الثانية: ١٤٣٦هـ: ٢١٢.

(٤) أصول و قواعد التفسير الموضوعي للقرآن: التميمي، مازن: ٢٦١.

أولًا: الأصول قضايا عامة والقواعد ضوابط محدودة التعبير.

ثانيًا: الأصول أعم ، فكل مجموعة من القواعد تندرج تحت أصل من أصول التفسير.

ثالثًا: الأصول التفسيرية تراعى قبل البدء بالتفسير، بينما القواعد فتراعى أثناء عملية التفسير.

رابعًا: الوظيفة الأساس للأصول ضبط عملية فهم النصّ القرآنيّ، بينما القواعد وظيفتها الأساس مساعدة المفسر على فهم النصّ القرآنيّ بما توفّره من قرائن توضّح مراد المولى سبحانه [1].

المبحث الثاني: من قواعد التفسير الموضوعي

(١) ظ: أصول التفسير عند الإمامية: العسكري، ساجد:٣. ظ: أصول التفسير: الفتلاوي، محمد كاظم: ١١.

التفسير الموضوعي هو أحد أنواع التفسير وأقسامه لذا نجد معظم القواعد العامة للتفسير توظّف فيه وتخدم غايته وما يقصده غير أن بعض القواعد ذات أثر أكبر من غيرها في هذا النوع من التفسير وهنالك من القواعد ما انماز بها عن غيره وفي هذا المبحث سنتناول مجموعة من قواعد التفسير الموضوعي توظف في البحث عن الموضوع القرآني والسورة القرآنية ونورد معها بعض الأمثلة لبيان أثرها، ومنها:

القاعدة الأولى: الجمع الناقص لا يُفضي إلى نتائج سليمة

الخطوة الأولى في ميدان التفسير الموضوعي هي اختيار الموضوع، بعدها تبدأ مرحلة جمع الآيات المتعلّقة بالموضوع المدروس وهنا تبرز أهمية هذه القاعدة.

أولًا: معنى القاعدة:

هذه القاعدة تعني ضرورة استقصاء جميع الآيات المتصلة بالموضوع وجمعها وعدم التخلّي عن أي منها، فبها مجتمعة تكتمل صورة الموضوع، وتُعد هذه المرحلة مهمة وخطيرة جدًا وتحتاج إلى معرفة عالية وقوة ملاحظة وتفتيش وتمحيص، حتى تتمكن من جمع كل ما له صلة بالموضوع المدروس؛ لأن إغفال بعض ما له علاقة بالموضع يؤثّر على النتائج المستخلصة في المراحل التي تتبع عملية الجمع أي في مرحلة التحليل والتقعيد واستخراج رؤية إسلامية محورها القرآن عن الموضوع المختار، فبعض الآيات تمثل شروط الموضوع والأخرى أسبابه وبعضها مقدماته وهكذا، وهي كحلقات سلسلة متماسكة ففقدان بعضها يؤدي بالضرورة إلى تفكك انتظام تلك السلسلة وتفكك أجزائها وبالتالي الخلوص إلى نتائج غير واقعية يشوبها النقص.

ثانيًا: تحديات يواجهها المفسّر في مرحلة الجمع:

١- **تتبع الآيات المتعلقة بالموضوع في كل القرآن الكريم:** إنَّ القرآن الكريم بترتيبه ونظمه المعجز وما فيه من أسرار بيانية وبلاغية عظيمة وما يفضي له من هداية على وفق هذا الترتيب التوقيفي المعجز جعل الأمة تروي ظمأها منه لقرون، غير أن هذا الأمر لا يمنع من أن يُقصد القرآن الكريم ويبحث فيه عن موضوع معين لمعرفة الموقف تجاه ذلك الموضوع باستقصاء آياته وجمعها من كل القرآن الكريم بل أنه لا تنقضي عجائبه ولا ينفد

عطاؤه، ومن صور هذا العطاء ما تجود به آيات الموضوع مجتمعة في بناء موضوعي جديد، لكن الصعوبة تكمن في أن على المفسر (أن يلم بكل الآيات الباحثة عن الموضوع الذي نبحث عنه في جميع السور، لأن القرآن الكريم قلما يستوعب الموضوع في بحثه في موضع واحد...، فمن أراد الاستضاءة بهذا القبس الإلهي عليه أن يطلع على مجموع ما نزل من الوحي في موضوع من موضوعاته الحية)[1]، وإن هذا الجمع لا يتأتّى لأي أحد بل هو أمر شاق يحتاج إلى معرفة عالية بكتاب الله العزيز وثقافة واسعة تعطي المفسّر القدرة على اكتشاف تلك الآيات الملتحمة في سياقاتها وجمعها.

٢- وجود مصطلحات جديدة ومسميات حديثة تحتاج إلى دقة في اكتشاف ما يدل عليها من الآيات، فإن التفسير الموضوعي يحاول تقديم إجابات عن مختلف الموضوعات فهو يطرح (موضوعًا من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية و يتجه إلى درسه و تقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده)[2]، فنحن نعلم أن الكثير من المصطلحات في تلك الجوانب لا نجدها بلفظها في القرآن الكريم من قبيل الديمقراطية أو الرأسمالية وغيرها لذلك يظهر تحدٍ أمام المفسر في تتبع وجمع الآيات التي تتناول تلك الموضوعات.

ثالثاً: مثال تطبيقي:

إذا أخذنا موضوع التوبة مثالًا وأردنا تفسيره تفسيرًا موضوعيًا فإنَّ دراسته في سورة واحدة – ولتكن سورة التوبة مثلًا– لا يفضي للإلمام بجميع جوانب الموضوع من قبيل شروطه، ولوازمه، ولمن تكون التوبة، ومن لا تقبل منه، وإنما نصل لكل ذلك بضم ما يشير لمعنى التوبة ويدل عليها من قبيل العودة والاستغفار، وكذلك جمع ما يدل على ضدها نحو الإصرار، من سائر القرآن الكريم حينها يكتمل صرح الموضوع فمثلًا نجد أن سورة التوبة بيّنت أن الله يقبل توبة عباده ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

(١) المدخل إلى تفسير الموضوعي للقرآن الكريم: الأبطحي: محمد باقر الموحد، دار الآداب في النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ: ١/ ٨-٩

(٢) المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر: ١٠.

هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحيم﴾[1].

أما سورة النساء فتبيّن أن للتوبة شروطًا وأن هنالك من لا تقبل توبته بل هم مستثنون من قبولها فيقول الحق تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَريبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللَّهُ عَليماً حَكيماً *وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لاَ الَّذينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَليما﴾[2] وعلى هذا النهج مع بقية الموضوع الذي نجده توزع وتكرر في أكثر من (أربع عشرة) سورة قرآنية فلا يمكن أن نصل إلى نتائج سليمة من دون استقصاء آيات الموضوع مجتمعة والتأمل في سياقاتها وجمعها وتحليلها وتركيبها والخروج منها برؤية واضحة شاملة للموضوع المدروس، بل قد نقع في خطأ القراءة الناقصة التي تولّد انحرافات عقدية وفكرية وآثارًا مدمرةً من دون الجمع الكامل لمتعلقات الموضوع.

القاعدة الثانية: الجمع أولى للآراء التفسيرية:

تأسيسًا على ما تقّدم في الفصل السابق إلى أن من مرتكزات التفسير الموضوعي وأصوله المهمة هو العودة والارتكاز على التفسير الموضعي التحليلي للآيات الخاصة بالموضوع المدروس وأن المفسر الموضوعي عند بحثه عن الفهم التفصيلي سيجد نفسه أمام كثير من الأقوال التفسيرية وحتى يتمكّن من الإفادة وتوظيف تلك الأقوال لابد له من القيام أولاً بالتوفيق فان عجز عن ذلك انتقل الى الترجيح وبحسب البيان الاتي:

أولًا: معنى القاعدة:

هنا يتناول البحث قاعدة مهمة هي أن الجمع أولى بين الآراء التفسيرية مالم يقطع بوصولها إلى مرحلة التضاد؛ كون التفسير الموضوعي يبحث عن توسعة دلالة الآيات لتعالج مختلف القضايا المعاصرة التي هي في ازدياد مطرد وهذا ما توفره سعة الاطلاع على التراث التفسيري الموجود بين أيدينا والنظر فيه نظرة الفاحص الدقيق ليتمكن المفسر الموضوعي بعد ذلك من صياغة معنى شامل

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٤.

(٢) سورة النساء: الآيتان ١-١٨.

يستطيع أن يجمع تحته القدر الممكن من الأقوال التفسيرية من دون تكلف أو اطناب يخل بالهدف الأساس للتفسير الموضوعي وهو تقديم رؤية إسلامية محورها القرآن حول الموضوع المدروس يسهل فهمها كمقدمة لتطبيقها في جوانب الحياة المختلفة.

ومما يعزز ما يذهب له البحث أن من الباحثين المختصين من ذهب إلى أن إحدى السمات المميزة للتفسير الموضوعي أنه يشكّل معرفة تراكمية جاءت نتيجة حركة علمية امتدت لقرون وأن هذه السمة تمكّنه من الجمع بين مناهج تفسيرية عدة وتعطيه الحرية في إمكانية الجمع بين النقل والعقل وإيجاد صورة تكاملية قائمة على تراث تفسيري ضخم(١)، وقطعًا العودة للتراث التفسيري ومن مناهج عدة سيوفر كمية كبيرة من الأقوال التفسيرية، لذا فإن الجمع بين الأقوال التفسيرية وإيجاد حصيلة معرفية تستخلص ذلك كله وتصبه في قالب لفظي جديد يأخذ مكانه في بناء الموضوع المدروس ويسهم في صيرورة الهيأة النهائية له، لذلك يعد الجمع ذا أثر مهم بالنسبة للتفسير الموضوعي.

ثانيًا: شروط التوفيق بين الأقوال التفسيرية:

إنَّ التوفيق بين الأقوال التفسيرية ليس بالأمر السهل كما قد يُتصور؛ ولا سيما إذا ما أراد المفسّر الخروج بنتيجة تسهم في معالجة قضايا معاصرة وتقديم رؤية إسلامية قرآنية لها، منطلقًا من التراث التفسيري الممتد لقرون، مراعيًا الإيجاز وعدم الاكتفاء بالجمع كيفما اتفق، لذلك نجد أن للجمع بين الأقوال التفسيرية شروطًا عدة ذكرها الحربي وهي(٢):

١- أن يكون القائلون بهذه الأقوال من المفسرين المعتبرين عند أهل العلم.

٢- ثبوت الأقوال المراد الجمع بينها عن قائليها بوجه صحيح معتبر.

٣- أن يكون القائم بالجمع بين الأقوال أهلًا لذلك.

٤- أن يكون الوجه الذي جمع به بين الأقوال مأخوذًا من دلالة ألفاظ الآية، وسياقها.

٥- أن يكون الوجه الذي جُمع به الأقوال التفسيرية مستوعبًا لها.

---

(١) ظ: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته: الخفاجي، حكمت عبيد: ١٢٢-١٢٤.

(٢) أقوال المفسرين توجيهها ومسالك التوفيق بينها: الحربي، حسين: ١٥-١٦.

٦- أن لا تكون المسالك التي جُمع بها بين الأقوال متمحلة، أو بعيدة عن دلالات النص القرآني.

يظهر أن الشروط الثلاث الأولى هي أمور بديهية مفروغ منها ويجب توفرها بكل نتاج يحمل صفة العلمية ويراد له أن يكون رصينًا فما بالك والأمر متعلق بالتفسير، أما الشروط الثلاث الأخيرة فهي مهمة جدًا ويلزمها عناية خاصة ولها الأثر العملي على صورة ذلك التوفيق وما ينتج عنه، فقد يقع بعض من يحاول ايجاد التوفيق بين الأقوال التفسيرية بتحميل الآيات القرآنية فوق ما تحتمل أو أن دلالة الآية لا تتسع لكل تلك الأقوال، بل قد يكون التفسير الموضوعي أكثر عرضة لخطر تحميل الآية ما لا تحتمل لأنه يبحث عن جوانب الحياة المختلفة وإيجاد الآيات التي تعالجها؛ لذلك يلزم من رام إيجاد الشواهد القرآنية المتضمّنة لها أن يتحلى بدقة عالية، وأن لا يحمّل الآية وسياقها ما لا تحتمل، وأن لا يجمع بين ما يستحيل جمعه.

ولكي تستطيع نتائج التفسير الموضوعي معالجة مشكلات العصر تحتم على المفسر أن يصوغ تفسيره بلغة يفهمها أبناء هذا الزمان سهلة مستساغة؛ لكي يفهموها فهمًا صحيحًا لتنقلهم لمرحلة التطبيق في حياتهم وهي الغاية والمقصد، لذلك نعتقد أهمية شرط أن يكون الجمع مستوعبًا للأقوال التفسيرية، وأن يصب بقوالب لفظية مناسبة تضمن فهما لمتلقي هذا الزمان.

ثالثًا: طرائق التوفيق بين الأقوال التفسيرية:

بعد معرفة شروط التوفيق بين الأقوال التفسيرية نأتي على ذكر بعض الطرائق التي اعتمدها المفسرون في التوفيق بين الأقوال التفسيرية وهي عند بعض الباحثين[١] ثمانية مسالك استقصاها، يمكن عدها طرائق للتوفيق، ويظهر للباحث أن أعظمها أثرًا بالنسبة للتفسير الموضوعي هو أن تجمع تلك الأقوال في وصف أو معنى كلي يحمل خلاصتها، وكذلك يشير إلى إمكانية الجمع إذا كان ذلك الكشف والبيان بالمثال، أو بذكر صفة من صفات ذلك المسمى فلا ضير بالجمع حينها، كما أن الجمع ممكن بحمل اللفظ على دلالاته كافة مطابقةً وتضمنًا والتزامًا، أو بتخريجها على اختلاف

(١) ظ: أقوال المفسرين توجيهها ومسالك التوفيق بينها: الحربي، حسين: ١-٤١.

موضوع الوقف، أو أن تكون الأقوال متقاربة وحينها سيكون التوفيق أيسر.

فإن تعذّر كل ذلك فحينها يصار إلى الترجيح والأخذ بالأقوى الراجح وهو ما تم بيانه في الفصل السابق.

رابعًا: مثال تطبيقي:

إنَّ الشواهد على الجمع بين الأقوال التفسيرية كثيرة جدًا لذا يورد البحث مثال يوضّح من خلاله ما ذكر آنفًا من مسالك وطرائق للتوفيق ما دامت تلك الأقوال لم تصل إلى حد التعارض أو التضاد ففي معنى المغضوب عليهم والضالين من قوله تعالى ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[1] أقوال تفسيرية أشار إليها صاحب الأمثل وقال أنها ثلاثة نوجزها بأن (الأول: الضّالين هم التائهون العاديّون، و المغضوب عليهم هم المنحرفون المعاندون، أو المنافقون، و لذلك استحقوا لعن اللّه و غضبه...، والثاني: ذهب جمع من المفسرين إلى أن المقصود من الضَّالِّينَ المنحرفون من النصارى، و الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ المنحرفون من اليهود...، الثالث: من المحتمل أن الضَّالِّينَ إشارة إلى التائهين الذين لا يصرّون على تضليل الآخرين، بينما الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ هم الضالّون و المضلّون الذين يسعون إلى جرّ الآخرين نحو هاوية الانحراف)[2].

هذه هي الأقوال الثلاث التي عرضها وبيّن أن من الروايات ما توافق الرأي الثاني ليختم بيانه بأن (التّفسير الأول أجمع من التّفسيرين التاليين، بل إن التّفسيرين التاليين يتحركان على مستوى التطبيق للتفسير الأول. و لا دليل لتحديد نطاق المفهوم الواسع للآية)[3].

وبتأمل الخلاصة نلحظ أن للفظي كل من (المغضوب عليهم) و(الضالين)، لهما من السعة ما تمكنهما من جمع الأقوال الثلاثة وأن انطباق الآية على مصداق معين في القول الثاني لا يحصرها في ذلك المصداق على وفق ما علمنا من الجري والتطبيق بل يجري مجرى المثال في بيان بعض الآيات، والقول الثالث قريب من المعنى الأول وعليه يمكن للمفسّر الموضوعي أن يصوغ تلك الأقوال

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٧.

(٢) الأمثل: الشيرازي، ناصر مكارم: ١/٦٠-٦١.

(٣) الأمثل: الشيرازي، ناصر مكارم: ٦١.

في قول جامع ومعنى كلّيّ بما يخدم الموضوع الذي يدرسه فتتحق له سعة أكبر مما لو توقف عند النقل مثلًا واكتفى به.

القاعدة الثالثة: جريان الآية وانطباقها على مصاديق عدة:

لما كان الإسلام هو الدين الخاتم والقرآن هو معجزة هذا الدين ودستوره الباقي إلى قيام الساعة فإن لازم ذلك أن يكون القرآن كتابًا حيًا خالدًا لا تنفد عجائبه وقد ناقش البحث هذه الحقيقة بتفصيل في الفصل السابق وقّدم لها حججها وأدلتها.

أولًا: معنى القاعدة

تنبثق هذه القاعدة عن أصل معرفيّ مهم وهو شمولية القرآن الكريم وصلاحيته لكل زمان ومكان، وهي مهمة جدًا للتفسير الموضوعي؛ لأنه يسعى لبحث موضوعات الحياة المتكثرة وتقديم إجابات قرآنية لها، فتشكّل تلك الموضوعات بالنسبة لآياتها مصاديق تنطبق عليها أحكام القرآن الكريم وسننه وتعاليمه لكنها لا تقف عندها بل تتعداها مع الزمن لمصاديق أخرى يكتشفها العالم المخلص صاحب الذهنية الوّقادة والكاشف الماهر فتلك العالمية للقرآن الكريم ميّزته بخصائص إنماز بها عن الكتب السماوية الأخرى في أنه يتعدى حدود المعرفة البشرية وكذلك يتعدى حدود المكان والزمان وللوقوف على معنى القاعدة يبيّن مفهوم جزأيها أي الجري والتطبيق بحسب الآتي:

١- الجري: عرفه محمد فاكر الميبدي بأنه: (انطباق ألفاظ القرآن وآياته على غير ما نزل فيه)[١]،وعرّفه المازندراني ببيان أوسع بأنه: (جريان كبريات الآيات القرآنية و سريان المفاهيم الكلية المستفادة منها في جميع مصاديقها العرضية المتحقّقة في زمان الوحي والطولية الحادثة في عمود الزمان، وشمول إطلاقاتها وعموماتها لتمام الأفراد المستحدثة في خلال القرون وطيّ الأعصار إلى يوم القيامة، وعدم اختصاص مداليلها الكلية بموارد و أسباب نزولها و لا بزمان نزول الوحي وعصر النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و الصحابي)[٢].

---

(١) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: الميبدي، محمد فاكر: ٢٩٢.

(٢) دروس في القواعد التفسيرية: المازندراني، على أكبر: ٢٠٩/١.

ويشير التعريفان إلى اتساع مفهوم الآية لتشمل مصاديق جديدة غير ما عُدّ مصداقًا أكبر أو سببًا لنزولها وبهذا فإنَّ الآية تجري على أعيان جديدة التقت مع ما نزلت فيه الآية ودخلت ضمن معناها ومفهومها الكلي.

٢- التطبيق: له في الاصطلاح أكثر من تعريف لكن ما نعنيه في هذه القاعدة هو: (انطباق الآية على فرد خاصّ)[١]، أي أن لهذه الآية سبب نزول أو مصداق أتم أعلى انطبقت عليه لكن مفهومها لا يمنع من إرادة غير ذلك المصداق وجريانها إليه.

إن مقضى كون الرسالة المحمدية هي الخاتمة وكون القرآن خالد يلزم ذلك أن تجري آياته وتستوعب معانيه العامة الكلية الأزمان المختلفة كما أن من الروايات الشريفة ما يمكن عدها حجر الأساس لهذه القاعدة فقد حملت في طياتها معناها العام منها ما روي عن الإمام الباقر عليه السّلام: ((وَ لَوْ أَنَّ آيَةً نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ ثُمَّ مَاتُوا أُولَئِكَ مَاتَتِ الْآيَةُ إِذَا مَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآن شَيْءٌ إِنَّ الْقُرْآنَ يَجْرِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَ آخِرِهِ إِلَى أَوَّلِهِ مَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْض))[٢].

وعلى مستوى التطبيق العملي ما جاء في سؤال ((عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع- ﴿ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ قَالَ نَزَلَتْ فِي رَحِمِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَ آلِهِ السَّلَامُ وَ قَدْ تَكُونُ فِي قَرَابَتِكَ ثُمَّ قَالَ فَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ إِنَّهُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ))[٣].

فإنّ الرواية الشريفة وإن ذكرت المصداق الأكمل لوجوب الصلة إلا أنها بيّنت جريانها في أقارب السائل وهي جارية في زماننا إلى يوم القيامة.

ثانيًا: مثال تطبيقي:

من الأمثلة البيّنة على جريان الآيات وانطباقها قوله تعالى:﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ﴾[٤] ، فقد جاء في سبب نزول

---

(١) المصدر نفسه: ٢٩٤/١.

(٢) تفسير فرات الكوفي: الكوفي، ٣٨-٣٩.

(٣) الكافي: الكليني، ١٥٦/٢.

(٤) سورة الحجرات: الآية ٦.

الآية أنها (نزلت في الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط، بعثه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم إلى بني المُصْطَلِق مصدِّقاً، و كان بينه و بينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم ﴿به﴾ تلقوه تعظيماً للَّه تعالى و لرسوله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم و قال: إن بني المُصْطَلِق قد منعوا صدقاتهم و أرادوا قتلي. فغضب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم و همَّ أن يغزوهم، فبلغ القومَ رجوعه، فأتوا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم و قالوا: سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه و نكرمه و نؤدي إليه ما قِبَلَنا مِنْ حقِّ اللَّه تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، و إنا نعوذ باللَّه من غضبه و غضب رسوله فأنزل اللَّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ يعني الوليد بن عقبة)[1].

فالآية المباركة وإن كانت نزلت في شخص محدد تنطبق عليه لكنها جارية في أمثاله ممن حمل صفة الفسق إلى يوم القيامة، وأن مضامينها وهداياتها خالدة خلود القرآن الكريم ومن هدي الآية نعلم أنه (لكي نحصّن المجتمع الإسلامي من التهافت و التآكل لا بد أن ننمي فيه احترام القيادة الشرعية، و نحصّنه من إشاعات الفاسقين الذين دأبهم تخريب العلاقات)[2]، ويمكن تطبيقها على مختلف الأنباء التي تنقل من غير أهل الصلاح التي نحتاج إلى التحقق منها والتفتيش دقيقًا في مضامينها وما سيتركه السير بهدي هذه الآية فحسب من آثار عظيمة على أبناء المجتمع المسلم فكيف إذا أجرى آيات القرآن الكريم وجعل منها النور الذي يسلكه وهذه إحدى غايات التفسير عمومًا والتفسير الموضوعي على وجه الخصوص.

القاعدة الرابعة: نتاج تفسير القرآن بالقرآن مقدم على غيره

إن من المصادر الأساس التي يقوم عليها التفسير الموضوعي هو القرآن الكريم بل هو عماد

---

(١) أسباب نزول القرآن: الواحدي، علي بن أحمد، تحقيق: كمال البسيوني الزغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ، ٤٠.

(٢) من هدى القرآن: المدرسي، محمد تقي، دار محبي الحسين، طهران– إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ٣٤/١٣.

الموضوع وقوامه، وإذا كان كذلك لزم تقديم نتائج المنهج القرآني على غيره.

أولًا: معنى القاعدة

ويُقصد بالقاعدة أن يكون القرآن الكريم هو المحور الأساس وأن بقية المصادر تكون هي الساند للموضوع فالمنهج القرآني الذي يعني (مقابلة الآية بالآية والنص بالنص بهدف الوصول إلى المراد من معاني القرآن)[١] مقدم على غيره فما تقدمه الآيات من هدايات ونتائج وما تفرزه من معطيات هو الذي يمثل المحور الذي تدور حوله بقية المناهج مساهمة في زيادة البيان والتفصيل أو التأييد بالنسبة للتفسير الموضوعي وإن عارضته فيقدم تفسير القرآن بالقرآن عليها جميعًا فـ(لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته)[٢].

إن الحديث في أدلة صحة هذا المنهج التي هي ضرورة لهذه القاعدة أحلناه للفصل اللاحق عند الحديث عن القرآن بعده مصدرًا من مصادر التفسير فالفصل أُفرد للبحث المفصّل في مصادر التفسير الموضوعي والبنائي وأدلتها وكيفية الإفادة منها لكل من نوعي التفسير مدار البحث، لكن ما يلزم تأكيده لتمام هذه القاعدة أن التفسير الموضوعي قائم في ذاته ووجوده على القرآن الكريم فهو هيكل الموضوع وأساسه المتين ولولا هذا الأمر لخرج الموضوع المدروس عن قرآنيته ، وهذا ما أشار له الدكتور عبد الستار فتح الله فبعد أن يقرر أن التفسير الموضوعي هو تفسير القرآن بالقرآن يشترط أن تكون جميع عناصر الموضوع قرآنية مستوحاة من آيات الموضوع المدروس ومنقادة لها، ويُنّبه على إن دور السنة النبوية وكذلك المأثور من أقوال الصحابة والتابعين أو العلماء هو دور الشارح والمبيّن لتلك الآيات وليس دور المنشئ لعنصر من عناصر الموضوع ويعلل ذلك بالحفاظ على قرآنية الموضوع المدروس[٣]، والبحث يتفق مع أن تكون الأولوية في تلك المناهج للمنهج القرآني مع عدم إغفال ما للبقية من دور كبير في الكشف عن الموضوع.

---

(١) أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره: مصطفوي، ٦.

(٢) مناهج المفسرين دراسة في النظرية والتطبيق: الفتلاوي، محمد كاظم حسين، دار حدود، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٢٠م، ١٨.

(٣) ظ: المدخل إلى التفسير الموضوعي : فتح الله، سعيد، ٦٠.

إنّ مقتضى هذه القاعدة نابع من أصل تفسيري مهم وهو شمول القرآن الكريم وخلوده ولزوم أن تكون زمام الإنسان منقادة له فيفلح المفسّر الذي ((أَمْكَنَ الْكِتابَ مِنْ زِمامِهِ، فَهُوَ قائِدُهُ وَإِمامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كانَ مَنْزِلُهُ))[1]، فعلى المفسّر أن يتبنى بثقة عالية ما ينتجه التفسير الموضوعي من حقائق قرآنية فهو الصدق والحق، وينطلق لتقويم الواقع وفقها وليس العكس بأن يحكم القرآن الكريم بنظريات الفكر البشري التي أثبتت فشلها وتبدلها بين الحين والآخر، فوفق هذا الإيمان يكون المفسر قادرًا على الدفاع عن هذه المعطيات القرآنية ودفع ما يقع في طريقها من شبهات فلا يمكن اخضاع القرآن الكريم للتجربة البشرية[2]، بل إن التفسير الموضوعي يهدف إلى استخراج رؤية القرآن الكريم تجاه تلك التجربة فيكون هو الحاكم عليها والمُقَدَم وليس العكس.

ثانيًا: مثال تطبيقي:

إن عرض مثال تطبيقي يكون بمنزلة الشاهد في هذا الموضوع لا يسعه المقام لذا نحيل إلى موضوع (الاجتماع) الذي تناولته موسوعة التفسير الموضوعي[3]، مع الوقوف على تحليل موجز يتوافق مع ما عرضناه في هذه القاعدة فنجد أن تقسيمات الموضوع جاءت تبعًا لما شمله الموضوع من آيات فلم نرَ قسمًا رئيسًا أو فرعًا قد خليا من شاهد قرآني بل كان الشاهد هو المحور الذي دارت عليه كل أقسام الموضوع من أسباب الاجتماع، وأنواعه، ومعوقات المحمود منه، وصولًا إلى الاجتماع يوم القيامة، كلها كانت منساقة لما تجود به الآيات المتعلقة بالموضوع من أفكار حول جوانب هذا الموضوع قرآنيًا، وإلا لو أريد عرضه ودراسته على وفق نظريات علم الاجتماع مثلًا للزم أن يتسع الموضوع أضعافًا كثيرة، أو لأغفلنا البحث عن (اجتماع الآخرة) مثلًا بوصفه خارج عن دائرة البحث عند علماء الاجتماع، ولكن بما أن البحث تفسير موضوعي لزم استقصاء جميع جوانب الموضوع

---

(١) نهج البلاغة: الرضى، محمد بن حسين، شرح صبحي الصالح، هجرت – قم –إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، ١١٩.

(٢) ظ: المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر،٢٨. ظ: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ٩١.

(٣) موسوعة التفسير الموضوعي: مجموعة من الباحثين، ٣٢٤/١-٣٠.

وصوره ومنها ما عرضه القرآن الكريم من اجتماع يوم القيامة.

القاعدة الخامسة: السورة القرآنية وحدة واحدة مترابطة الموضوعات والأجزاء:

ذكرنا في التمهيد أن من الباحثين من جعل البحث في بناء السورة وموضوعها وترابط أجزائها جزءًا من التفسير الموضوعي سمّاه التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، وهو قائم في أساسه على هذه القاعدة.

أولًا: معنى القاعدة

تتضمن هذه القاعدة في تطبيقها خطوات ثلاثة متتابعة وهي: المقدمة أو ما اصطلحوا عليه (بين يدي السورة، والتفسير الإجمالي للمقاطع، والهدايات المستنبطة من المقطع)[1]، وسنتناولها بالتفصيل، ونأخذ من سورة الكهف المباركة مثالًا تطبيقيًا نحلله لندرك الآثار المترتبة عن تلك الخطوات وما العلاقة بينها وبين معرفة بناء السورة وترابط أجزائها وما يمكن أن تفضي له تلك الخطوات من نتائج وهي:

١- المقدمة أو ما اصطلحوا عليه (بين يدي السورة)

وتتضمن عددًا من المعطيات تسهم مجتمعة – كما يرى من وضعوا الأساس النظري وأردفوه بالنتاج التطبيقي لهذا القسم من التفسير الموضوعي– بالكشف عن المحور الجامع لأجزاء السورة بغض النظر عن مسماه وما اصطلحوا عليه فمنهم من يسميه محور السورة العام أو هدفها أو موضوعها وغيرها من المسميات وهذه المقدمة تشمل في العادة أمورًا عدة منها:

أ- اسم السورة أو أسماؤها إن كان لها أكثر من اسم يعد من القرائن الدالة على محور السورة والخيط الناظم لأجزائها أو الهدف العام لها، ولا يقصد باسمها ما ذكر في المصحف كعنوان فقط وإنما ما ثبت توقيفًا من أسمائها، غير أن هذا الموضوع فيه خلاف وغير متفق على أن اسم السورة بالضرورة يدل على محورها[2]، لكنه يبقى من الدلائل على ذلك.

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: ١٠/ المقدمة.

(٢) ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ٤١-٤٢.

ب- معرفة بيئة السورة: أي هل أن السورة مكية أم مدنية، وهل هي من أول ما نزل من القرآن الكريم أم من الأواخر، وغير ذلك من ظروف النزول وبيئته لأن هنالك موضوعات عالجتها السور المكية من مثل تثبيت أصول العقيدة والدعوة للتوحيد وبيان البراهين الدالة على صدق الرسالة وهنالك موضوعات عالجتها السور المدنية كالعلاقة مع غير المسلمين، أو فضح المنافقين، أو بيان تفاصيل الشريعة وأحكامها والسعي لبناء المجتمع المسلم الذي اتسع وكبر بعد الهجرة إلى المدينة، وتبقى هذه الموضوعات سمات غالبة على تلك السور، لكن معرفة مرحلة نزول هذه السورة يسلط أضواءً قد يهتدي بها المفسّر إلى موضوع أو موضوعات مقاطع السورة والجامع بينها(١).

ت- خصائص السورة وفضائلها: فقد تكون خصائص بعض السور وفضائلها الواردة في السنة الشريفة سببًا في الكشف عن محور السورة والاهتداء لمحورها الأساس(٢).

ث- معرفة سبب النزول: إن معرفة سبب النزول سواء نزول السورة أو مجموعة من الآيات يسهم في مزيد كشف عن محور السورة وما عالجته من موضوعات حول قضايا واكبت زمن النزول وما قد ينتج عن ذلك من هدايات ينكشف من خلالها السور الجامع لأجزاء السورة الواحدة(٣).

ج- تحديد محور السورة والكشف عن مناسباتها: إن ما سبق من معطيات كلها تفضي للكشف عن محور السورة ولعل من أهم الكواشف هو دراسة أجزاء السورة أي: دراسة العلاقة بين الآية ومثيلاتها وكذلك الآيات داخل المقطع الواحد ومجموعة المقاطع المكونة لبناء السورة

---

(١) ظ: الموسوعة القرآنية خصائص السور: شرف الدين، جعفر، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ، ٣/ ٥-٦. ظ: المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير و مصادره، الحسن، محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ، ٩٦-٩٩.

(٢) ظ: التفسير الموضوعي المفهوم والمنهج: مركز المعارف للمناهج والمتون العلمية، دار المعارف الاسلامية الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ،٨١.

(٣) ظ: التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: آل موسى، ٤٤٣-٤٤٥.

وعدها من أهم الكواشف؛ لأنها نتائج نبعت من داخل النص القرآني وليس من خارجه، ثم نسعى للكشف عن المناسبات داخل السورة ومنها المناسبة بين بداية السورة ونهايتها وبين مقاطعها وبين تلك المقاطع والمحور الذي تدور حوله وكيف تعانقت حتى صارت بناءً متماسكًا(١).

٢- التفسير الإجمالي للمقاطع:

يعد تقسيم السورة على مقاطع أمرًا ضروريًا ومهمًا لأنه يسهم في فهم أعمق لتلك المقاطع ومن ثم إيجاد الصلة والعلاقة بينها وبين محور السورة، والمعيار الذي ينبغي أن يتبع هو المعيار الموضوعي أي أن تلك الآيات تدور في فلك فكرة واحدة لا على أساس عدد الآيات أو الصفحات فقد تطول أو تقصر تبعًا للمعنى الجامع لها، ومن الأمور التي تساعد في ذلك هو العودة للجهود التفسيرية السابقة التي ذكرت المناسبات بين آيات السور ومقاطع السورة الواحدة، كما يلتزم في التفسير الإجمالي بالأخذ من المصادر التفسيرية المعتبرة في الكشف والربط بين أجزاء تلك المقاطع وابراز ما تجود به من هدايات(٢)، وهذه مرحلة مهمة غير أن الإستغراق فيها يجعلها تنتمي للتفسير التجزيئي المفصل للآيات ويخرجها عن التفسير الموضوعي الذي يفترض أنه يختلف عن ذلك النوع من التفسير.

٣- الهدايات المستنبطة:

ونلحظ من خلال المراقبة للتجربة العملية أن المفسر يخلص لاستخراج جملة من الهدايات التي جادت بها آيات السورة ومقاطعها ليختم بها رحلته مع السورة نحو ما تضمنه كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم مثال الهدايات في سورة الفاتحة، أو ببيان الهدايات بعد كل مقطع من مقاطع

(١) ظ: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: ١/ المقدمة.

(٢) ظ. لمصدر نفسه: ١/المقدمة. ظ: التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: آل موسى، علي، وآخرون: ٤٠.

السورة كما في السور الطوال[1].

ثانيًا: مثال تطبيقي:

ان هذه القاعدة في انطباق خطواتها وجريانها سيبينها البحث من خلال تتبع سورة الكهف المباركة في الدراسات التطبيقية لهذا النوع من التفسير الموضوعي، لأنها سورة طويلة نسبيًا، وأن الناظر لها لا يدرك بسهولة العلاقة بين مقاطع السورة فما الرابط بين أصحاب الكهف وذي القرنين أو الجامع بين قصة النبي موسى والعالِم (عليهما السلام) من جهة وقصة صاحب الجنتين، وما العلاقة بين هذا كله وبين الافتتاحية أو مقدمة السورة التي تتحدث عن القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وآله وعن من ادّعى أن لله الولد وهو زينة الحياة الدنيا، كما أن هنالك سببًا منهجيًا وهو أن هذه السورة وجدتها في أكثر من دراسة تطبيقية ومن ثم امكانية المقارنة بينها وبين الدراسات الأخرى وأيها كان الأقرب لتحقيق هدف التفسير الموضوعي أو انطبقت عليه القاعدة، لعل هذه أهم الأسباب التي تقف خلف اختيار هذه السورة.

١- المرحلة الأولى: بين يدي السورة

إذا نظرنا للمقدمة في دراسة السورة أو ما يسمى بين يدي السورة فإنها تستغرق عند الدكتور مصطفى مسلم أكثر من ٢٠ صفحة أوضح فيها ما تشتمل عليه المقدمة فذكر اسم السورة وهي الكهف الذي عصم الفتية، كما ذكر مجموعة من الروايات التي تتحدث عن عصمة من قرأ هذه السورة أو بعض آياتها من فتنة المسيح الدجال ثم تحدث عن بيئة النزول وانها مكية لتكون معالم الموضوعات المكية حاضرة في المحور وتشكل الهدف الأساس للسورة، وذكر أسباب النزول ومنها أن قريش أرسلت إلى المدينة حيث اليهود والنصارى تستعلم منهم صدق النبي صلى الله عليه وآله وأعطوهم أسئلة ومنها عن ذي القرنين وأصحاب السبت واستدل من أسباب النزول على اختلال القيم المعرفية لدى المشركين ومن ثم من جميع تلك المعطيات وبالتأكيد معها التأمل في مقاطع السورة استطاع أن يحدد محورها الذي أسماه (القيم في ضوء سورة الكهف) وبعد تحديد المحور أوجد

(١) ظ: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مجموعة من الباحثين: ١/ ١-١٨.

المناسبات بين اسم السورة ومحورها وأجزائها، وكل ذلك قبل أن يشرع ببيان تلك المقاطع أو تفصيلها إجمالًا الذي يأتي في مرحلة لاحقة كما بيّن البحث في الخطوات المذكورة آنفًا.

ويلاحظ أنه أطال كثيرًا في تلك المقدمة وأن محوره كان مشتقًا من اسم السورة ورواية العصمة من الضلال مع سبب النزول وأنه أوجد عنوانًا جديدًا فُهِمَ من محتوى السورة ولعله جعله جامعًا لأهدافها المشتملة على الدعوة للتوحيد والإيمان باليوم الآخر والتصديق برسالة النبي صلى الله عليه وآله ونبذ الشرك وهي مختصر ما يراه الدكتور مصطفى مسلم من أهداف السورة(١).

ومع الانتقال إلى تحليل السورة في كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم فإن البحث يرصد في التمهيد اختصارًا أكبر من سابقه فعلى الرغم من اشتمال التمهيد على كل ما ذكر مصطفى مسلم من مقدمات وتضمنه لكل ما خلص له من نتائج إلا أنها لم تتعدَ سبع صفحات سجل فيها كل ما أُدرج في التمهيد، أما محور السورة فهو (العصمة من الفتن والنجاة من شرورها) وهو أيضًا نتاج للممهدات التي تدرس بين يدي السورة التي من خلالها خلص مصطفى مسلم لمحوره ولكن يظهر أن هذا المحور أقرب من سابقه لاتفاقه مع ما ذكرت السورة من ألوان الفتن والإختبارات(٢)، وإن مواقف أبطال القصص تمثّل نماذج عملية تمكّن المقتدي بالصالحين منهم والمبتعد عن درب الطالحين من الخلاص وعدم السقوط في فتن عظيمة ذكرتها السورة وحذّرت منها كعدم الإيمان أو الغرور المفضي للكفر وغيرها من المحطات المهمة.

٢- المرحلة الثانية التفسير الاجمالي للمقاطع

نجد أن كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم قسّم السورة القرآنية على تسع مقاطع توزعت عليه آيات السورة غير أن التفسير لم يكن اجماليًا بل كان عامًا وأطال أحيانًا وذكر ما لا علاقة له بالكشف كأبيات شعرية زاد بعضها على العشرة وهي ليست على سبيل الشاهد وإنما لأنها

(١) ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم،١٦٩-١٩١.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مجموعة من الباحثين،٢٨٣-٢٩٠.

حملت أفكارًا التقت مع ما استنتجه من آية ما[1]ولا ضرورة لها في البحث عن ترابط السورة وتماسك أجزائها سوى أنها تكشف عن لون أدبي لدى المفسّر، بل نجده في تفصيل بعض الآيات قريبًا جدًا من أي تفسير تجزيئي تفصيلي فلم يرتكز على هدفه الأساس وهو ايجاد الترابط في بناء السورة والوشائج بين موضوعاتها مع استخراج الهدايات والالتزام بقرآنية الموضوع وعدم الخروج للمناهج الأخرى إلا خروج الساند والمعزز، فعلى الرغم مّما أوجده من هدايات لكنها موجودة في ثنايا التفسير التجزيئي بصورة مماثلة ويفترض أن هذا النوع هو من الموضوعي الذي له ما يميزه حتى يكون قسيمًا له[2]، ويرى البحث أن المفسّر يحسب له ما كان يثبته تحت عنوان المناسبة في كل مقطع فهو في صميم هذه الدراسة والتركيز عليه والاكتفاء بالتفسير الإجمالي للآيات كان أولى وأجلى لتحقيق الهدف من هذا النوع من التفسير الموضوعي لمن عده منه.

أما مصطفى مسلم فليس ببعيد في تحليله لسورة الكهف عن سابقه وقد قسّم السورة على ستة أجزاء افتتاحية وخاتمة وخمسة مقاطع: دار الأول منها حول قصة الفتية، والثاني حول صاحب الجنة وعنونه بعنوان مفارقات ومواقف بواعث العزة، وكيفية إنكار صاحب الجنتين للبعث بسبب الغرور بزينة الدنيا وكيف أهلكها الله بلحظة واحدة وأن الباقيات هي الصالحات دون غيرها ليأتي المقطع الثالث الذي عنون له بوقفة تأمل في المآل والمصير متممًا وملتحمًا مع هذا المقطع وهو يعرض جملة من صور القيامة والحساب ويأتي المقطع الرابع حاملًا قيمة مهمة وهي قيمة العلم وتعلمه وما ينبغي على المتعلم تحمله في هذه الطريق وأن فوق كل ذي علم عليم، وكل تلك القيم تحتشد في قصة موسى والعالم ورحلتهما، ثم يأتي المقطع الأخير الذي تضمّن قصة ذي القرنين والأسباب التي هيأها الله له بهدف رعاية مصالح العباد وبذلك التقت مع القصة السابقة التي حوت جملة من الأحداث التي تناولت رعاية مصالح العباد من خلال علم أفاضه الله على عبد من عباده كما التقت مع قصة

(١) ظ: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مجموعة من الباحثين،٣٢٥ -٣٢٦ و ٣٤٨- ٣٤٩ و٣٦٢-٣٦٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٣-٤٠٢.

الفتية بعلاقة التضاد من جهة إنها مثلت قيمة الحاكم العادل قبال الحاكم الظالم المنحرف في قصة الفتية، كذلك موقف ذي القرنين وما فعله تجاه نعم الله ومقابلتها بالشكر بخلاف صاحب الجنتين الذي قابل نعم الله بالكفر، ومن ثم عرض خاتمة السورة وربطها بأجزاء السورة ليتم بذلك اتحاد المقاطع ونجد التفسير الإجمالي عند مصطفى مسلم يدور حول استخراج قيم من تلك المواقف والأحداث والمقاطع تتسق مع العنوان الذي اختاره وهو القيم في سورة الكهف الذي عده محورًا رابطًا لأحداث السورة ولم يخلُ التفسير الإجمالي من إطالة في بعض المقاطع وكان يمكن اختصارها ومن أمثال ذلك الاستطراد بثلاث صفاحات للحديث عن قصة النبي يوسف عليه السلام أعقب الحديث عن قصة الفتية بهدف بيان العبرة من الإرجاء والتأخير الذي يحدث في تحقيق بعض ما يطلبه الأنبياء ومنها التأخير في إعلام الله للنبي صلى الله عليه وآله عن سؤال قريش له حول أصحاب الكهف[1]، وكذلك أعقب قصة ذي القرنين بالبحث في تفاصيل لم يذكرها القرآن الكريم منها الحديث عن اسمه ومكان السد ويأجوج ومأجوج وهي أشياء خارجة عن أصل بحثه وهو القيم في سورة الكهف وقد أفرد لها (إثنتا عشرة) صفحة ولم أجد فيها إضافة حقيقية لما بحثه وبينه التفسير الإجمالي في هذا المقطع[2].

ويبقى إن ما قدمته كلتا الدراستين في المرحلة الثانية وهي التفسير الإجمالي يعد جهدًا كبيرًا قد فتشّ في التراث التفسيري والروائي وحاول أن يكشف عن مراد الله في هذه السورة، وأن يبيّن مقاطعها وكذلك ربط تلك المقاطع مع بعض وقدم هدايات كثيرة مستوحاة من المقاطع وهي ذات أثر كبير لمن أراد أن يستنير بضيائها، ولعل المُطالع يدرك عند متابعة التفسير الإجمالي حضورًا كبيرًا للروايات وإن لم تحضر فنجد ظلالها واضحة في الغالب ويمكن أن يعزو البحث ذلك لأن قوام المقاطع كان قائمًا على أربع قصص نجهل معرفتها وأسلم طريق لذلك هو الأثر الذي نقطع بصدورها عن المعصوم عليه السلام.

---

(١) ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم،٢١٣-٢١٦.

(٢) ظ: المصدر نفسه: ٣٠٩-٣٢١.

٣- المرحلة الثالثة: استخراج الهدايات

هي في الدراستين كانت تعقب كل مقطع باستخراج بعض هداياته وما يمكن أن يُستنتج منه كدروس وعبر وتندرج بنقاط قبيل البدء بالمقطع الثاني[١]، وكان بالإمكان الإشارة إليها في ثنايا البيان مراعاة للإيجاز وعدم التكرار وترك القارئ يصوغ تلك الهدايات التي بيّنها المفسّر ويكون ذا دور إيجابي تفاعلي مع النص التفسيري الذي لابد وأن يترك أثرًا في نفس المطالع له.

المبحث الثالث: قواعد التفسير البنائي

لما كان التفسير البنائي أحد أنواع التفسير فلابد له من أن يرتكز على قواعده العامة التي تشترك فيها كل أنواع التفسير ولكنه من جانب آخر يبحث عن الأثر الكلي الذي تتركه السورة القرآنية لدى المتلقي والعلاقة بين أجزائها وهذا الأمر يفرض عليه قواعد خاصة يرتكز عليها في تحقيق هذا الهدف

(١) ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ٢٤٩-٢٥٣. ظ: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: ٢٩/ ٣٣٢.

وهذا ما سيدور عليه هذا المبحث، كما أن البحث في دراسته لتفسير السورة القرآنية ضمن التفسير الموضوعي أخذ من سورة الكهف المباركة مثالًا تطبيقيًا لأسباب ذكرت سابقًا ويضاف لها سببًا آخر يدفعنا لتتبع قواعد التفسير البنائي في السورة عينها وذلك أن الموازنة من خلال السورة نفسها ستكون أكثر وضوحًا وأجلى لمعالم الإلتقاء والإفتراق بين كل من التفسير الموضوعي والبنائي وهي:

القاعدة الاولى: عدم الحاجة إلى التكلف في ايجاد المناسبة:

تحدث كثير من العلماء الماضين عن المناسبة ووجودها في النص القرآني وفائدتها وأكثر ما كان يخشاه المانعون منها هو التكّلف في ايجاد المناسبة، ونعتقد أن صاحب التفسير البنائي الباحث عن ترابط السورة القرآنية واتصال أجزائها ملزم بالإرتكاز على هذه القاعدة والإنطلاق منها للكشف عن بناء السورة وتماسكها بلا تكلف أو تعسف وهذا ما سنبحثه في هذا المطلب معززين ما نخرج به من تصور بمثال تطبيقي يثبت ما نخرج به من نتائج.

أولًا: معنى القاعدة

إن إيجاد المناسبة وترابط النص القرآني يحتاج إلى دقة ملاحظة وتأمل كبيرين في اكتشافها وعدم تكّلفها و يشير السيوطي إلى المناسبة بين الآيات فيعرّفها بأنها (معنى رابط بينها، عامّ أو خاصّ، ... أو التلازم الذهنيّ، كالسّبب و المسبب، والعلّة والمعلول، والنظيرين والضّدّين، و نحوه)[1]، ونلحظ من التعريف أن هنالك أكثر من نوع من العلاقات فليس بالضرورة أن تكون الآية أو المقطع مرتبط مع الآخر بالسبب والنتيجة وإنما قد يكون التضاد أو التماثل أو غيرها من العلاقات هي الرابط والجامع والخيط الناظم بين أجزاء السورة القرآنية.

والبستاني يشير إلى هذه العلاقات بقوله: (من الحقائق التي ينبغي لفت النظر اليها أن علاقة الآيات بعضها مع الآخر لا تعني بالضرورة أن كل آية تجسد سببًا أو مسببًا لما قبلها وما بعدها بقدر ما تعني أن ثمة شبكة من الخطوط تتواصل فيما بينها بنحو أو بآخر مباشرة أو بنحو غير مباشر، ولكنها تفضي في النهاية إلى استجابة معرفية كلية) [2] تلك الشبكة التي رسمها البستاني هي

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ٢١٨/٢.

(٢) منهج التفسير البنائي: البستاني، محمود: ١٤.

ما أشار لها السيوطي في بيانه للمناسبة الذي نقلناه في الفقرة السابقة ويلحظ البحث أنهما وسّعا دائرة العلاقات الناظمة للنص القرآني ولم يقصرانها على علاقة السبب والنتيجة.

إن العلامة الطباطبائي يشير إلى ما بحث عنه البستاني من المناسبات داخل سور السورة القرآنية الواحدة فيذكر متحدثًا عن السور القرآنية: (أن لكل طائفة من هذه الطوائف من كلامه – التي فصلها قطعًا قطعًا، و سمي كل قطعة سورة– نوعًا من وحدة التأليف و التمام، لا يوجد بين أبعاض من سورة و لا بين سورة و سورة، و من هنا نعلم: أن الأغراض و المقاصد المحصلة من السور مختلفة، و أن كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص و لغرض محصل لا تتم السورة إلا بتمامه)[١]، ذلك المعنى الخاص الذي أشار له صاحب الميزان هو ما كان يسعى له البستاني حثيثًا وقد وُفق كثيرًا في تفسيره لاستخلاص معنى كلّيّ استخلصه من مجموع أجزاء السورة الواحدة ومقاطعها جميعًا، فهو ينظر للسورة بأن: (لها بناؤها الخاص المتمثل في نص تترابط آياته وموضوعاته وعناصره وأدواته بعضها مع الآخر على نحو ما)[٢] وذلك النحو من الترابط هو ما كان يكشفه في تفسيره لسور القرآن الكريم.

إنّ التدبّر العميق في النص والبحث عن المناسبة بين أجزائه يفضي إلى فائدة عظيمة لأنه (يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، و يصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء)[٣]، وبذلك يظهر لنا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهذا المعنى حضر في التفسير البنائي للسور القرآنية عند البستاني فنجده كشف عن كثير من العلاقات الناظمة للنص القرآني في تفسيره، بلا تكّلف ولا تعسف وإنما أوجدها باسلوب يقبلها العقل بسهولة ويسر وتركن لها النفس، وقد تخّلص بذلك مما قد يقع من المشكلين على طالب المناسبة بين الآيات أو المقاطع داخل السورة الواحدة بأن هنالك من يتكّلف الوصل بين أجزاء النص القرآني المبارك ويجد روابط فوق

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، ١٦/١.

(٢) المنهج البنائي في التفسير: البستاني، محمود: ١٣.

(٣) البرهان: الزركشي، ١٣١/١.

ما يحتمله النص أو هو مما لا تحتمله دلالة الآيات المباركات، وهذا ما تجنبه البستاني في تفسيره.

ثانيًا: مثال تطبيقي:

إن البستناني يشير إلى أن (نبذ زينة الحياة الدنيا) هو المحور الجامع بين أجزاء سورة الكهف المباركة وهو الرابط لجميع مقاطعها وقبل الخوض في المناسبة بين مقاطع السورة كاملة نبحث عن الرابط بين آيتين في المقطع نفسه فيقول تعالى ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا* الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا﴾[1]، وهنا يُطرح سؤال بين يدي التفسير البنائي مفاده: ما الرابط بين الآيتين بين الصورة المتحصلة من هذا المثل وبين المال والبنون وزينة الحياة الدنيا في الآية الثانية؟.

يشير البستاني إلى أن السورة قد اتبعت (هذا التمثيل بالإشارة على أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، مما يعني أن هذين الدافعين يخضعان لعملية التمثيل المذكورة. إن كلاً من الماء والنبات والأرض يشكلون عناصر لا مناص منها في عملية النمو والإثمار إلا أن حصيلتها المتمثلة في اليبس وهبوب الريح عليها وانتثارها من بعد لا تنطوي على أي معطى فعلي من الرواء أو الثمر، والأمر كذلك مع حاجتنا غير المقترنة بما هو ضروري، فالمال والبنون وهما النموذجان اللذان قدمتهما السورة لزينة الحياة الدنيا يشكلان حاجات بشرية، إلا أن الزائد على هاتين الحاجتين كما لو جمع المال لأهداف الترف والزهو سوف يتلاشيان بالنحو الذي يتلاشى من خلاله هشيم تذروه الرياح...)[2]

وهنا يظهر أن البستناني يشير بوضوح إلى حجم التلاحم بين هاتين الآيتين ضمن هذا المقطع بل أن كلًا منهما يسهم في نمو الأفكار الرئيسة وتعميق الأثر الذي تسعى السورة لتركه في نفس القارئ لها.

إن هذه الآيات تمثل جزءًا من المقطع الخامس ضمن مقاطع السورة التي درسها البستاني وبعد أن بينا الصلة بين أجزاء هذا المقطع ننتقل لوحدة أكبر وهي صلة هذا المقطع مع المقاطع المتبقية

---

(١) سورة الكهف: الآيتان، ٤٥-٤٦.

(٢) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود، ٦٢/٣.

وصلة كل ذلك مع محور السورة، والبستاني يبيّن: (لحظنا أن السورة بدأت بالحديث عن زينة الحياة الدنيا، وأردفته بقصة أهل الكهف الذين نبذوا زينة الحياة الدنيا، ثم بالدعوة إلى الصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وعدم الالتفات إلى زينة الحياة الدنيا، ثم قصة صاحب الجنتين الذي اتجه إلى زينة الحياة الدنيا، وها هو المقطع الخامس يتّجه إلى الحديث عن زينة الحياة الدنيا أيضًا، حيث يظل مرتبطًا بالفكرة الرئيسة التي انطوت عليها كل موضوعات سورة الكهف وهو نبذ زينة الحياة الدنيا، مما يقتادنا هذا إلى التذكير من جديد أن السورة القرآنية الكريمة تخضع لبناء هندسي تتلاحم أجزاؤه بعضها بالآخر)[1] وأن المقطع الخامس قدّم لنا نموذجين من الزينة هما المال والبنون وبذلك أضاف بعدًا جديدًا للأبعاد التي تناولتها السورة المباركة من أبعاد الزينة المتمثلة بالمنزلة الاجتماعية بالنسبة للفتية أصحاب الكهف وهجرها نحو الكهف أو بالزروع والثمار التي اغتر بها صاحب الجنتين وهذا المقطع جاء لينّمي ويكمل تلك المشاهد ويزيد في وضوح الهدف الكلي للسورة وتعميق أثره.

إنّ المقطع الأخير الذي تناوله البستاني هو ما تضمنته السورة في القصة الأخيرة وهي قصة ذي القرنين فيشير إلى جملة من الروابط المهمة في اتحاد بناء السورة (ولو تابعنا الخطوط المتوازية هندسيًا بين هذا المقطع الذي يتحدث عن ذي القرنين وسائر المقاطع الأخرى في السورة لوجدنا أن إحكام البناء الجمالي لها يأخذ أشكالًا متنوعة من خطوط التوازي والتقابل، فهنالك شخصية أهل الكهف وقد انعزلوا عن مسرح الحياة، يقابلهم ذو القرنين وقد حضر مسرح الحياة على عكس أصحاب أهل الكهف، إلا أن كل من عزلة أهل الكهف، وحضور ذي القرنين: يصبان في رافد واحد وهو نبذ زينة الحياة الدنيا)[2]، هنا يعرض لنا البستاني شيئًا من التضاد بين فعل ذي القرنين وفعل أصحاب الكهف ففي حال قرر أصحاب الكهف الانعزال ونبذ زينة الحياة الدنيا نجد أن ذا القرنين حضر حضورًا كبيرًا في مسرح الحياة غير أن كلًا من الحضور والعزلة اتحدا في كونهما صورة من صور نبذ زينة الحياة الدنيا.

---

(١) المصدر نفسه: ٣/٥٩-٦٠.

(٢) المصدر نفسه: ٦٥-٦٦.

وهنالك علاقة أخرى يشير لها البستاني وهي التقابل ما بين شخصيتي ذي القرنين وصاحب الجنة فقد (واجه كل من الشخصين زينة الحياة الدنيا، وأحدهما يجسد قمة الملك، والآخر يجسد بساطة الملك حيث استجاب الأول استجابة عبادية حيال الدنيا فلم يستثمرها إلا للعمل العبادي، بينما استجاب الآخر استجابة مريضة فشكك بقيام الساعة تحت تأثير انبهار بزينة صغيرة من متاع الحياة الدنيا، إن التقابل الهندسي بين هذا المقطع من سورة الكهف والمقطع الذي تناول حادثة سابقة: يشكل واحدًا من عمارة السورة)[1] وهنا يشير البستاني بوضوح إلى واحدة من العلاقات الرابطة بين أجزاء النص القرآني في سورة الكهف.

بقي أن نأنس بما أوجده من رابط بين هذه القصة وقصة العالم الذي قصده نبي الله موسى عليه السلام وأصحاب الكهف فيبيّن البستاني (هنالك توازن هندسي ثالث بين ذي القرنين وبين شخصية العالم الذي تعلم موسى عليه السلام منه، فالعالم يختفي عن الأنظار، بينما يبرز ذو القرنين على المسرح من حيث تحديد هويتهما، إلا أن كليهما يمثل الطواف حول العالم على عكس من أصحاب الكهف فيما جسدوا عمليه الثبات في الكهف، هذه الخطوط الثلاثة من التقابل والتوازي الهندسي، تفصح عن جانب واحد من إحكام البناء العماري لسورة الكهف، فضلًا عن سائر الخطوط التي جمعت بين موضوعات مختلفة في السورة، كان مصبها في رافد واحد، وهو زينة الحياة الدنيا)[2].

خلص البحث من كل ما سبق إلى أن البستاني في دراسته لسورة الكهف المباركة أوجد المناسبات بين آياتها وكذلك بين مقاطع السورة جميعًا وجعل من زينة الحياة الدنيا محورًا دارت حوله أجزاء السورة وربط بينها بشبكة من العلاقات منها التماثل والتقابل والتضاد لكن مدار كل ذلك هو زينة الحياة الدنيا، ولم نرَ تكلفًا فيما عقده من ربط ويبدو أن مرجع عدم جنوحه للتكلف إلى أنه وسّع دائرة العلاقات الرابطة وانه لم يشترط أن تكون العلاقة بين الآية ومثيلاتها أو بين المقاطع علاقة السبب والنتيجة بل وسعها بالشكل الذي عُرِض آنفًا.

---

(١) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني: ٣/٦٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٦٦.

القاعدة الثانية: السورة وحدة بنائية مترابط الأجزاء:

تناول البحث في الفصل السابق إثبات توقفية ترتيب الآيات في السور القرآنية وهذا الإعتقاد مرتكز أساس تَبتني عليه هذه القاعدة وذلك أن مقتضى حكمة العليم الخبير أن يصل بين أجزاء هذه السور التي أمر بترتيبها على هذه الكيفية التي بين أيدينا، وفي القاعدة السابقة بيّن البحث بعض أسرار النظم والمناسبات بين أجزائها ونأتي الآن لنعزز هذه الفكرة من خلال هذه القاعدة التي إنطلق منها البستاني في الكشف عن تعانق أجزاء السورة الواحدة.

أولًا: معنى القاعدة:

قد تنبه الدارسين قديمًا وحديثًا إلى النظم واعتنوا به وتحدثوا عن أجزاء السورة وصلاتها ومنهم من نبه إلى أن الإهتداء لها يحتاج إلى تأمل عميق في أجزائها والعلاقات الجامعة بينها (اعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد وما أكثرها في القرآن، فهي جمهرته –وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدأت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطئت أولاها لأخرها؟.. وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى. ولسوف تحسب أن السبع الطول من سورة القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة)[1]، وقد سار على تلك الخطوات من درس السورة القرآنية بوصفها بُنية واحدة لها خصوصيتها سواء في التفسير الموضوعي أو البنائي فهم قد نظروا في بداية السورة وخاتمتها والعلاقات بين أجزائها والمحور الواصل بين موضوعاتها وما يمكن أن تكشفه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

غير أن البستاني يرى أن التناول البنائي للسورة القرآنية أشمل من ذلك فهو يشمل (صلة كل آية بما قبلها وما بعدها وصلة كل مقطع بذلك وصلة هذه جميعًا مع بعضها الآخر، وصلة النص من حيث بدايته ووسطه ونهايته مع بعضها، ثم صلة أولئك بالعناصر الصورية والإيقاعية ونحوهما أو

---

(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: دراز، محمد بن عبد الله: اعتنى به أحمد مصطفى فضلية، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ١٨/١.

بالأدوات الفنية كالأداة القصصية وغيرها)[1]، وهو بذلك ينظر للسورة على أنها تمثل بنية واحدة متماسكة الأجزاء.

ونّبه الدكتور محمد عبد الله دراز إلى أن من يجهل طبيعة القرآن ومعارفه ولغته ومقاصده يحسب السورة القرآنية تجمع مواضيع مفككة لا رابط بينها غير أن الواقع خلاف ذلك فيقول: (إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حُشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي –لو تدبرت– بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامّ والالتحاق. كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا)[2]، ومن الأمور المهمة التي رصدها البحث في التفسير البنائي وهو يدرس السورة ويكشف عن بنائها تلك الجملة التي أشار إليها النص السابق بقوله (كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها) فنجد البستاني يوجد الصلة والرابط من داخل النص القرآني بلا تكلف وإنما نتاج دراسة عميقة وتأمل طويل ونظرة فاحص ماهر.

ثانيًا: مثال تطبيقي:

أشار البحث سابقًا إلى أن رحلته التطبيقية ستكون في تحليل ما درسه البستناني في سورة الكهف المباركة التي جمعت موضوعات مختلفة وألفت بين عناصر متعددة منها التمثيل والقصص وغيرها من فنون النظم.

وإنطلاقًا من هذه القاعدة فالبستاني أوجد محورًا جامعًا لموضوعات السورة يربط بين أجزائها التي

---

(١) المنهج البنائي في التفسير: البستاني، محمود: ١٤.

(٢) النبأ العظيم: دراز، محمد بن عبد الله، ١٨٨/١.

تبدو للوهلة الأولى أن لا ترابط بينها (بيدَ أن الملاحظ أن هذه الموضوعات المختلفة يجمع بينها هدف فكري محدد وهو نبذ زينة الحياة الدنيا بمعنى أن جميع موضوعاتها تصب في هذا الرافد الفكري سواء أكانت هذه الموضوعات تتحدث عن أهل الكهف أو عن ذي القرنين أو عن الحياة الدنيا أو سلوك النبي صلى الله عليه وآله)[١]، فالبستاني أوجد جامعًا ومحورًا انتظمت حوله أجزاء السورة مشكلة بناءً متماسكًا يكمل بعضه الآخر، وأن هذا المحور منبثق مما تجود به الآيات من معانٍ ولم يُفرض على السورة من خارجها بل جاءت ألفاظه متكررة في مقدمة السورة وعدد من أجزائها وجاء معنى المحور في كل أجزاء السورة التي لم يرد لفظ الزينة ونبذها فيه صريحًا.

إن هذا المحور يشير إلى أن الدنيا هي زينة عابرة، مصيرها الذهاب، وأن الغرض منها هو الإبتلاء والإختبار، وهذه الأفكار كما يراها البستناني هي الخيوط الناظمة لأجزاء السورة (هذه المفهومات الثلاثة بما يترتب عليها من الجزاء الدنيوي والأخروي، تظل هي المفهومات التي تتخلل كل موضوعات السورة سواء أكانت قصصًا عن أهل الكهف، وذي القرنين، وصاحب الجنتين، وموسى عليه السلام، أم كانت نثرًا غير قصصي يتصل بموضوعات أخرى)[٢]، من هنا نجد أن البستاني يوجد جملة من الروابط بين أجزاء النص لتعلم منه أن أجزاء هذه السورة كانت تنمي بعضها الآخر ويكمل المقطع ما قدمه سابقه ولو بزاوية أخرى تزيد من استجابة المتلقي لهدفها العام تاركةً أثرًا كليًا عند المتلقي لها[٣]، وقد تناول البحث في القاعدة السابقة جزءًا من العلاقات التي جمعت مقاطع سورة الكهف المباركة، ونجد البستاني يجعل في تفسيره لكل سورة شخصيتها ومحورها الخاص الذي يميزها به عن غيرها منطلقًا مما تمليه عليه طبيعة السورة ومعاني مقاطعها وآياتها.

القاعدة الثالثة: انسجام بنائية القصص القرآني مع الهدف العام للسورة

إن القرآن الكريم كتاب هداية جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وقد تعددت فنونه وأساليبه في إيصال هداياته وإقرارها في نفوس الناس، وتعد القصة القرآنية أحد الأساليب المعجزة التي وظفها

---

(١) التفسير البنائي القرآن الكريم: البستاني، محمود: ٣/٥٥.

(٢) التفسير البنائي القرآن الكريم: البستاني، محمود: ٥٦.

(٣) ظ: المصدر نفسه: ٣/٥٥-٦٦.

القرآن الكريم لتحقيق الهداية ومد البشرية بالقيم السامية التي تظمن لهم السعادة.

أولًا: معنى القاعدة:

وفي بيان موجز للقصة القرآنية فهي (أنباء و أحداث تاريخية لم تتلبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، و مع هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من القصص من الإثارة و التشويق مع قيامه على الحقائق المطلقة)[١]، فإن ما يميز القصة القرآنية أنها مبنية على الحقائق والوقائع ولا خيال فيها كما هو السائد في هذا الجنس الأدبي، كما أن القصة القرآنية مع واقعيتها عرضت أحداثها وأبطالها وحواراتها بأسلوب جذاب يشد المتلقي لها نحو الهدف الذي جاءت من أجله.

إن البستاني يشير إلى أن واقعية القصة القرآنية فضلًا عن الأسلوب الفني الذي يجعل المتلقي يتفاعل معها تفاعلًا أكبر وتتسلل أفكارها المعروضة وتقر في نفسه بشكل أكبر مما لو علم مسبقًا بخيالية تلك الأحداث كما هو الحال مع القصة العادية[٢]، وبذلك ينضم التأثر الذي تحدثه القصة كجزء أو مقطع من سورة قرآنية إلى الأجزاء الأخرى مساهمة في الأثر الكلي.

وإذا تأملنا في قصة موسى مثلًا فإننا نجدها في أكثر من موضع من القرآن الكريم وفي كل موضع تتناول جانبًا معينًا من حياته وهو ما يدفعنا للتساؤل عن السبب في ذلك فيجيب مطاوع بقوله (هي لم تأت كاملة في موضع واحد من القرآن الكريم، بل اشتملتها إحدى عشرة سورة و اختصت كل سورة بعدة مشاهد منها على حسب ما يقتضيه السياق)[٣]، وهنا يمكن للبحث أن يرصد أن هذا التعليل ينسجم مع مقتضى القاعدة التي تنص على انسجام تلك المقاطع مع سياق السورة العام ومحورها وأنها ترتبط معه برابط فكري بنائي يوحّد أجزاء السورة القرآنية.

ثانيًا: مثال تطبيقي:

---

(١) الإعجاز القصصي في القرآن : مطاوع، سعيد عطية، دار الآفاق العربية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٣٩.

(٢) ظ: دراسات في علوم القرآن الكريم: البستاني، محمود، مدينة العلم، قم – إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢هـ،

(٣) المصدر السابق: ٢١٠.

إذا ما عدنا للحديث عن سورة الكهف المباركة فإننا نجد جميع قصصها ارتبطت بالهدف العام للسورة وهو نبذ زينة الحياة الدنيا فمن أول السورة يظهر ذلك الارتباط بما أقدم عليه الفتية من نبذ للحياة وزينتها والخلود إلى الكهف فرارًا بدينهم وتمسكًا بعقيدتهم، ثم قصة صاحب الجنتين وفتنته بالبسيط من زينة الدنيا ونكرانه للقيامة وما جرّته عليه من حسرات، ثم ننتقل إلى قصة نبي الله موسى عليه السلام وذلك العالم الذي لم يبحث عن أبسط ألوان الزينة وهي الشهرة والإطراء بل بقي غائبًا مجهولًا حتى على نبي الله فضلًا عن عامة الناس ونلحظ أن السورة قد انتخبت من حياة النبي موسى عليه السلام هذه الرحلة دون غيرها لأنها تعمل على نماء المحور العام للسورة وفتح آفاق جديدة فيها، ثم القصة الأخيرة وهي قصة من ملك القوة والعلم والأسباب غير أن كل متاع الدنيا الذي حيز لذي القرنين لم يُنسه الإخلاص والعمل الصالح وشكر المنعم وبذلك قدّمت لنا نموذجًا صالحًا آخر على خلاف صاحب الجنتين الذي مثّل النموذج الخاسر في فتنة الدنيا ومتاعها[1]، إن كل تلك القصص جاءت متصلة اتصالًا وثيقًا بمحور السورة وهدفها العام وأسهمت اسهامًا واضحًا في صناعة الأثر الكلي تجاه زينة الحياة الدنيا.

إنّ القصص التي وردت في سورة الكهف لم ترد في غيرها حتى الجانب الذي اختير من قصة موسى عليه السلام لم يرد في مكان آخر ونجد أن ما يُختار من قصة موسى في سور أخرى يأتي منسجمًا مع تلك السور ولنأخذ من سورة النازعات مثالًا فقد ورد فيها جانب منتخب من قصة موسى يتحد مع محور السورة ويجلي هدفها ويسهم إسهامة كبيرة فيما تتركه من أثر كلي عند قارئها.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتاكَ حَديثُ مُوسى * إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً * اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى * وَ أَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى * فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرى * فَكَذَّبَ وَ عَصى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى * فَحَشَرَ فَنادى * فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولى * إِنَّ في ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى﴾[2]، إن القصة تتناول جانبًا من الأحداث بين نبي الله موسى عليه

(١) ظ: التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود: ٣/٥٥-٦٦.

(٢) سورة النازعات: الآيات ١٥-٢٦.

السلام وفرعون وهو جانب خاص ومعطى يتحد مع السورة وهدفها فهي تركز على دلالات محددة يبيّنها البستاني وهي (النصيحة له بأن يخشى، إظهار المعجزة ، تكذيبه وادعائه الربوبية، معاقبته دنيويًا وأخرويًا، واتخاذ ذلك عبرة لمن يخشى، هذه الدلالات سوف تنعكس على باقي السورة، كما أنها نظل انعكاسًا لما سبقهتها من أفكار مطروحة في السورة)[١]، وتبدو هنا إشارة واضحة من البستاني إلى أن القصة جاءت حلقة متصلة بين ما قبلها وما بعدها ثم يبيّن في ثنايا تفسيره لهذه السورة المباركة وجوه ذلك الإتصال.

وقد (يلاحظ أن السورة بعد أن تنتهي من الأقصوصة تقول ﴿أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها﴾[٢] وتقول في أخريات النص ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغى* ...﴾[٣] هذه الدلالات التي تنتثر في السورة لها صلة فنية وثقى باقصوصة فرعون، فقد وصفه النص بأنه طغى ... ثم وصف النص الأقوام المعاصرين لرسالة الإسلام بنفس الوصف ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغى﴾[٤] فإذن الطغيان هو الصفة المشتركة ... ويلاحظ أيضًا أن الأقصوصة طالبت موسى عليه السلام أن يخاطب فرعون قائلًا : ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى * وَ أَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى﴾[٥] حيث أن كلًا من المطالبة بالتزكية وبالخوف من الله كان هو الطلب في الأقصوصة، وهذا ما طرح أيضًا في ختام السورة التي تقول: ﴿وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى﴾[٦] فالخوف من الله حيث رسمه النص هنا كان نفس المطالبة لفرعون بأن

---

(١) المصدر السابق، ٢٥/٥.

(٢) سورة النازعات: الآية ٢.

(٣) سورة النازعات: الآيات ٣-٣٩.

(٤) سورة النازعات: الآية ٣.

(٥) سورة النازعات: الآيتان ١٨-١٩.

(٦) سورة النازعات: الآية ٤٠.

يخاف الله ﴿وَ أَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى﴾[1] فالخشية أو الخوف هو الطابع المشترك بين أقصوصة فرعون وبين هؤلاء الذين يتحدث النص عنهم)[2]، وهذه جزء من الروابط التي أوجدها البستاني للقصة مع السورة ومحورها.

وبعد أن يُكمل بيان الصلة بين القصة ومحور السورة يبيّن أنه (يفصح عن مدى إحكام السورة القرآنية الكريمة التي تُجانس بين مختلف عناصر النص والعنصر القصصي والعنصر غير القصصي، مثلما تجانس بين بداية السورة ووسطها وخاتمتها، فيما يفصح عن تلاحم أجزاء النص بعضها مع الآخر)[3]، ومن هنا ندرك أهمية الإلتفات للقصص القرآني في سياقها ومحاولة الكشف عن العلاقة بينها وبين محور السورة وما تسهم فيه القصة من زيادة في المعنى وتتركه من أثر في نفس القارئ للنص القرآني.

القاعدة الرابعة: هيكل بناء السورة لا يخرج عن صور ثلاث:

تختلف سور القرآن الكريم في عرضها للموضوعات فمنها ما تعرض موضوعًا واحدًا فقط، ومنها ما تعرض موضوعات عدة، وهي بذلك تأخذ هيكلية بنائية خاصة.

أولًا: معنى القاعدة:

إن معنى الهيكلية البنائية هي المرحلة التي يقطعها النص، والمحطات التي يقف عندها، والجهة التي يسير إليها، والمحطة الأخيرة أو الشاطئ الذي يرسو عليه ويخلص البستاني إلى أن هذه الهياكل أو المراحل التي يقطعها النص ثلاث فقط هي:

١- البناء الأفقي: أي أن السورة تبدأ بموضوع ما وتختم بالموضوع نفسه.

٢- البناء الطولي: وهي أن تبدأ السورة بموضوع وتنتهي بموضوع آخر.

٣- البناء المقطعي: وهي أن السورة تطرح جملة من الموضوعات، وتصل بينها عبر محطة

---

(١) سورة النازعات: الآية ١٩.

(٢) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود: ٢٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢.

مشتركة تجتمع عندها الموضوعات.[١]

ثانيًا: مثال تطبيقي:

نعرض هنا أمثلة لكل نوع من أنواع البناء المذكورة:

١- البناء الأفقي: مثاله سورة النبأ المباركة التي استهلت بتساؤل بعضهم عن ظاهرة معينة أسمتها السورة بالنبأ العظيم التي يرى البستاني أنها يوم القيامة ويرجح ذلك عنده من خلال بناء السورة وعمارتها، هذا الموضوع الذي حضر بالمقدمة وعُرض في ثنايا السورة هو ما تختم به السورة بحديثها عن حال الكافر الذي يحدث نفسه متمنيًا يوم القيامة لو أنه يكون ترابًا على أن يكون مصيره إلى نار جهنم[٢]، وهذا هو لون من ألوان بناء السورة.

٢- البناء الطولي مثاله: سورة عبس ففي مقطعها الأول تتحدث السورة عن وظيفة المبلغ الإسلامي تجاه المقبلين والمعرضين عن الدعوة أما ختام السورة فكان يتحدث عن اليوم الآخر وفيما بين ذلك عرضت عددًا من الموضوعات مهد كل منها للآخر وصولًا إلى الخاتمة[٣]، وما يعنينا هنا أن هذه السورة تمثل شكلًا آخر من أشكال البناء وهو أن تبدأ السورة بموضوع وتختم بآخر

٣- أما البناء المقطعي فمثاله سورة الرحمن، وسورة القمر، وسورة الشعراء وإذا تأملنا سورة الشعراء مثلًا فهي تعرض جملة من الموضوعات من خلال ثمانية مقاطع تنتهي جميعها عند محطة مشتركة جامعة مثّلت محور السورة وهو قوله تعالى ﴿إِنَّ في ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِين﴾[٤]، فقد تضمنت السورة قصصًا ثمانية أنبياء مع أقوامهم وهم موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، عليهم السلام وقد ختمت جميع تلك

---

(١) منهج التفسير البنائي: البستاني، محمود: ٣٤-٣٥.

(٢) ظ: التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود:٢٦٤-٢٦٨.

(٣) ظ: المصدر نفسه، ٢٨٢-٢٨٨.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٨.

المقاطع بهذه المحطة التي تشير إلى أن أكثر الناس لا يؤمنون على الرغم مما يرونه من الدلائل الواضحة والحجج البالغة ووضوح الحقيقة وإشراقها لكن يبقى القليل من الناس هم من يستجيبوا لها ويتبعونها، وقد عرضت تلك القصص نماذج عدة من أزمان مختلفة وبيآت متباينة وبراهين كثيرة لكنهم اجتمعوا في أمر واحد وهو أن أكثرهم لم يستجيبوا لتلك الدلائل والآيات ولم يؤمنوا أو يصدقوا بالرسالات[١]، وهذه السورة تمثّل النوع الأخير من أنواع البناء في السورة القرآنية.

القاعدة الخامسة: لعمارة السورة دور أساس في صناعة الأثر الكلي لمتلقيها :

إن السورة القرآنية في بنائها الخاص تترك أثر ما في نفس المتلقي والقارئ لها يتشكل من مجموع العناصر والأدوات والهيكل الذي يتكون منه النص وهذا ما يمكن عده الأساس الذي بحث عنه البستاني.

أولًا: معنى القاعدة

أن القارئ للسورة القرآنية بعد تمامه لتلاوتها يخرج بأثر ما، سواء أحسه بوضوح أو كان غائمًا ومنبع ذلك التأثر عائد لبناء السورة المعجز الذي يأخذ أشكالًا ويوظف معطيات كثيرة في سبيل تحقيق تلك الأستجابة (كافتتاح النص بظاهرة ما، أو اجمالها أو تفصيلها أو حذفها أو اختزالها، أو التدرج أو التصاعد بها، أو توشيحها بعناصر تخيلية أو عاطفية: كالصورة أو الرمز وكالإيقاع، أو رفدها بأداوات قصصية أو حوارية...)[٢].

تلك الأدوات والعناصر البنائية التي ذكرها البستاني هي ما تترك لدى المتلقي أثرًا فيقرر (أن الانتهاء من تلاوة السورة الكريمة سوف تفضي بالمتلقي إلى أن يظفر بالحصيلة النهائية التي استهدفتها السورة، أي تترك لديه انطباعًا أو تأملًا أو معرفة اجمالية حتى لو كانت غائمة أو مضببة بحيث تعكس أثرها عليه بنحو أو بآخر بحسب درجة وعيه)[٣]، ونخلص إلى أن مقدار وضوح ذلك الأثر يكمن في قابلية

---

(١) ظ: التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود: ٣/٣١١-٣٣٨.

(٢) منهج التفسير البنائي: البستاني، محمود: ١٥.

(٣) المصدر نفسه:١٥.

القارئ وما يملك من وعي في تحسس ما يريد النص إيصاله وما يملكه من مجسات تمكنه من التقاط معانٍ أكبر ونظمها ليصوغ منها فهمًا كليًا يمثل حصيلة ما في السورة من هدايات.

ثانيًا: المثال التطبيقي

إن ما تتركه سورة الكهف المباركة من أثر كلي لدى المتلقي بضرورة نبذ زينة الحياة الدنيا وأنها فانية لا دوام لها وما هي إلا ابتلاء واختبار جاء حصيلة ما وظفه النص من عناصر وأدوات أفضت في النهاية لمثل هذه الإستجابة.

فلمقدمة السورة دور في خلق هذا الأثر من خلال نهايتها القائلة ﴿ إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا* وَ إِنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعيداً جُرُزا ﴾[1]، وهي تتحدث عن أن الحياة الدنيا زينة فانية، وأن الاختبار هو الهدف منها، ثم تتبع هذه المقدمة بأربع مقاطع لعنصر مهم وهو العنصر القصصي بهدف تعميق هذا الأثر وذلك من خلال تلك القصص التي عرضت نماذج مختلفة من الاستجابة تجاه زينة الحياة الدنيا فمثّل أصحاب الكهف نموذجًا من النبذ من خلال العزلة في الكهف، ثم قدمت السورة نموذجًا مضادًا تمثل بصاحب الجنتين الذي تعلق بالزينة وغرته وفشل في الاختبار، ثم يقابل ذلك النموذج بآخر لم تغره سعة الملك فشكر الله أن هداه ومكنه وهو ذو القرنين الذي ماثل أهل الكهف من جهة نبذ الدنيا وزينتها لكنه خالفهم من جهة ظهوره في مسرح الحياة والعمل على خدمة الناس، كذلك لا ننسى ما لقصة ذلك العالم الذي صحبه نبي الله موسى عليه السلام فقد نبذ لون من ألوان الزينة وهو الشهرة وفضل أن يبقى مجهولًا وبذلك زادت تلك القصة من عمق ذلك الأثر في نفس المتلقي والقارئ لها، كما اننا لا ننسى العلاقات التي أسهمت في بناء النص من تماثل وتضاد وتقابل كلها كان لها دور في توثيق ذلك الأثر فضلًا عما تضمنه من صور كالتشبيه وغيرها[2].

كل ذلك مجتمعًا أسهم في خلق استجابة ما وهذه الإستجابة هي ما فتش عنها وبحثها البستاني جاعلًا من بناء السورة سببًا رئيسًا لها.

---

(١) سورة الكهف: الآية –٨.

(٢) ظ: التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود:٥٥–٦٦.

نقاط الاتفاق والافتراق بين قواعد التفسير الموضوعي والبنائي

بعد دراسة مجموعة من قواعد التفسير الموضوعي بشقيه الباحث عن الموضوع في كل القرآن الكريم، والباحث في السورة القرآنية كونها وحدة واحدة، ثم دراسة جملة من قواعد التفسير البنائي، نخلص الآن لملاحظة وجوه الالتقاء والافتراق متبعين ما جادت به عملية التحليل والتركيب لقواعدهما، مستخلصين أبرز ما ظهر من تلك المعالم.

أولًا: الاتفاق

ظهر الاتفاق بينهما في كون النص القرآني المبارك هو المرتكز الأساس والقاعدة التي يقوم عليها كل من التفسير الموضوعي بشقيه والتفسير البنائي، وأن المفسر ملزم في كليهما أن يبقى مرتبطًا بالنص ولا يخرج عنه إلا بحدود ما يعزز به معطيات النص القرآني.

كما نلحظ أن التفسير الموضوعي الذي يبحث السورة وكذلك التفسير البنائي يلتقيان في أن السورة القرآنية وحدة واحدة لها شخصيتها ومحورها الخاص، وأن هنالك تناسبًا وتجانسًا بين موضوعاتها وأجزائها، فكل مقطع داخل السورة متصل بما قبله وما بعده من خلال عمود السورة أو محورها الجامع لها، إن دراسة السورة ذات الموضوعات المتعددة يستلزم تقسيمها إلى مقاطع ويجب أن يتبع الأساس الموضوعي ووحدة الفكرة في هذا التقسيم وليس على حساب عدد الآيات أو غيرها فقد يطول المقطع ويقصر وفق ما يمليه الموضوع، وأن هنالك تناسبًا بين مقاطع السورة الواحدة ومقدمتها وخاتمتها.

وقد اشتركا في توظيف النتاج التفسيري التجزيئي والإستفادة منه في تحصيل المعاني الجزئية التي تمثل مرحلة مهمة تسهم في ابراز معالم الموضوع وكشف عناصره كما أنها تسهم في تجلية المعنى الكلي أو المحور العام للسورة القرآنية، ويعد من لبنات بناء المعنى الإجمالي بالنسبة للتفسير الموضوعي، ويساعد في تحصيل المعنى الكلي بالنسبة للبنائي.

يلتقي كل من التفسير الموضوعي، والبنائي بأنهما يغايران التفسير التجزيئي الذي ساد لقرون وأنهما نوعان جديدان من التفسير لهما غاية رئيسة وهي الكشف عن مراد الله حول موضوع ما، أو مراده عز وجل من كل سورة في كتابه، فهما يقدمان معطىً جديدًا يضاف لما قدمه التفسير التجزيئي.

نجدهما يشتركان في البحث عن الجانب المعنوي وتحصيله من معطيات النص القرآني أو الإستعانة على ذلك ببعض النصوص المفسرة ومعطيات اللغة ..وغيرها، ويلتقي كل من التفسير الموضوعي (الكشفي) والبنائي بأن كلًا منهما يقدم للسورة بتمهيد غير أن طبيعة ذلك التمهيد تختلف بينهما وهذا ما سنبينه في المقصد اللاحق.

ثانيًا: الافتراق

أما في الإفتراق فنجد مساحة البحث في التفسير الموضوعي بنوعه الباحث عن الموضوع تتعدى حدود السورة الواحدة بل إنه يبحث عن الموضوع في كل القرآن الكريم، كما أنه لا يشترط أن يكون المنطلق في اختيار الموضوع في التفسير الموضوعي الباحث عن الموضوع من القرآن الكريم فإن المفسر يرصد موضوعًا من مواضيع الحياة ويقصد القرآن الكريم باحثًا عن رؤيته تجاه هذا الموضوع، بينما في التفسير البنائي فمنطلقاته وبحثه وحركته داخل سور السورة القرآنية الواحدة.

إن التمهيد في التفسير الموضوعي (الكشفي) يتضمن مطالب عدة من قبيل فضل السورة واسباب نزولها وأسمائها وإن كانت مكية أو مدنية ومحورها والمناسبة بين أجزائها كل ذلك في التمهيد الأمر الذي يجعله يطول جدًا بالنحو الذي بيناه سابقًا غير أنه في التفسير البنائي مقتضب واضح الدلالة عن محور السورة وبعض معالمها الأساس التي لا تتعدى أسطرًا أو صفحة في الغالب، وأن محور السورة في التفسير الموضوعي (الكشفي) يستنتج من المعطيات التي أشرنا لاشتمال التمهيد عليها، مع ما تجود به دراسة الموضوع في حين المحور في البنائي نابع مما تجود به معطيات النص القرآني المبارك وما تفصح عنه من معنى كلي فالمحور عنده يفرضه النص القرآني المقدس لا غير.

في البيان الإجمالي للمقاطع نجد الموضوعي يفصل كثيرًا للحد الذي يجعل المطالع للموضوع لا يميز بينه وبين التفسير التجزيئي المطول، في حين أن التفسير البنائي يركز في بيانه على ما يفضي للكشف عن الخيط الناظم لأجزاء السورة والخيوط التي تلتقي معه مكونة شبكة متقنة تجمع

أجزاء السورة ولا يدخل القارئ بتفاصيل تجعل وضوح الترابط يغيب عن ذهنه، فضلًا عن أن التفسير البنائي يبحث الجانب الجمالي للنص وما يوظفه من عناصر فنية تسهم في صناعة أثر كلي عند القارئ للسورة القرآنية، ورغم ذلك يبقى مركزًا على غايته الأساس وهي إيجاد الصلة بين أجزاء السورة.

التفسير الموضوعي للسورة القرآنية وبحسب ما وصلت له يد الباحث من نماذج وعرضها في القاعدة الخامسة من قواعد التفسير الموضوعي ظهر نتيجة لتباينه في التمهيد والتفسير الإجمالي وفي طريقة سرد الهدايات أنه أكبر بكثير من البنائي فمثلًا في سورة الكهف نجدها في التفسير الموضوعي للسورة بلغ عدد صفحاتها عند مصطفى مسلم (١٦٢) صفحة منها (٢٠) صفحة تمهيد[١]، وفي كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم بلغ عددها(١١٩) صفحة منها () للمقدمة[٢]، أما في التفسير البنائي فبلغ عدد صفحاتها (١١) صفحة فقط منها تمهيد بحدود الصفحة ثم الدخول بتفصيل السورة[٣]، وكان بالإمكان اختزال الكثير من التفصيل بالنسبة للتفسير الموضوعي؛ كونها موجودة في التفسير الترتيبي أو التجزيئي، ومن أجل أن تظهر له هوية خاصة ينفرد بها عنه مع تحقيق هدفه وهو اثبات وحدة السورة وترابط موضوعاتها من خلال محور جامع بين أجزائها.

(١) ظ: المصدر نفسه، ١٦-٣٢٩.

(٢) ظ: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مجموعة من الباحثين، ٤/٢٨٣- ٤٠٢.

(٣) ظ: التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود:٣/ ٥٥-٦٦.

الفصل الثالث:(الاتفاق والافتراق بين مصادر التفسير الموضوعي والبنائي)

المبحث الأول: القرآن الكريم

المبحث الثاني: السنة الشريفة

المبحث الثالث: العقل

المبحث الرابع: اللغة

الفصل الثالث: الاتفاق والافتراق بين مصادر التفسير الموضوعي والبنائي

توطئة

الفصل الثالث من هذه الرسالة خصص للبحث عن الاتفاق والإفتراق بين التفسير الموضوعي والبنائي، من جهة مصادر التفسير التي يقصد بها (المستندات والمعلومات التي تكشف عن مقاصد الآيات، التي يستعين بها المفسر على فهم القرآن، ويعبر عنها بالمآخذ، أو القرائن، أو أدوات فهم القرآن)[١] كما عرفت بأنها (المصادر الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره للقرآن)[٢] وقصد المعرف من وصفها بالأولية إخراج التفاسير من مصادر التفسير فهي على رغم من أنها يرجع إليها إلا أنها خارج إطار هذا المصطلح[٣]، وهنالك مصادر عدة يستقي منها المفسر وقد اعتمدت التفاسير التي بين ايدينا عليها، منها تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، والعقل، وكذلك اللغة، وسنبين في هذا الفصل حجية تلك المصادر وأثرها على التفسير الموضوعي والبنائي وكيف وظفها واستثمرها المفسرون في عملية الكشف لكلا النوعين.

---

(١) مدخل إلى علم التفسير: أبو خمسين : ٣.

(٢) التحرير في أصول التفسير: الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ، ٣٩.

(٣) المصدر نفسه: ٣٩.

المبحث الأول: القرآن الكريم

ومن المصادر التي لا يستغني عنها تفسير، هي تفسير القرآن بالقرآن الكريم فنجد القرآن يفصل في موضع ما أجمله في موضع ويخصص في مكان ما كان عامًا في آخر، ويوضح ما تشابه بإرجاعه إلا آية محكمة، وقد تضافرت الآيات والروايات الداعية إلى تدبر القرآن الكريم والعناية به؛ كونه تبيان لكل شيء ونور وهدى ولذلك كان لزامًا على المفسر أن يرجع إليه كمصدر تفسيري قدمه بعض المفسرين على غيره فيقول الشنقيطي في حديثه عن بيان القرآن بالقرآن أن العلماء أجمعوا على (أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا..)[١].

وقريب من هذا السبب ما ذكره الزرقاني في أن لا شك في قبول حجية كتاب الله (لأن اللّه تعالى أعلم بمراد نفسه من غيره، و أصدق الحديث كتاب اللّه تعالى) [٢].

وقد استدل جملة من المفسرين على حجية تفسير القرآن بالقرآن كون القرآن الكريم تبيانًا لكل شيء وهو على تبيان نفسه أقدر من غيره بل لابد من أن نفزع إليه في بيانه قبل أي شيء سواه، فيذكر صاحب تفسير الميزان في معرض وصف القرآن قائلًا: (جعله هدىً و نورًا و تبيانًا لكل شيء، فما بال النور يستنير بنور غيره! و ما شأن الهدى يهتدي بهداية سواه! و كيف يتبين ما هو تبيان كل شيء بشيء دون نفسه!.)[٣]، وإلى هذا المعنى يشير صاحب تفسير الفرقان في بيانه : (إذا كان القرآن هو المعوّل و المرجع لسواه، فبأن يكون مرجعًا لنفسه أحرى، حيث التمسك بالقرآن في الأمور المشتبهة إصلاح لها، و وصول للرشد فيها، فهو هو أحق أن يمسّك في تفسيره بنفسه)[٤].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار (ت١٣٩٣هـ) : مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، ٨/١.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت١٣٦٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ٤٨١/١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، ١٦/١.

(٤) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن: الصادقي، محمد، منشورات الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠هـ، ١٦/١.

المطلب الأول : حجية القرآن في التفسير:

نلحظ أن هنالك جملة من الآيات والروايات استشهد بها المثبتون لحجية تفسير القرآن بالقرآن عاديه مصدرًا أساسًا يستنير المفسر بضيائه ويُقدم على غيره ومنها استمدوا تلك المواقف التي ذكرنها سابقًا، كما أننا ذكرنا في الفصل الأول عند بحث حجية الظواهر القرآنية بعض الشواهد التي تصح دليلًا لإثبات هذا الأصل ونورد الآن مجموعة من الأدلة القرآنية والروائية تضاف إلى ما بيناه هناك:

أولًا: النصوص القرآنية الكريمة:

ومنها الآية القرآنية ذات الدلالة على كون القرآن الكريم نور وهدًى وأن فيه تبيان لكل شيء نحو قوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.[1] فيستدل السبحاني بهذه الآية الشريفة على أن تفسير القرآن بالقرآن (من أسمى المناهج الصحيحة الكافلة لتبيين المقصود من الآية فإذا كان القرآن موضحاً لكل شيء، فهو موضح لنفسه أيضاً، كيف والقرآن كلّه، هدى وبيّنة و فرقان و نور كما في قوله سبحانه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَ الْفُرْقَانِ ﴾[2])[3].

كذلك يمكن الاستدلال على حجية هذا الأصل بالآيات القرآنية الداعية إلى تدبر الكتاب العزيز والمنزه للقرآن الكريم من الاختلاف منها قوله تعالى: ﴿ أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيراً ﴾[4] فالآية تأمر بتدبر كتاب الله الخالي من كل خلل أو تناقض وأنه حجة وأن معانيه متسقة وأحكامه متناغمة يشهد بعضه على بعض، وقد اشتمل على أنواع الحكم من أمر بحسن و نهي عن قبيح و خبر عن مخبر صدق و دعاء إلى مكارم الأخلاق وحث على الخير و الزهد مع فصاحة اللفظ و جودة النظم و صحة المعنى، ومن تدبر فيه علم جميع ذلك ﴿ وَ لَوْ

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) المناهج التفسيرية: السبحاني، جعفر، مؤسسة الامام صادق عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٢٦هـ، ١٣٩.

(٤) سورة النساء: الآية ٨٢.

كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾[1] وهذه الآية تضمنت الدلالة على معان كثيرة منها فساد قول من زعم أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول صلى الله عليه وآله، لأنه عز وجل حث على تدبره ليعرفوه و يتبينوه[2]، من دلالة هذه الآيات مجتمعة وما قيل في تفسيرها ندرك حجية تفسير القرآن الكريم بالقرآن.

ثانيًا: الروايات الشريفة:

ويمكن الاستدلال على حجية هذا المصدر بنوعين من الروايات؛ الأولى ما تحدثت عن القرآن الكريم من كونه خلاص من الفتن وفيه هدى ونور وأنه يهدي إلى الصلاح وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه بصدق بعض، والنوع الآخر من الروايات التي نقلت لنا ممارسة المعصوم للتفسير من خلال بيان آية بآية أخرى.

١- الطائفة الأولى من الروايات ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يرشد بعض أصحابه ويحثهم على التمسك بالقرآن الكريم قائلا: ((فَإِذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَ مَاحِلٌ مُصَدَّقٌ وَ مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ وَ هُوَ الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ وَ هُوَ كِتَابٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَ بَيَانٌ وَ تَحْصِيلٌ وَ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ وَ لَهُ ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ وَ بَاطِنُهُ عِلْمٌ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَهُ نُجُومٌ وَ عَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَ لَا تُبْلَى غَرَائِبُهُ فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَ مَنَارُ الْحِكْمَةِ وَ دَلِيلٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ لِمَنْ عَرَفَ الصِّفَةَ فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَهُ وَ لْيُبْلِغِ الصِّفَةَ نَظَرَهُ يَنْجُ مِنْ عَطَبٍ وَ يَتَخَلَّصْ مِنْ نَشَبٍ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ...))[3]، إن الرواية الشريفة تشير إلى عمق القرآن الكريم وغناه ولزوم العودة إليه وما دام كتاب الله العزيز فيه ما فيه من هذا الغنى فلابد للمفسر من الاستعانة به على

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٢) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، ١٢٦/٣.

(٣) الكافي: الكليني: ٥٩٩/٢.

بيان بعضه ببعض.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ وَ تَنْطِقُونَ بِهِ وَ تَسْمَعُونَ بِهِ وَ يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَ يَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَ لَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ وَ لَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّه))[1].

نلحظ أن الرواية الشريفة تبين أن القرآن الكريم يشهد بعضه ببعض وينطق بعضه ببعض، وأنه لا يبعد صاحبه عن الله، وما دام الإنسان مع الله كان على هدى وحق، ويمكن القول إن الحث الوارد من المعصومين على ضرورة التمسك والتدبر بكتاب الله، دليل وحجة لمن تمسك بهذا المصدر وجعله أصلًا من أصول التفسير المصدرية.

٢- أما الطائفة الثانية من الروايات فهي التي نقلت لنا ممارسة المعصومين لبيان الآية بآية أخرى فمنها تفسير يوم الدين بيوم الحساب فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ يَوْمِ الْحِسَابِ وَ الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿وَ قالُوا يا وَيْلَنا هذا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يَعْنِي يَوْمَ الْحِسَابِ))[2].

ومنه بيان الإمام الرضا عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَ سَواءَ السَّبِيلِ ﴾[3] قال عليه السلام: ((بَلْ تُرِيدُونَ يَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَ الْيَهُودَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ مَا تَقْتَرِحُونَهُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي لَا تَعْلَمُونَ هَلْ فِيهَا صَلَاحُكُمْ أَوْ فَسَادُكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ وَ اقْتَرَحَ عَلَيْهِ لَمَّا قِيلَ لَهُ ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾[4]))[5].

---

(١) نهج البلاغة: الشريف الرضى، ١٩٢.

(٢) تفسير القمي: القمي، علي بن براهيم، دار الكتاب، قم- إيران، الطبعة الثالثة ،١٤٠٣ هـ، ٢/١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ٥٥.

(٥) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم – إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ، ٤٩٦.

إن الإمام عليه السلام بين أن مراد الآية نهي قريش عن اقتراح المعجزات على النبي كما فعلت بنو اسرائيل مع موسى عليه السلام على رغم من أن الآية الأولى أبهمت طبيعة سؤال بني اسرائيل إلا أن الإمام عليه السلام بين أن السؤال كان باقتراح المعجزات على نبي الله موسى عليه السلام وقد استدل على ذلك بالآية الخامسة والخمسين من سورة البقرة التي تحدثت عن طلب بني اسرائيل من النبي موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة، وهذا يمثل صورة من صور تفسير القرآن بالقرآن، وبما أن فعل المعصوم حجة يمكن الاستدلال على حجية هذا الأصل بما سبق من هذه الممارسة المعصومة.

المطلب الثاني: توظيف القرآن في التفسير الموضوعي والبنائي

القرآن الكريم يمثل مصدرًا أساسًا بالنسبة لكل من التفسير الموضوعي والتفسير البنائي وهو قوامهما وهذا ما سنبينه في هذا المطلب:

أولًا: توظيفه بالنسبة للتفسير الموضوعي:

إذا كان التفسير الموضوعي قائم في أساسه على جمع آيات القرآن الكريم المتعلقة بموضوع واحد والاستعانة ببعضها في فهم البعض الآخر ثم الوصول إلى استجلاء رؤية القرآن الكريم حول الموضوع المدروس فإن الأخذ من هذا المصدر لازم لا يمكن الشروع بالتفسير الموضوعي بدونه، لذا نجد أن من كَتَبَ أو نظّر للتفسير الموضوعي أكد على ضرورة هذا المصدر مبينًا أن جمع الآيات يفتح لنا أفاقًا قرآنيةً تسهم في انارة طريق فهم وتفسير الآيات تبين بعضها البعض عندما تكون مجتمعة في رابط موضوعي (فمن خلال تفسير الآيات المتعلقة بموضوع ما بالاستعانة بالآيات الاخرى تنبثق عنها معارف وعلوم جديدة، هذه العلوم تكمن فيها معارف القرآن والحلول لكثير من المعضلات العقائدية وأحكام الإسلام...خلاصة القول إنّه لا يمكن حلّ الكثير من اسرار القرآن إلّاعن هذا الطريق، ولا يُمكن النفوذ إلى مكنوناتها إلّامن خلال هذا السبيل)[1] أي التفسير الموضوعي بالإستعانة ببيان الآية للآية.

---

(١) نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم،١١/١.

من يرصد بعض الخطوات المنهجية للتفسير الموضوعي يدرك أنه مفتقر في وجوده وأصله إلى هذا المصدر بل تفسير القرآن بالقرآن عماد التفسير الموضوعي فما جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع المدروس إلا خطوة أولى بعد تحديد الموضوع ثم ترتيبها ثم النظر فيها بعمق بما يجعلنا ندرك هداياتها وتفسيرها مجتمعة وابراز الهدايات القرآنية وصياغتها وعرضها منتظمة للمتلقي، كل ذلك غير ممكن من دون الأخذ من القرآن الكريم، وكل ما ذكرناه مفتقر لبيان القرآن بالقرآن، فضلًا عن البحث في السورة الواحدة ومحورها والتناسب بين أجزاءها[١] – لمن عده من التفسير الموضوعي– فهذا غير ممكن مع عدم الإيمان بأن القرآن الكريم مصدر أساس في بيان نفسه وإنارة هداياته.

ولإلقاء المزيد من البيان على ما ذكره البحث أعلاه نأخذ من تلاشي الجبال مثالًا ننظر فيه ليكون كاشفًا عن أثر تفسير الآية بآية أخرى فعند بحث علامات القيامة وما يحدث للأرض قبل قيام الساعة وكيف تتبدل أحوالها نجد من تلك العلامات (تلاشي الجبال) وبحث هذا الموضوع لا يمكن أن يدرج ضمن الموضوع مالم توجد آيات تصرح بهذا الأمر لذا نجد أن مراحل تلاشي الجبال تأتي منساقة تبعًا لما تجود به الآيات الخاصة بالموضوع (لقد ورد هذا الموضوع في آيات متعددة من القرآن الكريم وذُكرت له مراحل عديدة ومختلفة ويمكن تقسيمها وتلخيصها في سبعة مراحل هي:

١– المرحلة الاولى: اهتزاز الجبال: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾[٢].

٢– المرحلة الثانية: قلعها: ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ..﴾[٣].

٣– المرحلة الثالثة: تسييرها: ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً﴾[٤].

٤– المرحلة الرابعة: الدك والهدم: ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[٥]. وفي هذه المرحلة تصبح الجبال

---

(١) ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ٣–٥١.

(٢) سورة المزمل: الآية ١٤.

(٣) سورة الحاقة : الآية ١٤.

(٤) سورة الطور: الآية ١٠.

(٥) سورة الحاقة:الآية ١٤.

كالكثبان المتراكمة: ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلًا ﴾[١].

٥- المرحلة الخامسة: تصبح فيها الجبال كالغبار المتفرق: ﴿ وبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً* فَكَانَت هَبَآءً مُّنبَثّاً ﴾[٢].

٦- المرحلة السادسة: تكون الجبال فيها كالعهن المنفوش أي كالصوف المندوف المتطاير في الريح الشديدة ولا يرى في السماء إلّالونها: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[٣].

٧- المرحلة السابعة: تلاشي الجبال ولا يبقى منها إلّاشبح كشبح سراب في صحراء قفر: ﴿وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[٤].

وهكذا سوف تزول الجبال تماماً ولا يبقى منها أي أثر وتبدل إلى أرض مستوية لا نرى فيها عوجاً ولا أمتاً: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفصَفاً﴾[٥].[٦]، إن ما طرح في هذا الموضوع قوامه وأساسه القرآن الكريم وهذا ما أشرنا له أن هذا المصدر وجودي بالنسبة للتفسير الموضوعي فزوال الجبال أخبرت به آية معينة ولكن تلك الآيات مجتمعة رسمت لنا صورة تلك المشاهد وكيفية ذلك الزوال، كذلك قيام الساعة تخبر به آية وتخبر أن هنالك أحداث ستحدث قبل القيام فتأتي الآيات الأخرى تبين تلك التفاصيل، وبتقصيها وجمعها جميعًا تبدأ كل آية تشرق بهداياتها على جانب من الموضوع فيتضح تمامه بفضل ضياء الآيات المباركة.

ثانيًا: توظيفه بالنسبة للتفسير البنائي:

نجد من خلال تحليل ما يبحث فيه ويحاول اثباته نعني: السورة القرآنية بعدها كل واحد، أن هذا المصدر – تفسير القرآن بالقرآن- أيضًا عماده الذي يقوم عليه فالقرآن هو مصدره الأساس في

---

(١) سورة المزمل: الآية ١٤.

(٢) سورة الواقعة: الآيتان ٥-٦.

(٣) سورة القارعة: الآية ٥.

(٤) سورة النبأ: الآية ٢٠.

(٥) سورة طه: الآية ١٠٦.

(٦) نفحات القرآن: الشيرازي، ٦/١٥-١٦.

الكشف عن ذلك الأثر الكلي الذي تتركه السورة على المتلقي والقارئ لها، وصلة كل آية بما قبلها وما بعدها وصلة كل مقطع بذلك وصلة هذه جميعًا مع بعضها الآخر وصلة النص من جهة بدايته ونهايته مع بعضه وما وضِفَ في ذلك من عناصر وأدوات اسهمت كلها في ترك ذلك الأثر الكلي في نفس المتلقي.

إنا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن كل من يمارس التفسير البنائي لا يمكن أن يصل إلى شيء مالم يقر بهذا المصدر ويقدمه على غيره، لأنه قائم في وجوده على ما تشرق به آيات كتاب الله العزيز من أنوار وهدايات منتظمة في بناء محكم متماسك داخل سور السورة القرآنية الواحدة، مع عدم إنكار ما للمصادر التفسيرية الأخرى من أثر وهو ما سنبينه في المطالب القادمة.

ومن مطالعة أي سورة تضمنها التفسير البنائي تدرك حقيقة قيامه على القرآن الكريم ولنأخذ من سورة الإخلاص مثالًا فمحور السورة وموضوعها هو من نتاج دلالة الآيات وليس من خارجها كذلك فإن البستاني وعند بيانه لمعنى الصمد استعان بالآيات التي تلته فيذكر (عندما تكررت صفة أحد في نهاية السورة لم تقترن باسم الله تعالى: نظرًا لأن النص كان في صدد التعريف بمصاديق الصفة الثانية وهي الأزلية التي عرفها بقوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ * وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد ﴾[1]، فقوله: ﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد﴾[2]، جاء في سياق التفسير لكلمة (الصمد) حيث لا ضرورة لأن يُقترن ذلك مع كلمة (الله) ما دامت شرحًا لكلمة قد اقترنت سابقًا بكلمة الله تعالى)[3]. فقد عمد لبيان معنى الصمد بالآيات التي تلتها وذكر أنها أتت بيانًا لذلك المعنى وكل النتائج والمعاني التي يصل لها البستاني تكون منطلقة في الأساس مما تبينه الآيات مجتمعة وحتى الدراسة الفنية والجمالية للسورة تكون من وحي الآيات وليس من خارجها؛ لذا يمكننا القول إن هذا المصدر بالنسبة للتفسير البياني مهم جدًا ويوظفه بكثرة بل هو عماده.

---

(١) سورة الإخلاص: الآيتان ٣-٤.

(٢) سورة الإخلاص: الآية ٤.

(٣) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود: ٥/٤٥-٤٥٨.

المبحث الثاني: السنة الشريفة

تعد السنة المشرفة مصدرًا تفسيرًا لا يكتمل بيان تمام القرآن الكريم ولا يضمن الوصول إلى فهم سليم بمعزل عنها، وقد ارتكزت تفاسير المسلمين عبر العصور المتعاقبة على هذا المصدر التفسيري المهم، فعلى الرغم من التباين في مساحة الاغتراف من عذب السنة المشرفة إلا أننا نجدها تسجل حضورها الواضح في كل النتاج التفسيري تقريبًا.

ويقصد بالسنة عند الإمامية قول المعصوم وفعله وتقريره، والأحاديث الشريفة تكون حاكية عن تلك السنة، وكلمة المعصوم في التعريف تشمل النبي والأئمة المعصومين من بعده صلوات الله عليهم

أجمعين[١]، ويعرفها أصوليو الجمهور بأنها قول النبي وفعله وتقريره، ويضيف لها محدثوهم شمولها لكل صفة خَلقية أو خُلقية أو سيرة قبل البعثة وبعدها[٢]، وسنتناول حجيتها في التفسير ودورها في تحقيق غايات التفسير الموضوعي والبنائي.

المطلب الأول: حجية السنة في التفسير

حجية السنة الشريفة في التفسير تثبت من خلال جملة من الأدلة نوردها بالبيان الآتي:

أولًا: النصوص القرآنية الشريفة:

ومما يستدل به من القرآن على حجية السنة في التفسير قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ * وَ آخَرينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ ﴾[٣]،فمن المهام العظيمة التي أوكلها الله للنبي صلى الله ليه وآله هي تعليم الكتاب وبيان أحكامه وهداياته وقد تفانى صلوات الله عليه في سبيل نشر قيم القرآن الكريم ومفاهيمه التي أخرج بها الناس من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة فالقرآن يخبر صريحًا في هذه الآية أن النبي شارح وموضح للكتاب وأن هذا التعليم والشرح غير متوقف على زمان النبي بل هو مستمر بقرينة الآية الثالثة من هذه السورة المباركة التي أشارت إلى الآخرين الذين سيلحقوا بالسابقين وهي تشمل المؤمنين الذين يغترفون من معين القرآن الكريم

---

(١) ظ: أصول الحديث: الفضلي، عبد الهادي، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر – بيروت – لبنان، الطبع الثالثة ،١٤٢١هـ، ٣٢. أصول الاستنباط في أصول الفقه وتأريخه بأسلوب حديث، الحيدري الكاظمي، علي نقي، دار الفكر، قم– إيران، ١٣٨٣ش، ٤٨. القاموس الفقهي: مرعي، حسين عبد الله، دار المجتبى – لبنان – بيروت، ١٤١٣ هـ، ١١٥.

(٢) ظ: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: السباعي: مصطفى بن حسني (ت ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي: دمشق – سوريا، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة،١٤٠٢ هـ ،٤.

(٣) سورة الجمعة: الآيتان ٢–٣.

ويهتدون بهدي النبي وبيانه في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة[١].

إن وظائف النبي صلى الله عليه وآله بيان آيات الذكر للناس وفتح أفاق التفكر وإنارة العقول للتدبر بما في القرآن من قيم ومفاهيم سامية، وهو ما أخبر به الحق تعالى بقوله: ﴿ ..وأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢] ، وإن هذا التبين يشمل ما أمروا به و نهوا عنه، وتفسير المشكل، وبيان المجمل، أو ما تشابه عليهم، وتحقيق المحتمل، والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود أو يرشد إلى ما يدل على فهمه، فالنبي مفوض بتفهيم الكتاب وتعليمه للناس[٣]، من هنا ندرك أن حجية السنة في التفسير ينبغي أن يسلم بها وفق معطيات تلك الآيات المباركة.

ومن الشواهد على حجية السنة الشريفة في التفسير قوله تعالى: ﴿ وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى ﴾[٤] (فالآية وإن كانت ناظرة إلى الوحي القرآني لكن قوله : ﴿ وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى ﴾ غير قابل للتخصيص ، فهي قاعدة كلية في كلّ ما يصدر منه ويصدق عليه أنّه مما نطق به النبيّ « صلى الله عليه وآله وسلم » ، قال سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَعلّمَكَ ما لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[٥] والمراد من الفضل العظيم ، الذي أُشير إليه في ذيل الآية هو علم النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » بشهادة قوله : (وَعلَّمك ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَم﴾

---

(١) ظ: مجمع البيان : الطبرسي، ٤٢٩/١٠. مفاتيح الغيب: الرازي، محمد بن عمر ت(٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة،١٤٢٠ هـ، ٥٣٨/٣٠.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٣) ظ: أنوار التنزيل و أسرار التأويل: البيضاوي، عبد الله بن عمر: التحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ٢٢٨/٣. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، محمد بن أحمد، منشورات ناصر خسرو، طهرآن – إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ ٢/١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيرازي، ناصر مكارم، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ٩٩/١٠.

(٤) سورة النجم: الآيتان ٣–٤.

(٥) سورة النساء: الآية ١١٣.

)[1].

ومن الآيات التي يستدل بها على عموم حجية السنة ومنها حجيتها في التفسير قوله تعالى: ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقاب ﴾[2]، فيذكر صاحب التبيان في معنى الآية أن أمر النبي كاشف عن إرادة الله فيقول: (و ما أمركم به فافعلوه «وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» عنه فانه لا يأمر و لا ينهى إلا عن أمر اللَّه)[3]، والآية وإن كانت في معرض الحديث عن الفيء إلا أنها عامة في كل أمر ونهي صادر عن النبي صلى الله عليه وآله وهذا ما رجحه الرازي بقوله: (و الأجود أن تكون هذه الآية عامة في كل ما آتى رسول اللَّه و نهى عنه و أمر الفيء داخل في عمومه)[4].

ثانيًا: دلالة حديث الثقلين الشريفين:

بعد ما ذكر البحث من آيات بينات وأوجز أقوال جملة من المفسرين في ما يثبت حجية ما يصدر عن النبي من قول وفعل وتصريح نورد ما تواتر عنه صلى الله ليه وآله من حديث في كيفية النجاة من الضلال وهو حديث الثقلين الشريفين الوارد بصيغ عدة تجتمع في المعنى ذاته واخترنا ما روي في الكافي أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ و جَلَّ، وَ أَهْلَ بَيْتِي عِتْرَتِي؛ أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا و قَدْ بَلَّغْتُ، إِنَّكُمْ سَتَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَسْأَلُكُمْ عَمَّا فَعَلْتُمْ فِي الثَّقَلَيْنِ، و الثَّقَلَانِ كِتَابُ اللَّهِ- جَلَّ ذِكْرُهُ- و أَهْلُ بَيْتِي، فَلَا تَسْبِقُوهُمْ؛ فَتَهْلِكُوا، و لَاتُعَلِّمُوهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ)) [5].

ويبين الشيخ معرفة أن من جملة ما يستفاد من حديث الثقلين الشريفين (أنّهم -أهل البيت-

---

(٢) الحديث النبوي بين الرواية والدراية: السبحاني، جعفر، ١٠.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

(٣) التبيان: الطوسي، ٥٦٤/٩.

(٤) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، ٥٠٦/٢٩.

(٥) الكافي: الكليني ، ٢٥/٢.

الراسخون في العلم و المصداق الأوفى لوصف أهل الذكر، الذين يعلمون تفسير القرآن و تأويله، فهم وحدهم مراجع الأُمّة، في فهم معاني الكتاب و درس آياته عبر العصور، إنّهم أبواب الهدى و مصابيح الدّجى و سفن النجاة) [1].

ويستدل السيد الخوئي بحديث الثقلين على حجية ما صدر عن الأئمة في التفسير وضرورة أن يتبع المفسر (ما ثبت عن المعصومين عليهم السّلام فإنهم المراجع في الدين، و الّذين أوصى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بوجوب التمسك بهم فقال: إني تارك فيكم الثقلين...، و لا شبهة في ثبوت قولهم عليهم السّلام إذا دل عليه طريق قطعي لا شك فيه)[2].

والحقيقة أنه لا يمكن الإستغناء عن السنة الشريفة في بيان القرآن الكريم بل هي المصدر الثاني بعد القرآن في الكشف عن مراد الله تعالى، وإن ما أثر عن النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين خير شاهد على ما نقول فلا يمكن الإستقلال بفهم المراد من القرآن فحسب ولابد من العودة للسنة وأجلى شاهد على ذلك آيات الأحكام من قبيل الصلاة مثلًا فتفصيل ما أجمل في القرآن جاءت به السنة، كما أننا نحتاج إلى ما أرشدت له السنة من مصادر تفسيرية أخرى تثور القرآن الكريم وتكشف لنا كنوزه التي لا تنقضي.

المطلب الثاني: توظيف السنة في التفسير الموضوعي والبنائي

تعد السنة المشرفة مصدرًا تفسيريًا وبيانًا للقرآن الكريم والآن سنبحث في أثرها وما تمثله بالنسبة للتفسير الموضوعي والبنائي.

---

(١) التمهيد في علوم القرآن: معرفة، محمد هادى٤٣١/٩.

(٢) البيان في تفسير القرآن: الخوئي، علي أكبر، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم إيران، الطبعة الأولى، ٣٩٧.

أولًا: توظيفها في التفسير الموضوعي:

إذا كان قوام التفسير الموضوعي الآيات القرآنية التي تناولت الموضوع المدروس أو موضوع (السورة القرآنية والعلاقة بين آياتها) فإن كشف المراد الإلهي لا يمكن الركون إليه بدون المصادر التفسيرية الأخرى وفي مقدمتها السنة الشريفة من هنا تبرز أهميتها بالنسبة للتفسير الموضوعي، (ففي ذلك استعانة بالمبين للقرآن، و هو الحديث، ووضعه في مواضعه حتى لا تضلّ الأفهام في فهم معانى الأحكام، أضف إلى ذلك – أن بعض الألفاظ لها أكثر من مدلول، و السنة النبوية هي التي تحدد المدلول المراد) [١].

ويؤكد الدكتور مصطفى مسلم على أهمية التفسير الموضوعي في ايجاد معالجات لما تواجه البشرية من مشاكل ويكون بالبحث في القرآن الكريم والسنة الشريفة عن الموضوع المدروس فيورد : (إن جمع أطراف موضوع ما من خلال نصوص القرآن الكريم و السنّة النبوية المطهرة و الإحاطة بدلالاتها يمكّن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصّل إلى أفكار و قواعد عامة جديدة، و على ضوء هذه القواعد و الهدايات المستمدّة من مقاصد النصوص الشريفة يستطيع الباحث أن يدرك معالجة الإسلام لهذه المعضلات و المشكلات)[٢].

فمن خلال ذلك البحث في القرآن الكريم والسنة نهتدي لما يريده الإسلام في الموضوع المدروس ويعتقد مصطفى مسلم أن دور السنة التوضيح والبيان فيقول: (أما السنّة المشرفة فدورها في التفسير الموضوعي التوضيح و البيان و الاستدلال و ذلك حفاظًا على قرآنية الموضوع)[٣]، فهو عندما يدرس القيم في سورة الكهف المباركة يوظف السنة الشريفة في الكشف عن بعض أحداث ما انطوت عليه

---

(١) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: العمري، أحمد جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ٢٦.

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ٣١.

(٣) المصدر نفسه: ٣٩.

السورة من قصص[١] ويبين أنه لا يمكن الإهتداء إلى تلك التفاصيل من دون السنة.

كما اننا علمنا في الفصل السابق أن التفسير الموضوعي عندما يبحث في السورة القرآنية فإنه في ما اصطلح عليه بين يدي السورة يستعين كثيرًا بالسنة المشرفة في تحديد أسماء السورة وفضائلها من خلال جملة من الروايات وهذا منطبق على جميع سور القرآن الكريم مثيل ما عمدت له اللجنة المؤلفة للتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم في تصدير كل سورة مثال سورة الفاتحة المباركة[٢] فالسنة هي من تحدد اسمها وفضيلتها ودور كل ذلك في تحديد المحور، فيرصد المطالع توظيف السنة بشكل واضح في تحديد محور السورة من خلال تلك الممهدات الكاشفة عن المحور

ونخلص مما سبق إلى أهمية السنة بعدها المصدر الثاني للتفسير الموضوعي إذ تكون هي الضابط والمصوب لحركة المفسر والكاشف عمّا تحمله الآيات القرآنية من معارف كثيرة، ويمكن من خلالها الترجيح بين محتملات الآيات أو إناطة اللثام عن بعض علل التشريعات الإسلامية.

ثانيًا: توظيفها في التفسير البنائي:

إن التفسير البنائي يبحث في العلاقة والترابط بين آيات السورة الواحدة إلا أنه محتاج للسنة في الكشف عن تلك العلاقة من خلال ما تفتحه من آفاق وما تضيفه من بيان حتى وإن كان متعلقًا بالجزء وهي الآية لكنه يستطيع توظيف ذلك الجزء بما يخدم مسعاه وهو الكشف عن الأثر الكلي الذي تتركه السورة لدى المتلقي أو ما أسماه بناء السورة وعمارتها.

فمن العناصر التي استعان بها البستاني في الكشف عن عمارة السورة القرآنية هي القصة فيقول (ثمة أدوات وعناصر متنوعة يوظفها النص لإنارة أهدافه وفي مقدمة ذلك الاداة القصصية)[٣]، ونلحظ من مطالعة سورة الفيل مثلًا أن البستاني يستعين بالسنة المشرفة لبيان بعض التفاصيل التي لم تذكرها السورة المباركة ونجد أن تلك التفاصيل وضفت بشكل واضح في ما كتبه

---

(١) المصدر نفسه: ٢٥٩.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مجموعة من الباحثين، ١/-١٠.

(٣) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود، مجلة المصباح، العدد الأول، ١١.

البستاني عن عمارة السورة.

فعلى سبيل المثال ما جاء في سورة الفيل إذ إن من جملة التفاصيل التي كشفتها السنة هي تحديد هوية المهاجمين وكيفية تصدي السماء لهم وجيش السماء وهيئته وشكله وكيفية اهلاك أصحاب الفيل فما أوجزتها السورة بقوله تعالى ﴿ وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابيلَ * تَرْميهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾[1] ، جاءت السنة المشرفة لتبينه، فنجد أن الدكتور البستاني وظف ذلك البيان بشكل متقن وقد استفاد من النصوص المفسرة في ما بين من بعد معنوي أو فني[2]، وجاءت تلك النصوص مكملة لما ينشده من دراسته للسورة .

ومن نصوص السنة التي وظفها في هذه السورة ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام في جوابه عن الآيات الثلاث أعلاه أنه قال : ((كَانَ طَيْرٌ سَافٌّ جَاءَهُمْ مِنْ قِبَلِ الْبَحْرِ رُءُوسُهَا كَأَمْثَالِ رُءُوسِ السِّبَاعِ وَ أَظْفَارُهَا كَأَظْفَارِ السِّبَاعِ مِنَ الطَّيْرِ مَعَ كُلِّ طَائِرٍ ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ فِي رِجْلَيْهِ حَجَرَانِ وَ فِي مِنْقَارِهِ حَجَرٌ فَجَعَلَتْ تَرْمِيهِمْ بِهَا حَتَّى جُدِّرَتْ أَجْسَادُهُمْ فَقَتَلَهُمْ بِهَا))[3] وهذه الرواية حدثتنا عن شكل جند السماء من الطير وكيفية هلاك جيش ابرهة وقد وظف البستاني كل ذلك في دراسته للسورة وما بينه من معاني الآيات ودورانها حول الفكرة الرئيسة للسورة.

بالإضافة إلى ذلك نجده يعزز أحيانًا ما يخلص له من نتائج بما يعضدها من نصوص السنة مثال ذلك ما ذهب له من معنى قوله تعالى ﴿ وثيابك فطهر ﴾[4] وما فيه من دلالة نفسية فيذكر: (ولعل التفسير الوارد عن أهل البيت عليهم السلام في ذهابهم إلى المطالبة بغسل الثياب والإشارة إلى معطيات الغسل نفسيًا من أن الغسل يذهب الهم والحزن، وأنه طهور للصلاة ثم استشهادهم بألآية المذكورة على ذلك لعل هذا التفسير يلقي بعض الضوء على المعطى الفني لهذه الصورة، فاستخلاص

---

(١) سورة الفيل: الآيات ٣-٥.

(٢) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد إيران، الطبعة الثالثة ١٤٤٢هـ،٥/٤١٢-٤٢٢.

(٣) الكافي: كليني، ٨/ ٨٤.

(٤) سورة المدثر: الآية ٤.

الدلالة النفسية (إذهاب الهم والحزن) يفصح عن أن الصورة المشار إليها ليست ذات بعد تفسيري واحد بل ترشَّح بدلالات متنوعة تصب جميعًا في المفهوم العبادي الذي يشمل جانبي السلوك: النفسي، والحركي، فتطهير الثياب من أجل الصلاة يشكل سلوكًا حركيًا، وتطهير النفس من السيئات يشكل سلوكًا نفسيًا، وكلاهما يصب في الدلالة العبادية...)[1]

ويظهر للباحث أن التفسير البنائي يحتاج كما الموضوعي إلى السنة المطهرة بكونها المصدر الثاني للتفسير، فهي تمكنه من ترجيح بعض المعاني المحتملة للنص وكذلك في اظهار جوانب أخرى ألمح لها النص القرآني وترك تفصيلها للسنة المشرفة كما في بعض القصص القرآني، وما ذكرناه من شواهد يعزز ما ذهبنا له ويقرر حقيقة أن التفسير البنائي ناظر للسنة وعائد لها.

المبحث الثالث: العقل

إن الله عز وجل أكرم الإنسان بأن ملكه العقل وبه فضله على سائر خلقه وشرفه بأن كلفه طاعته، وتمام ذلك العقل برسالات السماء ونورها الهادي، فبالعقل اهتدى المسلمون إلى خالقهم

(١) التفسير البنائي: البستاني، محمود: ١٣/٥.

وصفاته وكان القرآن والسنة وما فيه من براهين قائدًا لحركة العقل وصائنًا له، وما سنبحثه هنا هل يمكن للعقل الذي كرم الله به الإنسان أن يكون مصدرًا للتفسير؟، وما الذي رفد به العقل كل من التفسير الموضوعي والتفسير البنائي.

المطلب الأول: العقل وأهميته في التفسير

إن المقصود من العقل كونه مصدرًا من مصادر التفسير دلالتين: الأولى الاستفادة من البرهان العقلي والأدلة القطعية في تفسير وكشف مراد النص القرآني ولا شك في كون العقل هنا مصدرًا من مصادر التفسير، والثانية الاستفادة من قوة الفكر في جمع ما تجود به مصادر التفسير الأخرى واستنباط حقيقة جديدة والكشف عن معانٍ ومعطيات أخرى هي نتاج التدبر الدقيق وجهد عقلي وذهن متقد، فهذه النتائج وإن كانت مستندة على النصوص الشريفة – وهو شرط للخلاص من التيه والضلال – إلا أنها من نتاج ذلك العقل[1]، لأنه جمع وحلل وأعاد تركيب النتائج فظهرت له تلك الدلالة الجديدة وكان طريقًا أفضى لها فيمكن لنا أن نعده مصدرًا من مصادر التفسير بهذا المعنى.

المطلب الثاني: حجية العقل في التفسير

نحن لا نبحث هنا عمّا استقل به العقل الفطري الصحيح الذي جعله اللّه حجة باطنة[2] فبه تثبت حجية الكتاب والنبوة وإن لم يكن حجة للزم الدور، بل أن مسلمات العقل تمثل المنطلق لأي عملية تفكير منتجة وبدونها لا يهتدى إلى شيء، أما ما يراد اثبات الحجة له هو عملية التدبر والتفكير والاستنتاج أي الاجتهاد وما ينتج عن ذلك الجهد الفكري من كشف عن مراد الله ويستدل على حجيته بجملة من الأدلة في مقدمتها القرآن الكريم والسنة المشرفة.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم:

وقد استدل على حجية العقل في التفسير بالآيات الداعية للتدبر والتفكر في كتاب الله، وكذلك

---

(١) ظ: التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب معرفة، محمد هادي الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ، مشهد المقدسة، إيران ١٤١٨هـ، ٣٤٩– ٣٥١. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: الصغير٢–٣. دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن : الرضائي، محمد علي:١٢٢.

(٢) البيان في تفسير القرآن: الخوئي، علي أكبر: ١٣.

الآيات التي امتدحت أصحاب العقول، والآيات التي تذم من غُلقت عقولهم وقلوبهم عن أنوار الذكر المبين.

ومن الآيات التي دعت إلى تدبر القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ ﴾[1] ففي الآية دعوة للتفكر في آيات الكتاب (فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة و المعاني المستنبطة.. وليتعظ به ذوو العقول السليمة، أو ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل، فإن الكتب الإلهية بيان لما لا يعرف إلا من الشرع، و إرشاد إلى ما يستقل به العقل)[2]، فإن للنص القرآني القابلية على تثوير العقل وجعله قادرًا على توظيف المعارف بما يعود بالنفع على الإنسان ومجتمعه.

فالتدبر من شأنه أن يذكر الإنسان وكذلك يمكنه من استنباط ما لم يعلم ولهذا يشير ابن عاشور في معرض تفسير الآية السابقة (أن الذين لم يتذكروا بالقرآن ليسوا من أهل العقول، و أن التذكر من شأن المسلمين الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، فهم ممن تدبروا آياته فاستنبطوا من المعاني ما لم يعلموا).

ويشير الصادقي إلى مراحل ثلاث توصل لباب الآية لأولي الألباب وهي: أن (يتدبر فيها أولا تعقيبا لها، تحقيقًا عن معناها بكل إمعان و إتقان، ثم ينظر إلى آياتها العشيرة معها قبلها و بعدها، حيث التأليف قاصد كما الآية نفسها، ثم نظرًا إلى كافة الآيات التي تعني ما تعنيه، لنستمد منها كلها ما تعنيه، فكلما تدبرت في آية أكثر و أكثر، عقلتها أكثر و أكثر...)[3]، إن هذه الخطوات وما ينتج عنها من كشف لا يمكن أن تتم إلى بجهد عقلي وعمل فكري كبير وهذا ما لا يكون إلا بالإيمان بحجية العقل في التفسير وإعماله وبذل الجهد في سبيل تحقيقه.

---

(١) سورة ص: ٢٩.

(٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: البيضاوي، عبد الله بن عمر (٦٩١هـ)، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ، ٢٨/٥.

(٣) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن: الصادقي، محمد، منشورات الثقافة الإسلامية، قم – إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠هـ، ٢٣٩/٢٥.

ومن الآيات التي تدعوا للتفكر والتدبر ويمكن الاستدلال بها على حجية إعمال العقل والتفكير في التفسير قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٣] فالآية تذم من لا يتبصرون ويتدبرون بآيات الله فيهديهم صراطه القويم.

والآيات كثيرة في معرض مدح العقل والدعوة للتدبر أو ما استعمله القرآن الكريم من حجاج عقلي وكل ذلك يؤكد على مكانة العقل وضرورة استعمال مواهبه في الكشف عن مراد الله من كتابه يذكر السيد الطباطبائي (أنك لو تتبعت الكتاب الإلهي ثم تدبرت في آياته وجدت ما لعله يزيد على ثلاثمائة آية تتضمن دعوة الناس إلى التفكر أو التذكر أو التعقل، أو تلقن النبي صلى الله عليه وآله الحجة لإثبات حق أو لإبطال باطل ... أو تحكي الحجة عن أنبيائه و أوليائه...، و لم يأمر الله تعالى عباده في كتابه و لا في آية واحدة أن يؤمنوا به أو بشيء مما هو من عنده أو يسلكوا سبيلا على العمياء و هم لا يشعرون، حتى أنه علل الشرائع و الأحكام التي جعلها لهم مما لا سبيل للعقل إلا تفاصيل ملاكاته بأمور تجري مجرى الاحتجاجات و هذا الإدراك العقلي أعني طريق الفكر الصحيح الذي يحيل إليه القرآن الكريم .. أنما هو الذي نعرفه بالخلقة و الفطرة مما لا يتغير و لا يتبدل و لا يتنازع فيه إنسان و إنسان، و لا يختلف فيه اثنان، و إن فرض فيه اختلاف أو تنازع فإنما هو من قبيل المشاجرة في البديهيات ينتهي إلى عدم تصور أحد المتشاجرين أو كليهما حق المعنى المتشاجر فيه لعدم التفاهم الصحيح)[٤].

وقد أوردنا جملة من الآيات وأقوال المفسرين فيها تشهد على مكانة العقل وأهميته وما قيمة تلك المكانة والأهمية إن لم تكن سبيلًا للهداية والمعرفة بل قيمة العقل تكون فيما يفضي إليه من حسن وفلاح.

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣.

(٣) سورة محمد: الآية ٢٤.

(٤) الميزان فى تفسير القرآن: الطباطبائي، ٥/ ٢٥٦.

ثانيًا: السنة الشريفة:

ويمكن الاستدلال بما ورد عن المعصومين صلوات الله عليهم من بيان لعلو شأن العقل وكذلك روايات الحث على تدبر وتعقل ما في الكتاب العزيز وفهم معانيه، ومضافًا إلى الإستدلال بالممارسة المعصومة للبرهان العقلي في بيان بعض معاني الآيات المباركات.

١- **الروايات التي تعظم منزلة العقل،** ومنها ما رواه الشيخ الكليني عن الإمام الكاظم عليه السلام في حديث طويل لهشام نورد منه ((مَا بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَ رُسُلَهُ إِلَى عِبَادِهِ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ فَأَحْسَنُهُمُ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً وَ أَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلًا وَ أَكْمَلُهُمْ عَقْلًا أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ يَا هِشَامُ إِنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ حُجَّةً ظَاهِرَةً وَ حُجَّةً بَاطِنَةً فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَ الْأَنْبِيَاءُ وَ الْأَئِمَّةُ ع وَ أَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُول...))[١]، فالرواية تصف العقل بأنه حجة باطنة وحينها يكون ما يدركه ويقطع به حجة أيضًا.

٢- **الروايات الداعية لتدبر القرآن الكريم وإجالة الفكر في آياته وتفقه ما فيه،** كمقدمة للعمل بما نتج عن ذلك التدبر منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في معرض بيان قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾[٢] قال: ((يرتلون آياته، و يتفقهون به، و يعملون بأحكامه، و يرجون وعده، و يخافون وعيده، و يعتبرون بقصصه، و يأتمرون بأوامره، و ينتهون بنواهيه؛ ما هو- و الله- حفظ آياته، و درس حروفه، و تلاوة سوره، و درس أعشاره و أخماسه، حفظوا حروفه و أضاعوا حدوده، و إنما هو تدبر آياته و العمل بأحكامه))[٣].

---

(١) الكافي: الكليني: ١٦/١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢١.

(٣) إرشاد القلوب إلى الصواب: الديلمي، حسن بن محمد (٨٤١) هـــ. دار الشريف الرضي، قم- إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، ٨/١.

٣- **ويمكن الاستدلال بممارسة المعصومين لمثل هذا التفسير** مثال ما استدل به الإمام الصادق عليه السلام على وحدانية الله تعالى حيث قال عليه السلام في جواب سؤال هشام عن الدَّلِيلُ عَلَى وحدانية الله ((قَالَ عليه السلام اتِّصَالُ التَّدْبِيرِ وَ تَمَامُ الصُّنْعِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ- ﴿ لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا﴾[١]))[٢]، فإن هذه الآية ومثيلتها تقدم لنا دليلًا عقليًا وهي تخاطب العقل السليم وجواب الإمام عليه السلام واستشهاده بها جاء من خلال ضرورة عقلية يستلزمها تعدد الآلهة وهي فساد الكون وعدم انتظامه.

٤- ومما يستدل به أيضًا أن هنالك آيات يُشَكِل فهمها بدون القرائن العقلية مما تؤدي إلى انحراف في العقيدة من نحو آيات العرش، والكرسي، واليد، وغيرها من آيات الصفات كالسميع والبصير[٣].

وبعد إيراد ما يستدل به على حجية التفسير العقلي يمكن القول إن هذا المصدر مختلف في الأخذ به بين الإفراط والتفريط، فتارة يحملون العقل فوق ما يطيق من قبيل عقلنة الأحكام الشرعية التي لا سبيل لإدراك دقائقها إلا بنصوص الشرع، ويأخذ آخرون موقف التفريط وينزلقون إلى فجاج الاحتياط ويفقدون روح الإقدام نهائيًا ويرفضون الأخذ به نهائيًا، وبين الاثنين خط معتدل بين التعقل والتعبد سلك مسلكًا في التفسير جهد على حرمة الاثنين بحيث أعطى لكل منهما حقه فللعقل مساحة بعده مدار التكليف وبه ينال الثواب والعقاب، ومن جهة أدركوا عجز العقل عن إدراك عمق الوحي واستيعاب جميع أسرار نظام التشريع وحكمه فلكل منهم مساحته ودوره في الكشف عن مراد الله

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) التوحيد: الصدوق: محمد بن علي (ت٣٨١ هـ)، جماعة المدرسين، الطبعة الأولى، قم – إيران، ١٣٩٨ هـ، ٢٥٠.

(٣) ظ: مناهج التفسير واتجاهاته: رضائي، محمد علي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨م، ١٠.

تعالى[1].

والباحث يقر أن هذا المصدر يحتاج إلى مزيد دقة وتقصٍ وتجرد من كل ميل بل ينبغي للمفسر أن يقصد القرآن الكريم طالبًا للهداية وأن ما يصل له من نتائج ينبغي أن تكون حصيلة تأمل وتفكير عميق متأني وأن لا تتقاطع تلك النتائج مع محكمات القرآن الكريم، والمقطوع به من السنة، بل يستعين بهما وبما ملك من مصادر وأدوات تستنزل بها بركات معاني القرآن الكريم وأن يقف موقف الاعتدال ما أمكن ذلك مستعينًا بتوفيق الله أن يسدد طريقه ويبصره الحق.

المطلب الثالث: توظيف العقل في التفسير الموضوعي والبنائي

وبعد أن بينا المقصود بالمصدر العقلي وحجيته فهل يعد هذا المصدر من المصادر اللازمة للتفسير الموضوعي؟، وما الذي يُلزِم المفسر الموضوعي أن يؤمن به ويوظفه في تفسيره، وكذلك ما أثره وأهميته بالنظر للتفسير البنائي.

أولًا: توظيفه في التفسير الموضوعي:

إن من لوازم التفسير الموضوعي بذل الجهد، وإعمال العقل، والتفكير العميق، وربط المعطيات التي تجود بها الآيات عن الموضوع المدروس ثم صياغة النتائج وترتيبها في بناء جديد يكشف نظرة القرآن الكريم لهذا الموضوع، كل ذلك لا يمكن الوصول إليه وتحقيقه من دون إعطاء العقل مساحته في التدبر واستخراج النتائج والبرهنة على صحتها؛ من هنا كان لزامًا على المفسر الموضوعي أن يؤمن بحجية هذا المصدر وأن يستفيد من معطياته في عملية التفسير.

إذا عرفنا أن التفسير الموضوعي يسعى للكشف عن رؤية القرآن الكريم عن الموضوع المدروس، وكذلك تصويب الواقع ببيان نظرة الإسلام لتلك المستجدات وذلك من خلال تحصيل أوجه الارتباط بين المدلولات التفصيلية للآيات من القرآن الكريم بأكمله لا في موضع منه، فيغوص عميقًا في سبر

---

(١) ظ: دراسات في تفسير النص القرآني (أبحاث في مناهج التفسير): مجموعة من الباحثين: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت – لينان، الطبعة الثانية، بيروت– لبنان، ٢٠١٠م، ١/٣٠٩-٣١٠. مناهج التفسير واتجاهاته: رضائي، محمد علي ١٨-١٩.

دلالات ونظم الآيات في علاقات مشتركة بينها، بما يجعلها تتكامل في سبيل الكشف عن تلك الرؤية، وهذا العمق يرفض الاكتفاء بالنظرة السطحية أو الأولية للآيات[١]، من هنا نكتشف ضرورة الإيمان بمصدرية العقل بالتفسير الموضوعي وتوظيفه في جميع خطوات الكشف.

ويذكر الشيخ على آل موسى جملة من التحديات التي تواجه المفسر الموضوعي منها الجهد فيبين أن التفسير الموضوعي لا يقف عند حدود المعاني الجزئية أو بعض مفاهيم الآيات ولا بجمع الروايات المتعلقة بها فحسب وإنما (يسعى لاكتشاف علاقات جديدة ناظمة بين الآيات توحد الآيات المتباعدة في سلك واحد هو بمثابة العنوان الجامع أو المحور المشترك، ومقارنته بتراكم معرفي وتجارب متطاولة في دنيا البشر)[٢]، ولا شك أن مثل هذا الأمر يتطلب جهدًا عقليًا واستعانة بمعطيات العقل وقواه المدركة وما يملك من ملكات التحليل والتركيب والربط وقابلية العرض وترجمة المعطيات الجديدة في قالب جديد يكشف عن مراد الله في الموضوع المدروس بقدر ما بذل فيه من طاقة وجهد.

ومن التحديات التي تواجه المفسر الموضوعي هو الدقة فينبغي عليه (الدقة في معرفة الكلمة التي سيلج منها إلى البحث القرآني خصوصًا عندما تكون تلك اللفظة حديثة غير مذكور بلفظها في القرآن الكريم ويحتاج إلى الدقة في تصيد الآيات الدالة على الموضوع، ودقة في التعامل معها تحليلًا، وتركيبًا، ودقة في الفرز والتبويب، ودقة في التصنيف والتقسيم، ودقة في الاستنتاج)[٣] وما ذلك كله إلا من نتاج التفكير العميق والمعرفة العالية وسلامة العقل والفكر واعتماده على الحقائق، والمسلمات، والانتقال من الثابت والمعلوم إلى المجهول وكشف اللثام عنه وإظهار صورته الواضحة.

بقي أن نشير إلى أن الصورة النهائية للموضوع وكيفية عرضه وبنائه وترتيب ما فيه من معطيات، وأي الأمور ستشكل مقدمات، وكيفية سرد الأسباب والنتائج والمشكلات والحلول والمعالجات وفيما يختم المفسر موضوعه كلها تستلزم نظمها بمنهجية منطقية وذلك مما يهتدى له بالعقل.

---

(١) ظ: المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر: ٤٦-٥٠. التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: آل موسى،١٩٠-١٩١.

(٢) التدبر الموضوعي في القرآن الكريم : آل موسى، ١٩٦.

(٣) المصدر السابق: ١٩.

ثانيًا: توظيف العقل في التفسير البنائي:

بالنسبة للتفسير البنائي فهو محتاج لجملة من الحقائق العقلية والتصورات القطعية من قبيل أن هذا القرآن من خبير حكيم وأنه أنزله لهداية البشر وأن كل ما فيه بقصد وهدف وأن انتظامه مقصود وهي حقائق يدركها العقل البرهاني، كما أنه يحتاج إلى ذهن متقد وعقل مفكر قادر على أن يبرهن أن السورة القرآنية كل واحد تترابط وتتناغم آياته ومقاطعه وموضوعاته وعناصره وأدواته فيما بينها، والكشف عن الصلات بين الآية وما قبلها وما بعدها والمقطع مع الآخر وصلة كل ذلك مع بعضه الآخر، وما المحور الذي تدور حوله موضوعات السورة ذات الموضوعات المتعددة وما هو الرابط بينها وبيّن الظاهرة المبحوث عنها أ هو (التجانس، أو الاتفاق، أم التضاد)؟[1]، كل ذلك يلزم جهدًا عقليًا وقراءة متأنية وتحليلًا ولا سيما مع سور القرآن الطويلة.

إن الكشف عن بناء السورة ووحدتها الفكرية يحتاج إلى غواص ماهر امتلك من الأدوات الكثير ومعها فطنة وقوة ملاحظة تمكنه من استخراج درر النص وما فيه من كنوز عظيمة تُظهر عظمته وإعجازه الفكري والفني وجمال صياغاته والتحام أجزائه الذي توافر التفسير البنائي على بيانه من خلال ثمانية عناصر تناولها البستاني في تفسيره وهي (العنصر الفكري، والموضوعي، والدلالي، والصوري، واللفظي، والإيقاعي، والشكلي، والبنائي) وكيف يصب كل ذلك في بناء السورة وتماسك أجزائها، وقد تناول البستاني هذه العناصر بدراسة مستفيضة بينتها مفصلة[2]، وملاحظة كل ذلك غير ممكن من دون توظيف العقل مصدرًا من مصادر التفسير.

إن دراسة السورة القرآنية بهذه الكيفية لا يمكن أن يقدم عليها أحد ما لم يؤمن أن العقل مصدر من مصادر المعرفة والتفسير وأن نتاجاته المبنية على بديهيات العقل ومسلماته من جهة، وعدم

---

(١) ظ: المنهج البنائي في التفسير: البستاني، محمود، قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي للباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الألى، ١٤٢٢هـ،١٥.

(٢) ظ: القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: البستاني، محمود، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد –إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

معارضتها للقرآن والسنة من جهة أخرى، يمكن أن يستند عليها في التفسير، فلن يقدم على مثل هذا النوع من التفسير وإن فعل فلن يصل إلى ما وصل إليه البستاني في تفسيره.

المبحث الرابع: اللغة

تعد اللغة العربية مصدرًا مهمًا للمعرفة الدينية وكيف لا تكون كذلك وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم بها وبما يعرف العرب، غير أن كتاب الله العزيز جاء أعلى من كلامهم بمعانيه الرائعة التي افتنَّ بها[1] مفصحًا بذلك أنه من لدن خبير عليم، وأنه معجزة النبي الخالدة، وأن ثبوت إعجازه وعجز العرب عن الإتيان بمثله ما كان ليكون لو أنه لم يكن بلغتهم وهذا ما يشير له الطبري بقوله (فأتوا

(١) ظ: التفسير والمفسرون: الذهبي، محمد حسين، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د:ت)، ٣٣/١.

بسورة من كلامكم الذي هو مثله في العربية، إذ كنتم عربًا، و هو بيان نظير بيانكم، و كلام شبيه كلامكم. فلم يكلفهم جل ثناؤه أن يأتوا بسورة من غير اللسان ...، فيقدروا أن يقولوا: كلفتنا ما لو أحسناه أتينا به، و إنا لا نقدر على الإتيان به، لأَنا لسنا من أهل اللسان الذي كلفتنا الإتيان به، فليس لك علينا حجة بهذا؛... ففي الناس خلق كثير من غير أهل لساننا يقدر على أن يأتي بمثله من اللسان الذي كلفتنا الإتيان به)[١].

ويستعان باللغة على فهم كتاب الله العزيز فمن عرفها عرف كثيرًا من معاني القرآن ولهذا يشير الشيخ الطوسي بقوله (ما كان – من القرآن– ظاهره مطابقاً لمعناه، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها، عرف معناها..)[٢] غير أنه يشترط في شواهد اللغة ما كان شائعًا معلومًا بين أهل اللغة فيذكر (متى كان التأويل يحتاج الى شاهد من اللغة، فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة، شائعاً بينهم)[٣].

كما يذكر العلامة الطبرسي أهمية الإعراب وأثره في فهم القرآن وأنه يفتح مغاليق المعاني فيقول (وأقول إن الإعراب أجل علوم القرآن، فإن إليه يفتقر كل بيان، وهو الذي يفتح من الألفاظ الأغلاق، ويستخرج من فحواها الأعلاق، إذ الأغراض كامنة فيها، فيكون هو المثير لها، والباحث عنها، والمشير إليها، وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع إليه...، وإذا كان ظاهر القرآن طبقًا لمعناه، فكل من عرف العربية والإعراب عرف فحواه، ويعلم مراد الله به قطعًا)[٤]، وذكر عن مالك بن أنس أنه قال (لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب اللّه إلا جعلته نكالا)[٥]، ويدل قوله على أهمية المعرفة

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن :الطبري، ١٢٩/١.

(٢) التبيان: الطوسي، ٥/١.

(٣) المصدر نفسه : ٦/١.

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٩/١.

(٥) شعب الإيمان: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨)، تحقيق، د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٥٤٣/٣.

بالعربية ودور تلك المعرفة في التفسير، وقد استدل على حجية اللغة في التفسير بجملة من نصوص القرآن والسنة وما دأب عليه المفسرون من العودة للغة والاستعانة بها على فهم معاني كتاب الله تعالى وبيان وجوه إعجازه وروعة بيانه.

المطلب الأول: حجية اللغة في التفسير

يستدل على حجية اللغة في التفسير بجملة من الأدلة سنتاولها بالتفصيل الآتي:

أولًا: النصوص القرآنية الشريفة:

هنالك نصوص عدة يستدل بها على عربية القرآن وإذا كان عربيًا فلابد وأنه يجري في الإفهام على ما عهدوه في لغتهم، حتى يكون حجة عليهم وملزم لهم باتباع أوامره واجتناب نواهيه ومن تلك الآيات المباركات قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١]، أنزله بلغتهم أي العرب كي يفهموه ويستعملون عقولهم في معانيه وما في قصصه من إعجاز[٢] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[٣] أي أن أحكامه وحكمه كانت بالعربية ليسهل عليهم فهمها ومعرفتها وحفظها[٤] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ﴾[٥] وقوله تعالى ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[٦] ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٧].

ومن جملة الآيات التي شهدت بأن القرآن عربي قوله عز وجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢.

(٢) ظ: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: إبن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (ت ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ، ٢/ ٥١.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣.

(٤) ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، ٣/ ٢٣٨.

(٥) سورة طه:١١٣الآية .

(٦) سورة الزمر: الآية ٢٨.

(٧) سورة فصلت: الآية ٣.

﴾[١] ،و قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢]، و ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[٣] وقوله عز من قال ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[٤]، و ﴿ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾[٥] وقول الحق تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[٦] وهذه الآيات تدل على عربية القرآن الكريم و(فصاحته و بلاغته، حيث يذكر الحقائق بدقّة بليغة من دون أي نواقص. و في الوقت نفس يعكسها بشكل جميل و جذّاب)[٧].

ويستدل الذهبي بالآية الأخيرة على عربية القرآن الكريم فيقول (وجرياً على سُنَّة الله تعالى في إرسال الرسل، نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليبهم في كلامه،... فألفاظ القرآن عربية، إلا ألفَاظاً قليلةً، اختلفت فيها أنظار العلماء، فمن قائل: إنها عُرِّبت وأُخِذت من لغات أخرى، ولكن العرب هضمتها وأجرت عليها قوانينها فصارت عربية بالاستعمال. ومن قائل: إنها عربية بحتة، غاية الأمر أنها مما تواردت عليه اللغات، وعلى كِلا القولين فهذه الألفاظ لا تُخرِج القرآن عن كونه عربياً)[٨].

وقد اتفقت آراء المفسرين على أن من دلالات الآيات المباركة أن القرآن الكريم عربي وأنه جاء على أساليبهم ليكون حجة عليهم، وإظهارًا لإعجازه وتمام حجته بأنه من لسانهم ولم يقووا على معارضته، ومع ثبوت كونه عربي مستعمل لأساليبهم فإننا نقول إن اللغة مصدر لا يمكن الاستغناء عنه في فهم القرآن الكريم؛ ما دام جارٍ على مجرى كلامهم مع علوه وغلبته في كل جوانب النظم والبيان والهدف والغاية، غير أننا لا يمكن أن نفسر القرآن الكريم باللغة فحسب فمنها ما هو (مجمل

---

(١) سورة الشورى: الآية .

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٢.

(٤) سورة النحل: الآية: ١٠٣.

(٥) سورة فصلت: الآية ٤٤.

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٧) الأمثل: الشيرازي، ناصر مكارم، ٣٤٩/١٥.

(٨) التفسير والمفسرون: الذهبي، محمد حسين، ٢٩/١.

لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلا. مثل قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ، وَ آتُوا الزَّكاةَ﴾[١] و ما أشبه ذلك. فإن تفصيل أعداد الصلاة و عدد ركعاتها، لا يمكن استخراجه إلا ببيان النبي صلى الله عليه وآله و وحي من جهة اللّه تعالى. فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه، يمكن أن تكون الاخبار متناولة له)[٢] لذا كان لزامًا أن لا تعارض اللغة محكمات القرآن الكريم ولا ما صح من السنة الشريفة.

ثانيًا: الأدلة من السنة الشريفة:

يمكن الاستدلال على حجية اللغة في التفسير بالممارسة العملية للمعصومين عليهم السلام للتفسير وبيان ما يتوهم من المعاني من مثل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير الخيط الأبيض من الخيط الأسود لعدي بن حاتم بعد أن أشكل عليه المراد بهما ((عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ – رضى الله عنه – قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾[٣] عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِى ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِى اللَّيْلِ ، فَلاَ يَسْتَبِينُ لِى ، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ))[٤].

وقريب منه ما روي عَن الحلبي عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصادق عليه السلام ((قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ– أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ[٥] فَقَالَ هُوَ الْجِمَاعُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ سَتِيرٌ يُحِبُّ السَّتْرَ فَلَمْ يُسَمِ كَمَا تُسَمُّونَ))[٦]. فقد بيّن الإمام أن لفظ (لامستم النساء) مصروف عن المعنى الأصل إلى معنى ثانٍ جارٍ في لسان العرب وما يألفون في تعبيرهم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٢) التبيان: الطوسي، ٦/١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨.

(٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: البخاري محمد بن إسماعيل: تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، /٢٠٦.

(٥) سورة المائدة: الآية ٦.

(٦) الكافي: الكليني، ٥٥٥/٥.

ثالثًا: الاستدلال بسيرة المتشرعة والمفسرين:

يمكن الاستدلال بما ثبت من فعل أصحاب النبي والأئمة صلوات الله عليه وعليهم أجمعين على حجية اللغة فهم إما أن يبينوا المعاني القرآنية من دون ذكر شاهد وإما يذكرون لقولهم شاهدًا من كلام العرب وشعرهم ومثال ذلك جواب سعيد بن جبير عن معنى القانع في قوله تعالى (وَ أَطْعِمُوا الْقانِعَ وَ الْمُعْتَر) قال: القانع: السائل، ثم قال: أما سمعت قول الشماخ: لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف من القنوع [1].

وكذلك ما جاء عن ابن عباس قال ما كنت أدري معنى (الفاطر) حتى احتكم إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأت حفرها. وهنا نشهد ابن عباس استعان بكلام الإعرابي على فهم ما جهله من قوله تعالى ﴿ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْض ﴾[2].

ويمكن الإستدلال بتلك السيرة على صحة توظيف اللغة في فهم القرآن الكريم وتفسيره فلو لم يكن هذا ممكنًا لورد المنع من المعصومين عليهم السلام.

كما استدل الدكتور الصغير على مصدرية اللغة في التفسير بعربية القرآن – التي بيناها في مستهل المطلب – وكذلك ما عليه المفسرون وعملهم فيذكر: (إن المفسرين بصورة عامة قد استندوا على اللغة في كثير من النصوص القرآنية، فبحثوا القراءة والحجة والإعراب والأصوات و التصريف وعلل النحو، كما خاضوا في تفصيلات اللغة المنسجمة مع بلاغة القرآن من مجاز وكناية واستعارة وتشبيه وتمثيل مما يسهل فهم القرآن، وكان هذا الأمر متداولا فيما بينهم منذ نشأة التفسير في أحضان علم الحديث حتى تطوره وتجدده في القرون المتأخرة و العصر الحاضر. ومن مجموع ما تقدم يمكن القول من خلال الأمر الواقع بصلاحية اللغة مصدرًا تفسيريًا غنيًا، وبانضمامه إلى المصدرين النقلي والعقلي، يتوصّل عادة إلى فهم مراد اللّه تعالى من كلامه في كتابه العزيز) [3] هذا ما يتعلق بإثبات

---

(١) ظ: جامع البيان: الطبري، ١/ ١٢١.

(٢) ظ: الكافي: الكليني: ٤/٤٣٤.

(٣) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم: الصغير، ٧٨.

حجية هذا المصدر وأنه حجة بما أورد البحث من أدلة أعلاه.

المطلب الثاني: توظيف اللغة في التفسير الموضوعي والبنائي

يدرك كل من يطالع نتاج التفسير الموضوعي والبنائي حضور اللغة بوصفها مصدرًا من مصادر التفسير لكليهما الذي سنبينه بالآتي:

أولًا: توظيفها في التفسير الموضوعي:

يعتمد التفسير الموضوعي على اللغة في مراحله المختلفة فبعد اختيار الموضوع المدروس تأتي مرحلة جمع الآيات المتعلقة بالموضوع المدروس ومن الدلائل على تلك الآيات، الألفاظ ونظائرها وأضدادها، فمثلًا بعد أن حدد رحماني (اليتيم) موضوعًا لبحثه وتفسيره في القرآن الكريم شرع في المرحلة الثانية بجمع الآيات المتعلقة بالموضوع فيذكر أنها (كثيرة قد أحصاها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن فذكر من التي ترد فيها كلمة (يتيم) ثلاثًا وعشرين آية، موزعة على ثلاث عشرة سورة)[1] ونلحظ أن تلك الآيات التي أشار لها كشف لفظة اليتيم عنها وقد شكلت الآيات المحور الأساس للموضوع وعناوينه الفرعية وعماد نتائجه.

أن تتبع اللفظة غير كافٍ مع كل موضوع يفسر موضوعيًا بل يلزم البحث عن الآيات التي تحمل المعنى والدلالة وإن لم تحمل اللفظ نفسه وهذا ما يشير له الشيرازي بقوله (ليس التفسير الموضوعي بأن تجعل فهارس الآيات أمامك وتجمع الآيات التي ورد فيها ذكر لكلمات المواضيع التي تريد البحث فيها، مثل الجهاد والتقوى، لأنّ الكثير من الآيات تتكلم حول هذه المواضيع بدون أن تُذكر فيها كلمة التقوى أو الجهاد، ولا بأس هنا أن نذكر مثالًا واحداً، نحن نعلم أنّ اللّه سبحانه «رحمن» و «رحيم» و «أرحم الراحمين» وهذا المعنى وارد، في الكثير من آيات القرآن، ولكن توجد آيات تبيّن هذه الحقيقة بدون استعمال مادة «رحم»، منها: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ

(١) مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي: رحماني، أحمد بن عثمان رحماني، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠.

عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ﴾[1] ... فالآية تشير إلى رحمة اللَّه ولطفه المطلق على عباده من غير أن تُستعمل مادة (رحم))[2].

وهذا الأمر دقيق جدًا فالمعاجم غير كافية لإرشاد المفسر لجميع آيات الموضوع المدروس لكن يبقى لها دورًا كبيرًا جدًا في الوصول إلى آيات الموضوع وهذا ما أكده الشيرازي بحديثه عن المشكلات التي واجهت التفسير الموضوعي و(قد منعت من تطوره خاصة، وأنّ التفسير الموضوعي يحتاج إلى معاجم دقيقة وجامعة بحيث يمكن استخراج الآية منها بسهولة ولم تكن توجد في السابق، ولكنها اليوم بحمد اللَّه في متناول الأيدي... – المعجم – فهو وسيلة لابدّ منها من أجل تسهيل عملية التفسير الموضوعي وإن كانت بوحدها ليست كافية)[3].

إنّ تتبع اللفظة وإن كان لا يفضي لجميع آيات الموضوع المدروس فهذا لا يقلل من الحاجة للغة في مرحلة الجمع ولا سيما إذا كان المفسّر ذا معرفة لغوية عالية واستطاع أن يقلب وجوه ونظائر الكلمة التي اختارها عنوانًا، ومشتقاتها، وما حمل دلالتها العامة من الألفاظ، ومتابعة أضدادها، فبهذا يمكنه تحصيل أغلب الآيات إن لم يكن جميع ما يدور حوله الموضوع، وتمثيلًا لهذا الأمر نتبع موضوع (القرآن وضرورة المعرفة)، وجد البحث الآيات التي اختيرت حملت من الألفاظ ما دل على المعرفة أو قام مقامها من قبيل (العلم، والفقه، والتدبر، والتفكير، والتعقل، والقراءة التي هي من أدوات المعرفة)، كذلك ما حمل دلالة الضد وهو (الجهل) وقد شكّلت تلك الآيات عماد الموضوع ومع الاستعانة بالمعرفة اللغوية العالية والتأمل والبحث الدقيق يمكن للمفسر أن يهتدي لآيات الموضوع ويجمعها[4].

كذلك للغة ومصادرها أهمية في بيان بعض معاني مفردات القرآن الكريم التي يشتمل عليها الموضوع المدروس نحو بيان معنى (الروح، والغيب، ونفدت، وتفقهون) والعودة للسان العرب ومفردات

---

(١) سورة النحل: الآية ٦١.

(٢) نفحات القرآن: الشيرازي، ناصرر مكارم: ١٨/١.

(٣) المصدر نفسه: ١٩/١.

(٤) ظ: نفحات القرآن: مكارم الشيرازي، ناصر مكارم: ٤١– ٩٢.

الراغب في توضيح المراد بهذه الألفاظ[١].

كذلك فقد يكون للغة دور أساس في بيان مراد الآيات القرآنية بيانًا يتناسب مع العقيدة الإسلامية السليمة مثل هذا ما اختير في دراسة قصة النبي يوسف عليه السلام دراسة موضوعية فقد رُكن إلى رأي أهل اللغة في بيان معنى هَمِ يوسف في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾[٢]، وأستعين باللغة ودلالة (لولا) النحوية وما يماثل سياق الآية في كلام العرب على نفي مطلق الهم وهو ما يتناسب مع عقيدة عصمة الأنبياء[٣].

كذلك يصار إلى اللغة في بيان معاني عناوين الأبحاث إذا كان ذلك مما يساهم في مزيد كشف وتيسير للمعنى ذلك ما فعله الزهراني في بيان الدلالة اللغوية لعناوين الأبحاث نحو (الصوم) [٤] ويورد في ذلك عددًا من أقوال اللغويين لتكون عونًا في تجلية المعنى المقصود من العنوان.

ويمكن القول إن التفسير الموضوعي ينهل من اللغة بقدر ما تحتاجه طبيعة الموضوع وبما يعين على زيادة الكشف عن مراد الله من غير إسهاب أو إطالة ولا سيما وأن غاية التفسير الموضوعي تقديم رؤية القرآن الكريم في الموضوع المدروس لجيل اليوم، وإعادة أواصر الارتباط بين الفرد المسلم والقرآن الكريم والإجابة عمّا يجول في فكر أبناء هذا العصر من أسئلة عن موضوعات كثيرة، ومن هنا نقول إن المفسّر الموضوعي أيضًا يحتاج إلى اللغة ليس في طريق الكشف فحسب بل لما بعدها، فبأية لغة ونظم سيقدم المفسّر ما وصل إليه من نتائج حتى يحقق أهداف التفسير الموضوعي.

ثانيًا: توظيفها في التفسير البنائي:

تناول الدكتور البستاني في دراسته للسورة القرآنية وعمارتها لحاظين فهو يقف عند السمات

---

(١) ظ: المصدر نفسه: ٨١/١.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢٤.

(٣) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: العمري، ٢٤٩-٢٥٠.

(٤) ظ: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، الزهراني، أحمد بن عبد الله، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، ١١٠.

الفكرية والموضوعية التي تربط الآيات بعضها مع بعض، وكذلك يدرس السمات الفنية أيضًا وهو في هذا الجانب يلاحظ مجموعة من العناصر نحو (القصصي، والصوري، والإيقاعي) وغيرها ويرصد الدور الذي أدّته تلك العناصر في الربط بين أجزاء السورة ثم كيفية توظيف كل ذلك في إنارة فكرة النص، فلا انفصال عنده بين السمات الفكرية والفنية(١).

مما سبق نعي أهمية اللغة بعدها مصدرًا أساسًا في هذا النوع من التفسير وندرك حاجته لها في دراسة السورة وبنائها وسنورد مجموعة شواهد من عناصر مختلفة تبين ما ذهبنا إليه من لزوم أن يركن التفسير البنائي للغة ويوظفها في تفسيره.

عند دراسة سورة الفاتحة تتجلى لك ثقافة البستاني اللغوية وفطنته وكيفية استعمال كل ذلك بما يخدم هدفه من التفسير، ففي ما يسميه (العنصر اللفظي) يرصد ما شهدته السورة من ظاهرة التقديم والتكرار في لفظة (إياك) الواردة في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(٢) فيعزو البستاني التقديم إلى عمارة السورة فقسمها الأول جعله خاص بتقديم الشكر والثناء للمهيمن على هذا الكون فجاء تقديم (إياك) متناسبًا مع تقديم الحمد، أما ما يخص التكرار فيذكر أن سرّه يتّضح (إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن النص يستهدف لفت النظر إلى الممارسة العبادية غير المنفصلة عن الاستعانة بالله تعالى في تمرير الممارسة المذكورة فبدون الاستعانة به تعالى لا يتم اجتياز المهمة العبادية بنجاح)(٣).

وفي قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٤) يتناول (العنصر الصوري) فما ورد من استعارة يراها البستاني منسجمة مع عمارة السورة بالنحو الذي وضّحه وننقله (إن هذه الاستعارة من الصور المألوفة التي يخبرها أي شخص، ومع ذلك فهي من الصور المتسمة بالعمق وبالإثارة، إن النص قد انتخب (الطريق)، والهداية، إليه بنحو (المستقيم) رمزًا للهدي العبادي، وكان بالمقدور انتخاب صورة أخرى إلا أن الممارسة العبادية بنحوها الذي يطالب به الإنسان تتجانس بوضوح مع هذه الصورة،

---

(١) ظ: التفسير البنائي للقرآن الكريم : البستاني، محمود، ٨/١.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥.

(٣) التفسير البنائي: البستاني، محمود:١٦/١.

(٤) سورة الفاتحة: الآية ٦.

فهذه الصورة امتداد أو تفصيل لما سبقها، ونعني بها عبارة (إياك نستعين)، والإستعانة تتبلور أوضح مجسداتها عند حركة الإنسان، فالإنسان يتحرّك من خلال الطريق والطريق قد يكون مظلمًا، أو شائكًا، أو غير مُعلَّم بعلامات خاصة بحيث يتيه الانسان أو يتعثّر.. ولذلك يحتاج إلى من يهديه إلى الطريق غير المنحرف من هنا أو هناك، فالانحراف يقتاد إلى التيه أو ما يواكبه من إدماء وتعثر ... بينما الاستقامة تقتاده إلى المكان المقصود دون أي متاعب)[1].

يتضح للبحث أن البستاني بيّن لنا جمال الاستعارة وخصوصيتها بما يتفق مع عمارة السورة وعلاقة تلك الاستعارة بطلب الاستعانة من الله في تحقيق حق العبادة وهو ما سبق هذه الصورة الفنية ويكمل مع بيان العلاقة بما بعدها.

فيقول (ويمكن تلخيص ذلك في حقيقتين ترتبطان بمفهومي (غير المغضوب عليهم) و(ولا الضالين)، وذلك بأن من ينحرف عن الطريق المستقيم، إما أنه ينحرف بوعي وتحقيقًا لشهوات عابرة (فيكون من المغضوب عليهم)، وإما أن ينحرف بغير وعي (فيكون من الضالين). إذن، هذه الاستعارة ترتبط عضويًا بما تقدمها من الآيات المشيرة إلى العبادة (إياك نعبد) والاستعانة (وإياك نستعين) فتكون الاستعانة بالله تعالى في ممارسة العمل العبادي هي الهداية إلى الصراط المستقيم، وترتبط – في جانب آخر بما تلحقها من الدلالات الكثيرة إلى غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

ويظهر للباحث مما سبق حجم الالتحام بين السمات الفكرية والفنية فقد جاء تناولهما بطريقة تفضي إلى أن يكمل أحدهما الآخر وبما يخدم الهدف الأساس من التفسير البنائي وهو الكشف عن الخيط الناظم لآيات السورة القرآنية ووحدتها البنائية.

إن ما اشتمل عليه التفسير البنائي من تطويع للغة وعناصرها وأساليبها وفنونها حاضر في كل السور ولا مجال هنا لذكر شواهد أكثر فمثلًا القصة بوصفها جنسًا أدبيًا وعلاقتها بعمارة السورة نجد البستاني يتناولها بأسلوب رائق رائع يتناسب وإعجاز القرآن الكريم مثل تحليله لسورة المسد[2] فعلى

(١) التفسير البنائي: البستاني، محمود:١/١.

(٢) التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، محمود: ٥/٤٤- ٤٥٤.

الرغم من قصر السورة إلا أنها تكشف لنا وجوهًا كثيرة من إعجاز القرآن الكريم.

ويؤكد البحث بعد ما أورده وأحال عليه أن اللغة وفنونها وأساليبها وعناصرها تمثل رافدًا أساسًا يرتوي منه التفسير البنائي ويؤتي ثمارًا طيبة لقاصديه.

نقاط الاتفاق والافتراق في مصادر التفسير

أن هنالك اشتراكًا في مصادر التفسير بين التفسير الموضوعي والبنائي نبينها بالتفصيل الآتي:

أولًا: الاتفاق:

اشترك كل من التفسير الموضوعي والبنائي بعد القرآن الكريم مصدرًا أساسًا بل ظهر أنه وجودي بالنسبة لهما فنتائجهما تأتي من معطيات تلك الآيات المجتمعة سواء في الموضوع الواحد من كل القرآن الكريم، أو ما اجتمعت داخل سور السورة الواحدة، وقد ظهر للبحث أن الآيات تُسهم في كشف معنى مثيلاتها بما يحقق غاية كل من نوعي التفسير.

يعود كل من التفسير الموضوعي والبنائي للسنة الشريفة وهي تمثل مصدر ساند لمصدرهما الأساس القرآن الكريم، وقد اشتركا في الإفادة منها في ترجيح بعض محتملات النص، وفي الكشف عن بعض مجملات القرآن الكريم مثل ما يطوى من تفاصيل القصص القرآني، وكذلك في بيان بعض المعاني الجزئية التي توظف فيما بعد في تحصيل الرؤية الكاملة للموضوع والسورة القرآنية.

كما خلص البحث إلى أن بذل الجهد وتوظيف بديهيات العقل ومسلماته والإرتكاز عليه في عملية الكشف عن مراد الله تعالى أمر مشترك بين كل من التفسير الموضوعي والبنائي وكلاهما عائد للعقل وكلاهما يستوجب دقة عقلية في تحقيق غاياته وأهدافه سواء في دراسة الموضوع أو السورة القرآنية بوصفها وحدة بنائية مترابطة الأجزاء، ويشتركان في توظيفه في الكشف عن المعاني، وإيجاد الصلة بين مقاطع السورة القرآنية، وفي الترجيح بين محتملات النص وفق المسلمات العقلية.

يوظف التفسير الموضوعي والبنائي اللغة في كشف المعاني الجزئية وهي مرحلة مهمة لكليهما، كما أنهما يوظفانها في الترجيح على وفق ما تقتضيه فنون خطابها والمشهور من استعمالاتها، ويشتركان في حاجتهما لتوظيف اللغة في صياغة الصورة النهائية للتفسير صياغة جميلة سلسة متقنة تحقق غايتهما باستجابة المتلقي وتأثره.

ثانيًا: الافتراق:

إنّ التفسير الموضوعي الذي يدرس الموضوع يختلف عن البنائي في مساحة توظيف تفسير القرآن بالقرآن فإن الأول تكون مساحته كل القرآن الكريم فيجمع الآيات ذات الموضوع الواحد ويؤلف بينها في بناء الموضوع الجديد هذا التأليف يجعل الآيات تبين بعضها بعضًا وصولاً إلى بيان الرؤية القرآنية حول الموضوع المدروس، أما في البنائي فإنه لا يخرج عن حدود السورة إلا نادرًا بأن يحضر آية تعزز ما يكشفه من سورة أخرى وإنما مدار بحثه في السورة الواحدة وما تكشفه الآية مع الآية في المقطع الواحد أو ما تنير به المقاطع على بعض.

التفسير الموضوعي هو الأكثر توظيفًا للسنة من البنائي ففي بحث الموضوع تكون السنة مؤيدة وشارحة وموضحة، وفي الجانب الباحث عن السورة في التفسير الموضوعي فالسنة توظف كممهدات تفضي في النهاية إلى الكشف عن محور السورة، أما البنائي فإنه في باب المحور يكون عنده منبثقًا من نص السورة نفسه ولا وجود لمثل تلك الممهدات عنده وقليل ما يوظفها في كشف المعاني الجزئية لانه لا يدخل في كل التفاصيل الجزئية وإنما يخلص لمعنى جزئي يرتبط بالمعنى العام أو الأثر الكلي للسورة الذي يسعى للكشف عنه كل ذلك جعل البنائي أقل توظيفًا للسنة من التفسير الموضوعي.

كذلك نجد أن التفسير الموضوعي في جانبه الباحث عن الموضوع يحتاج إلى جهد فكري كبير في رصد الآيات وجمعها وتقسيمها في عنوانات الموضوع ورسم هيكل خاص يجمع تلك العنوانات الفرعية ويركبها على وفق تسلسل منطقي وكل ذلك لأنه يجمع الآيات من كل القرآن الكريم ويركب منها الموضوع، في حين أن البنائي يعتمد عليها مجتمعة في بناء السورة الموجودة في المصحف وترتيب أجزائها كما هي، لكنه يحتاج إلى نظرة ثاقبة ودقة عالية في الكشف عن الروابط والصلات بين أجزاء السورة الواحدة.

يتباين التفسير الموضوعي عن البنائي في بعض مواطن توظيف اللغة ففي حين يوظف الموضوعي اللغة في عملية جمع الآيات بتتبع مفردات العنوان وجذوره وما يمكن أن يلتقي معه في الدلالة أو يخالفه ويمثل الضد والجانب الآخر من الموضوع وكل ذلك يسهم في جمع الآيات قبل عملية الكشف، أما البستاني فكما بيّن البحث في النقطة السابقة يلتزم بالسورة كما هي من دون

الحاجة إلى هذه المرحلة لكنه يوظّف اللغة وفنونها وأساليبها في دراسة الجانب الفني والجمالي الذي يسهم عند البستاني في مزيد من الكشف عن اتصال أجزاء السورة الواحدة ومقاطعها.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله على عظيم فضله بأن وصل البحث إلى ضفاف النهاية بعد إبحار طويل في غمار نوعين مهمين من التفسير هما التفسير الموضوعي والتفسير البنائي واللذان شكلا محور الرسالة الموسومة ب(التفسير الموضوعي والتفسير البنائي موازنة وتحليل)، وهذه النتائج التي وصل لها البحث هي فضل الله وتوفيقه أورد أبرزها بالآتي:

١- إن التفسير الموضوعي والتفسير البنائي مرتكزان على أصول التفسير وقائمان على قواعده ومغترفان من مصادره الأساس وبذلك يعدان تفسيرين أصيلان يقصدان طلبًا لهدايات القرآن الكريم وحكمه.

٢- إن عماد كل من التفسير الموضوعي والتفسير البنائي هو تفسير القرآن الكريم بالقرآن، وأن المصادر الأخرى لها دور الساند والمؤيد والمتتم للموضوع.

٣- إن التفسير الموضوعي (الكشفي) أو السوري إشترك مع التفسير البنائي في الغاية، والهدف، وحدود البحث التي هي السورة القرآنية، وأصول التفسير، فضلًا عن أن قواعد التفسير البنائي تصلح أن تكون قواعد له، فضلًا عن اتحادهما بالمصادر، وهذا النوع أقرب للبنائي منه للتفسير الموضوعي بمعناه المعروف والشائع، وأنه والبنائي يلتقيان مع الموضوعي – الباحث عن الموضوع – في فقرة واحدة وهي دراسة الموضوع غير أنهما حتى في هذا يتباينان من جانب فالموضوعي بقسمه الأول يدرس الموضوع في كل القرآن الكريم في حين أن الكشفي والبنائي يدرسانه ضمن حدود السورة، لذا يظهر من كل ما سبق أن إخراج هذا القسم من التفسير الموضوعي وضمه للبنائي أوفق مع حقيقته، ويجنب الدارس صعوبة التمييز بينه وبين البنائي وكذلك صعوبة إيجاد الرابط الذي لأجله أدرج ضمن التفسير الموضوعي.

٤- إن التلاحم بين أجزاء السورة الواحدة الذي كشفه التفسير البنائي وظهر جليًا في الفصل الثاني من البحث يجعل المفسّر الموضوعي أمام مسؤولية كبيرة وهي : ضرورة النظر الجيد والفحص الدقيق للآيات في سياقاتها القريبة الخاصة والعامة في مرحلة الجمع فيمكن للتفسير البنائي أن يقدم خدمات مهمة للتفسير الموضوعي كما أسهم التفسير التجزيئي بذلك سابقًا.

٥- إن التفسير الموضوعي – الباحث عن الموضوع – والتفسير البنائي يتباينان في مساحة

البحث ففي حين يبحث التفسير الموضوعي عن الموضوع في كل القرآن الكريم، نجد أن البنائي يبحث العلاقات والروابط داخل سور السورة الواحدة، ويتناول موضوعات تلك السورة ويفتش عن الجامع بينها وصولًا لكشف ما تتركه من أثر كلي يَتحصّل منها مجتمعةً.

٦- إن التفسير الموضوعي والتفسير البنائي يختلفان عن التفسير التجزيئي الذي ساد لقرون طويلة غير أنهما أفادا كثيرًا من معطياته ووظفها في سبيل تحقيق غاياتيهما.

٧- إن التفسير الموضوعي يبيّن لنا جانبًا مهمًا من جوانب إعجاز القرآن الكريم وذلك من خلال الكشف عن قدرة القرآن الكريم على تقديم رؤيته الخاصة حول مواضيع الحياة المتكثرة وأنه كتاب هداية يملك من الحيوية ما تجعله معجزة الله الخالدة، وإذا كان التفسير الموضوعي قادرًا على كشف ذلك الجانب من الإعجاز فإن البنائي قادر على إظهار الإعجاز العظيم والإتقان العجيب في نظم السورة القرآنية واتحاد أجزائها وكأنها عقد متماسك الأجزاء صيغ بقدرة خبير عليم، وذلك من خلال كشفه عن المعنى الكلّيّ للسورة والمحور الذي يجمع درر ذلك العقد.

٨- إن جمع هذين النوعين من التفسير في دراسة واحدة يجعل من السهل إثبات أن القرآن الكريم معجز في تعدد صور عطائه، فالموضوعي يجمع أجزاء الموضوع من كل القرآن الكريم ويركبه ليخرج برؤية قرآنية عن الموضوع المدروس، أما البنائي فإنه يكشف عن الأثر الكلّيّ الذي تتركه السورة القرآنية حسب نظمها الذي نراه في القرآن الكريم ومن ثم فإن ذلك الجمع وهذا الكشف ما هو إلا صور من عطاء القرآن الكريم الذي لا ينفد.

٩- إن علوم القرآن الكريم وأصول التفسير ومصادره كانت الركائز المهمة في سلامة التفسير الموضوعي والتفسير البنائي من التيه فرغم تباين الهدف الخاص ومساحة البحث بينهما إلا أننا نجدهما لم يحدا عن تلك الركائز وعليه فمن أراد الولوج إلى عالم التفسير وفهم كتاب الله العزيز لابد له من الإهتمام الجيد بهذه المرتكزات وتعلمها والإيمان بها والسير بهداها.

١٠-إن من السمات المميزة للتفسير الموضوعي أن مساحته أكبر وهو يحتاج إلى مزيد عناية ودراسة؛ لأنه يسعى لتقديم رؤية إسلامية محورها القرآن الكريم عن مختلف موضوعات

الحياة المتجددة، أما أبرز سمات التفسير البنائي فإنه لم يتناول الجانب الدلالي المعنوي فحسب بل درس الجانب الجمالي الفني لمختلف عناصر بناء السورة القرآنية، غير أن هدفه لم يكن ترفيًا وإنما وظف ذلك من أجل أن يزيد من وضوح الترابط ويكشف عن دقة النظم وإحكامه.

التوصيات

١- أن ننظر إلى لقرآن الكريم على أنه بحر لا نفاد لهداياته وأن له القدرة على العطاء الدائم وأن فيه دواء دائنا وننطلق من هذه الرؤية لتقييم متغيرات الواقع بدراسات قرآنية تبرز رؤية الإسلام حول تلك المتغيرات.

٢- صياغة معايير خاصة نابعة من دراسات علمية تخصصية ترسم حدودًا وموازين ثابتة يمكن للباحثين تبنيها في دراسة التفاسير الجديدة ومعرفة مدى انطباق شروط التفسير وأسسه وضوابطه عليها، وحينها يمكن أن تقييم النتاجات التفسيرية بدقة عالية ودون إفراط أو تفريط.

٣- ضرورة أن يسبق كل منتج تفسيري جديد بيان لأصوله وقواعده ومصادره التي يقوم عليها وبذلك يعرف القارئ ماهية هذا التفسير من صاحبه أو الجهة التي ألفته.

٤- لاكتشاف كنوز القرآن الكريم وكشف رؤيته في موضوعات الحياة الكثيرة لابد من عمل جماعي تتضافر فيه الجهود ينطلق من التراث التفسيري الذي نملكه ويخطو خطوة نحو الأمام ولهذه الطريقة القدرة على طي الزمن وتحقيق منجزات كبيرة.

٥- تفتح مثل هذه الدراسة آفاقًا علمية واسعة لدراسات أكاديمية رصينة (ماجستير ودكتوراه) متعددة الجوانب للكشف عن الإعجاز القرآني وتقديم رؤية قرآنية معاصرة لحل مشكلات الوضع الراهن إن كانت تلك المشكلات ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك بعد التوفيق بين هذين المنهجين.

٦- يدعو الباحث إلى تأسيس مراكز بحثية ومجمعات علمية متخصصة في التوفيق بين هذين المنهجيين الراقيين للتفسير للخروج بدراسات وأبحاث ومؤلفات أو حتى مؤتمرات وندوات لإيصال أكبر قدر ممكن من الهداية للناس جميعًا.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

٢. إرشاد القلوب إلى الصواب: الديلمي، حسن بن محمد (ت ٨٤١ هـ). دار الشريف الرضي، قم– إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

٣. أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره : مصطفوي، محمد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٤. أسباب نزول القرآن: الواحدي النيشابوري، علي بن أحمد، تحقيق: كمال البسيوني الزغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ.

٥. أسرار ترتيب القرآن: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١هـ) ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع (د. ت).

٦. أصول الاستنباط في أصول الفقه وتأريخه بأسلوب حديث، الحيدري، علي نقي، دار الفكر، قم– إيران، ١٣٨٣ش.

٧. أصول التفسير (دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد): الفتلاوي، أ.م.د. محمد كاظم حسين ، دار حدود للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، مطبعة دار الرافد للطباعة بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ.

٨. أصول التفسير دروس منهجية: المسعودي، أ.د. فاضل مدب ، العسكري، د. ساجد صباح ، كتاب غير منشور.

٩. أصول التفسير و قواعده: العك، خالد عبد الرحمن، دار النفائس، بيروت– لبنان، ١٤٢٨هـ.

١٠. أصول الحديث: د. الفضلي، عبد الهادي، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر – بيروت – لبنان، الطبع الثالثة ،١٤٢١هـ.

١١. الاصول العامة للفقه المقارن: الحكيم، محمد تقي، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم – إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

١٢. أصول الفقه: المظفر محمد رضا محمد عبد الله، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة السابعة ، ١٤٣٤هـ.

١٣. أصول الفقه: المظفر، محمد رضا، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم –إيران، ١٤٢٣هـ.

١٤. الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي في القرآن الكريم: جمال الدين، د مرتضى ، دار الوارث للطباعة والنشر، كربلاء–العراق، الطبعة الأولى، ١٤٤٣هـ.

١٥. أصول و قواعد التفسير الموضوعي للقرآن: التميمي، مازن شاكر، العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية و الثقافية. شعبة الدراسات و البحوث الإسلامية، كربلاء المقدسة، ١٤٣٦ هـ.

١٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار الجكني ت(١٣٩٣هـ) : مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع.

١٧. الإعجاز القصصي في القرآن : مطاوع، سعيد عطية، دار الآفاق العربية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٨. أقوال المفسرين توجيهها ومسالك التوفيق بينها: الحربي، حسين بن علي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

١٩. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: مكارم شيرازي، ناصر، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب(ع)، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢٠. الانتصار للقرآن: الباقلاني، محمد بن الطيب القاضي أبو بكر (ت ٤٠٣هـ) : تحقيق: د. محمد عصام القضاة ، دار الفتح – عَمَّان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٢١. أنوار التنزيل و أسرار التأويل: البيضاوي، عبد الله بن عمر: التحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: المجلسي، محمد باقر بن محمد تقى، دار إحياء التراث العربي، بيروت– بيروت لبنان، ١٤٠٣ هـ.

٢٣. بحر العلوم: السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد (ت ٣٣٣هـ) : تحقيق: أبو سعيد عمر بن غلام حسن عمروي، دار الفكر، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى.

٢٤. البحر المحيط في التفسير: الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل: دار الفكر، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٠ هـ.

٢٥. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (ت ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ.

٢٦. بحوث في أصول التفسير و مناهجه: الرومي، أ.د. فهد عبد الرحمن، مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ.

٢٧. بدائع الفوائد: ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٨. البرهان في تناسب سور القرآن : الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٨٠هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب،١٤١٠ هـ ٤.

٢٩. البرهان في علوم القرآن: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ.

٣٠. البيان في تفسير القرآن: الخوئي، السيد أبو القاسم، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم إيران، الطبعة الأولى.

٣١. تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي الحسني، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ)، دار الفكر، بيروت– لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٣٢. التبيان في تفسير القرآن : الطوسي، محمد بن الحسن (٤٦٠) هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان الطبعة الأولى.

٣٣. التحرير في أصول التفسير: الطيار أ.د مساعد بن سليمان بن ناصر، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ.

٣٤. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ هـ.

٣٥. التعريفات: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت: ٨١٦هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ .

٣٦. التفسير البنائي للقرآن الكريم : د. البستاني، محمود، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد إيران، الطبعة الثالثة ١٤٤٢هـ.

٣٧. التفسير البياني للقرآن الكريم: بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن، دار المعارف – القاهرة – مصر، الطبعة السابعة، (د.ت).

٣٨. تفسير الصافي: الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى ت(١٠٩١) هـ، مكتبه الصدر، طهران– إيران الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

٣٩. تفسير العيّاشي: العياشي، محمد بن مسعود، المطبعة العلمية طهران– إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ.

٤٠. تفسير القمي: القمي علي بن إبراهيم، دار الكتاب، قم– إيران، الطبعة الثالثة ،١٤٠٣ هـ.

٤١. التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام : ينسب للإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم – إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٤٢. التفسير الموضوعي المفهوم والمنهج: مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، دار المعارف الإسلامية الثقافية، ١٤٤١هـ.

٤٣. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح ، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

٤٤. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: بإشراف أ.د مصطفى مسلم، الشارقة– الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٤٥. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته : الخفاجي، أ. د. حكمت عبيد،، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان– الأردن الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٤٦. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، الزهراني، أحمد بن عبد الله، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

٤٧. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: طنطاوي، محمد سيد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

٤٨. تفسير فرات الكوفي: الكوفي فرات بن ابراهيم، مؤسسة الطبع و النشر في وزارة الإرشاد الإسلامي – طهران– إيران، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٤٩. التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب: معرفة، محمد هادي الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ، مشهد المقدسة، إيران ١٤١٨هـ.

٥٠. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ الحر العاملي محمد بن حسن، مؤسسة آل البيت عليهم السلام – قم – إيران، ١٤٠٩هـ.

٥١. التمهيد في علوم القرآن : معرفة، محمد هادي، مؤسسة التمهيد للثقافة والنشر، قم – ايران.

٥٢. التوحيد(للصدوق): ابن بابويه، محمد بن علي (ت٣٨١ هـ)، جماعة المدرسين، الطبعة الأولى، قم – إيران، ١٣٩٨ هـ.

٥٣. جامع البيان في تفسير آي القرآن: محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠ هـ) ، دار المعرفة بيروت– لبنان الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٥٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: البخاري محمد بن إسماعيل: تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٥. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، محمد بن أحمد، منشورات ناصر خسرو، طهرآن – إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٥٦. جواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد (ت: ٨١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٥٧. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: العمري، أحمد جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٨. دراسات في تفسير النص القرآني (أبحاث في مناهج التفسير): مجموعة من الباحثين: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت – لينان، الطبعة الثانية، بيروت– لبنان، ٢٠١٠م.

٥٩. دراسات في علوم القرآن الكريم: د. البستاني، محمود، مدينة العلم، قم – إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢هـ.

٦٠. دروس في القواعد التفسيرية: المازندراني، علي أكبر، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٢٨هـ.

٦١. دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن : الرضائي، محمد علي: تعريب: قاسم البيضاني، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ.

٦٢. دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى والثانية): الصدر، محمد باقر: إعداد وتحقيق لجنة التحقيق للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٦٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني: الآلوسي، السيد محمود، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٦٤. سلامة القرآن من التحريف : زادگان، فتح الله نجار ، آزادي، طهران- إيران ١٤٣٨هـ.

٦٥. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : السباعي: مصطفى بن حسني (ت ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي: دمشق – سوريا، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة،١٤٠٢ هـ ،.

٦٦. سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان.

٦٧. شعب الإيمان: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨)،تحقيق، د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٦٨. علوم القرآن (دروس منهجية): الحكيم، رياض: دار الهلال الطبعة الثالثة، ١٤٢هـ.

٦٩. مصادر الوحي وأنواعه في القرآن الكريم: الأعرجي، أ.د. ستار جبر، مركز الرسالة، قم- إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٤٢هـ.

٧٠. علوم القرآن: الحكيم، محمد باقر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٣١هـ.

٧١. العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، دار الهجرة ، قم – ايران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.

٧٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام : ابن بابويه، محمد بن علي (ت٣٨١ هـ)، نشر جهان، طهران – ايران، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٧٣. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن: الصادقي الطهراني محمد، منشورات الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠هـ.

٧٤. القاموس الفقهي: مرعي، حسين عبد الله، دار المجتبى – لبنان – بيروت، ١٤١٣ هـ.

٧٥. قواعد اصول التفسير في تهذيب الوصول للعلامة وكنز العرفان للسيوري: الملا، أ.م.د. جبار كاظم، الفتليّ، أ.م.د. سكينة عزيز: راجعه وضبطه مركز العلامة الحلي لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ.

٧٦. القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: البستاني، د. محمود، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد –إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٧٧. قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير – دراسة تأصيلية تطبيقية : عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى،١٤٣٦ هـ.

٧٨. قواعد الترجيح عند المفسرين: الحربي، حسين بن علي : تحقيق القطان، منّاع، دار القاسم، الرياض – السعودية، ١٤٢٩ هـ.

٧٩.قواعد التفسير : السبت، خالد ابن عبد الرحمن، دار ابن عفان للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، (د.ت).

٨٠. قواعد التفسير لدى الشيعة و السنة: المبيدي: محمد، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، مركز التحقيقات و الدراسات العلمية، طهران إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٥ش.

٨١. الكافي : الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق ت(٣٢٩ هـ)، دار الحديث، قم – إيران، ١٤٢٩ هـ.

٨٢. لسان العرب : بن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ١١٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة الثالثة،١٤١٤ هـ.

٨٣. مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق– سوريا، ١٤٢٦هـ.

٨٤. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: الصغير أ.د. محمد حسين علي، دار المؤرخ العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٨٥. مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٤٨ هـ): الناشر: ناصر خسرو، طهران– إيران، الطبعة الثالثة: ١٤١٣ هـ.

٨٦. محاضرات في علوم القرآن الكريم: البستاني، أ.د. محمود، مؤسسة البلاغ، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٨٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ.

٨٨. المحيط في اللغة: صاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد (ت٣٨٥ هـ)، عالم الكتاب، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٤ هـ.

٨٩. المدخل الفقهي العام: الزرقا، مصطفى أحمد، دار القلم، دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٩٠. المدخل إلى التفسير الموضوعي : د. عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامي بورسعيد– مصر، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

٩١. المدخل إلى تاريخ التفسير و المفسرين : حسين علوي مهر : المترجم: جعفر الخزاعي، ، مركز المصطفى العالمي للترجمة و النشر، قم– إيران، ١٣٩٢هـ.

٩٢. المدخل إلى تفسير الموضوعي للقرآن الكريم: الأبطحي: محمد باقر الموحد، دار الآداب في النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

٩٣. مدخل إلى علم التفسير (دروس منهجية) : أبو خمسين، هاشم عبدالنبي: ، باقيات للنشر، قم– إيران، ١٤٣٦هـ.

٩٤. المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر، دار الصدر (مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر)، قم – ايران، الطبعة الخامسة، ١٤٤١هـ.

٩٥. مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الأولى، ١٤٢١ هـ.

٩٦. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم) : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ): تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٩٧. مصادر التفسير الموضوعي: رحماني، د أحمد، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٩٨. معجم العلوم الإنسانية: جان فرنسوا دورتيه: ترجمة: د. جورج كتورة، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، أبو ظبي– الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٩٩. معجم ألفاظ الفقه الجعفري :د. فتح الله ، أحمد، مطابع المدوخل، الدمام – السعودية، الطبعة الاولى، ١٤١٥ هـ.

١٠٠. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥ هـ)، مكتب الاعلام الاسلامي، قم– ايران، ١٤٠٤هـ.

١٠١. معرفة القرآن على ضوء الكتاب و السنة: المحمدي الريشهري، محمد، دار الحديث، قم –إيران.

١٠٢. مفاتيح التفسير: الخطيب، أ.د. أحمد سعد، دار التدمرية، الرياض– السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

١٠٣. مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، محمد بن عمر ت(٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة.

١٠٤. مفاهيم القرآن: السبحاني، جعفر، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم – ايران، الطبعة الرابعة، ١٤١٣ هـ.

١٠٥. من هدى القرآن: المدرسي، محمد تقي، دار محبي الحسين، طهران– إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠٦. المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير و مصادره، الحسن، أ.د. محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ.

١٠٧. مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي: رحماني، أ.د. أحمد بن عثمان رحماني، عالم الكتب الحديث ، جدار للكتاب العالمي، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٠٨. مناهج التفسير واتجاهاته: رضائي، محمد علي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت – لينان، ٢٠٠٨م.

١٠٩. المناهج التفسيرية : السبحاني، جعفر، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم– ايران، ١٤٢٦ هـ.

١١٠. المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة : اسدي، محمد علي ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية طهران– ايران، ١٤٣١هـ.

١١١. المناهج التفسيرية: السبحاني، جعفر، مؤسسة الامام صادق عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٢٦هـ.

١١٢. مناهج المفسرين دراسة في النظرية والتطبيق: الفتلاوي، أ.م. د. محمد كاظم حسين، دار حدود، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٢٠م.

١١٣. مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني محمد عبد العظيم ت (١٣٦٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

١١٤. منطق تفسير القرآن (اصول وقواعد التفسير): رضائي، محمد علي، تعريب: أحمد الأزرقي وهاشم أبو خمسين، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم – إيران، الطبعة الثانية: ١٤٣٦هـ.

١١٥. منطق فهم القرآن : الحيدري، كمال: تحرير : طلال الحسن، دار فراقد، قم المقدسة – ايران، ١٤٣٣هـ.

١١٦. المنهج البنائي في التفسير: البستاني، د. محمود، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي للباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الألى، ١٤٢٢هـ.

١١٧. منهجا الأخفش والفراء في كتابيهما معاني القرآن دراسة موازنة: الياسري، أ.د. عبد الكاظم محسن كاظم، مكتبة الثريا للحاسبة، النجف – العراق، ١٤٢٨هـ.

١١٨. الموافقات: الشاطبي اللخمي الغرانطي، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت: ٧٩٠هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١هـ.

١١٩. موجز في علوم القرآن: العطار، د. داود ، دار البذرة ، النجف الأشرف– العراق (د.ت).

١٢٠. الموسوعة القرآنية خصائص السور: شرف الدين، جعفر، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ.

١٢١. الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، محمد حسين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم– إيران، الطبعة الخامسة، ١٤١ هـ.

١٢٢. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: دراز، محمد بن عبد الله: اعتنى به أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١٢٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦م.

١٢٤. نفحات القرآن: مكارم الشيرازي، ناصر، مدرسة الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم – إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٢٥. نهج البلاغة: الشريف الرضى، محمد بن حسين، شرح صبحي الصالح، هجرت – قم –إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

الرسائل والاطاريح

١٢٦. إشكالية تقسيم وتوظيف المفاهيم في المناهج التفسيرية (دراسة نقدية) : حسن عبد الهادي رشيد رسالة ماجستير تقدم بها الطالب لكلية العلوم الإسلامية في جامعة كربلاء، أشرف عليها أ.م.د. إقبال وافي نجم، لعام ٢٠٢١م.

١٢٧. إشكالية تقسيم وتوظيف المفاهيم في المناهج التفسيرية (دراسة نقدية) : حسن عبد الهادي رشيد رسالة ماجستير تقدم بها الطالب لكلية العلوم الإسلامية في جامعة كربلاء، أشرف عليها أ.م.د. إقبال وافي نجم، لعام ٢٠٢١م.

١٢٨. أصول التفسير عند الإمامية (دراسة تأصيلية تحليلية): د. ساجد صباح ميس العسكري، أطروحة دكتوراه تقدم بها إلى مجلس كلية الفقه بجامعة الكوفة، أشرف عليها أ.د. فاضل مدّب المسعودي، ١٤٤١هـ.

١٢٩. المنهج البنائي في تفسير القرآن الكريم عند الدكتور محمود البستاني: أحمد حنون ميس العتابي، رسالة ماجستير / كلية الفقه –جامعة الكوفة، أشرف عليها أ.د. محمد كاظم البكَّاء ، ١٤٣٣هـ.

١٣٠. وظائف علوم القرآن بين المفسرين والأصوليين: المسعودي، أ.د فاضل مدب، اطروحة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى مجلس كلية الفقه– جامعة الكوفة، بإشراف أ.د حكمت عبيد الخفاجي، عام ١٤٣١هـ.

البحوث والمجلات

١٣١. أساسيات واتجاهات ومناهج البحوث التفسيرية (دراسة نقدية): الغفوري، خالد ، مجلة المنهاج – العدد ٦– صيف ١٤٣٣هـ/٢٠١٥م.

١٣٢. التفسير البنائي للقرآن الكريم: البستاني، أ.د. محمود: ، بحث منشور في مجلة المصباح، العدد الأول، ربيع ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

١٣٣. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته: معرفة، محمد هادي، مجلة المصباح القرآنية العدد ١٩، خريف (١٤٣٥هـ–٢٠١٤م).

١٣٤. التفسير الموضوعي تعريف ، أقسامه، مشروعيته، علاقته بأنواع التفسير الأخرى: أ. رياض الأخرس: د. كاظم قاضي زاده، بحث منشور في مجلة المنهاج– العدد ٤– خريف ١٤٢٨هـ–٢٠٠م.

١٣٥. التفسير الموضوعي واشكالية تحديد المصطلح : إقبال وافي نجم، مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية/ المجلد ٢٥/ العدد ٣/٢٠١١م.

المواقع الالكترونية

١٣٦. موضوع الرؤية: عبر الرابط:-https://modoee.com/show-book .scroll/٣٨١?q

١٣٧. موضوع السعادة: عبر الرابط: -https://modoee.com/show-book . scroll/٤٩٩?q

١٣٨. موضوع اليوم الآخر: عبر الرابط: -https://modoee.com/show-book . scroll/٤٩?q

Abstract

The research dealt with two types of interpretation, namely the objective interpretation and the structural interpretation, which appeared in the last century, based on important roots dating back to the early days of Islam . Each of them benefited from the great explanatory wealth represented in what we have in the hands of interpretations that took the ordinal fragmentary form

After studying and analyzing them on both the theoretical and practical sides, the research concluded to extract a set of assets, rules and sources on which each of the two interpretations was based and employed. All three have evidence and examples that reinforce what it goes to and the results it concludes

The first chapter, which was devoted to research on the origins of interpretation, and it appeared through the balance that the two interpretations share most of the principles of interpretation, as they deal with the blessed Qur'anic text as a divine revelation that has not been distorted and that its apparent meaning is an argument. They reconciled the explanatory sayings and preferred between the opposing ones , They differed in the purpose of believing in and adopting those principles. The objective interpretation was adopting these principles and proceeding from them to make the Holy Qur'an dominant over the human experience. The other thing that he sought was extracting is the Qur'anic vision of the various topics of life, while the constructivist interpretation was adopting those assets to prove the interdependence of the surah. The Qur'anic text and the unity of its construction and that its parts are organized according to miracle divine geometry .

As for the second chapter, which is devoted to the rules of objective and constructivist interpretation, we find participation and divergence also present, and that the rules of constructivist interpretation can be rules for objective interpretation (detective) seeking the unity of the blessed surah, and some of the rules of objective interpretation with its general title can be

applied in constructivist interpretation and benefit from them in the process of revealing Allah's will, however, there is what is specific to the objective interpretation towards the rule for the complete collection of the verses of the subject from all the Holy Qur'an in addition to the rule for the combination of exegetical opinions and what leads to it in the expansion of the meaning, they are from the characteristics of the objective interpretation in the manner shown by the detailed research .

As for the third chapter, it was about the sources of objective and constructive interpretation, and they participated in all the exegetical sources and that they presented the Holy Qur'an as the basic source on which they are based, but they differed in the amount of taking from those sources according to the purpose that each of them intended and the research space , while the structural revolves within the limits of the Qur'anic surah and rarely exceeds it, and the objective intends the significance and meaning, while the structural studied the surah semantic and aesthetically to prove the union of its parts and the coherence of its construction, and this matter was certainly reflected in the size and method of taking from some sources of interpretation .

The research concluded with a number of results, including the authenticity of these two types of interpretation and that they are the product of the origins, rules and sources of interpretation, and therefore their product is an argument that guides the purpose of Allah the Almighty, and that the interpretation of the Qur'an in the Qur'an is their pillar, just as decoding the overlap between objective and constructivist interpretation is by taking out the objective interpretation (the detective) from the title the objective interpretation and its inclusion with the constructivist or finding a comprehensive title for them because staying with the objective is not appropriate, as it is much closer to the constructivist than it is related to objective interpretation in its general known sense .

Ministry of Higher Education

and Scientific Research

University of Kerbala

College of Islamic Sciences

Department of Qur'anic Studies and Jurisprudence

Objective interpretation and structural interpretation

Equilibration and analysis

To The Council Of The College Of Islamic Sciences At The University Of Kerbala Partial Fulfillment Of The Requirements Of The Master Degree In Shariaa And Islamic Sciences

Message Progress with Requester

Mustafa Ghazi Abbas

Supervised By

Ass. Pro.Dr.Iqbal.Wafi.Najim

January -2023A. D **Jumada Al-Akher- 1444 H**